٥١٦

قلوب عبير

516

غرام النحاس

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

الشفاء بالحب

ليندسي آرمسترونغ

الشفاء بالحب

ليندسي آرمسترونغ

الفنانون، كما خبرتهم جوانيتا من خلال حياتها العائلية، هم أناس لا يمكن التكهن بتصرفاتهم، إذ أنهم ينساقون إلى أمزجتهم وتصوراتهم الغريبة. وكان الكاتب غاريت ووكر مثالاً صادقاً لذلك حين أوضح لها أن الجانبية التي شعرت بها نحوه، لم يشعر هو بها. وكانت جوانيتا غارقة في المشاكل. هل ما شعرت به نحوه هو مجرد تأثر عارض؟ ثم هل كانت تواياه أكثر جدية؟ ولكن، إذا كان هذا صحيحاً، فماذا عن تصريحه بأنه ليس من النوع الذي يصلح للحياة الزوجية؟

«قد تحدث بيننا بعض المشاكل، إن عملنا معاً.»

قال غاريت لاوياً شفتيه: «ولماذا تحدث مشاكل؟ هل لأنني أزعجك في بعض النواحي؟»

فردت عليه جوانيتا بحدة لاذعة: «لأنك تخرج عن المألوف لكي تغضبني فقط.»

فكر برهة ثم قال: «هل لنا أن نجرب طريقة أخرى لتنقية الجو بيننا؟ هل تراك تعانين من كراهية قاتمة خفية للرجال؟»

قالت: «كلا.»

قال: «ماذا أنت إذن؟ تقية متنكرة.»

ليندسي آرمسترونغ

ولدت ليندسي آرمسترونغ في جنوب أفريقيا، ولكنها تعيش الآن في استراليا مع زوجها النيوزيلاندي المولد وأولادهما الخمسة. لقد عاشا تقريباً، في كل ولاية في استراليا وتنقلا بين مهن مختلفة غير عادية، مثل الزراعة وترويض الخيل لتستفيد من كل هذه التجارب لكي تكون كاتبة. لقد ابتدأت ليندسي الكتابة عندما ابتدأ أصغر أولادها في الذهاب إلى المدرسة، وهي ما زالت تكتب وتعشق ذلك.

٥١٦

خلود

khouloub Abir 516

الشفاء بالحب

ليندسي آرمسترونغ

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«من أنت بحق الجحيم؟!»

نظرت جوانيتا سبنسر هيل بحيرة إلى الرجل الذي فتح لها الباب بعنف وثورة، رغم أنها كانت قد قرعته بكل رقة وأدب. كانت قد شاهدت غاريت ووكر هذا في مقابلة تليفزيونية حيث تحدث فيها عن أفضل كتبه الأخيرة مبيعاً، وكان إلى حد ما على وشك التصادم مع المذيعة المعروفة بهدوئها ورصانتها والتي كانت تجري معه المقابلة. ولقد كان يعرض، من خلال الشاشة الصغيرة، ذكاءاً وسحراً وحيوية، ذلك الذي كان يمثل شخصية الرجل العملي الخبير بالنساء. كانت تراه أمامها الآن شخصياً، وبالرغم من مظاهر الضيق البالغ على وجهه، كانت شخصيته القوية المسيطرة واضحة بقوامه القوي الرشيق والبالغ ستة اقدام، وذلك بالرغم من مظهره الخشن بقميصه الكاكي وسرواله الجينز الباهت اللون.

عاد يقول: «أكرر، من أنت بحق الجحيم؟ ولماذا تقفين مشدوهة تحملقين في وجهي بهذا الشكل؟»

أقفلت جوانيتا فمها وقد تضرج وجهها، وقالت وهي تمد إليه يدها: «إنني جوانيتا سبنسر هيل من شركة بلومون وقد أرسلت لأكون هنا في هذا الوقت بالذات لكي...»

قاطعها: «سبنسر هيل؟ كنت أظن أنهم سيرسلون إلي الآنسة هيل فقط.» وتجاهل يدها الممدودة رغم أنه حدق

لحظة في أصابعها الرشيقة التي كانت خالية من كل زينة ما عدا خاتم في اصبعها الصغير، وفي معصمها الرقيق الذي تحيط به ساعة ذهبية كبيرة بسوارها المخملي وسوار ذهبي بجانبها. ومن ثم رفع إليها عينيه الزرقاوين الرائعتين ومضى يتفحصها بوقاحة من قمة رأسها حتى اخمص قدميها. من شعرها القاتم اللامع المعقود إلى الخلف إلى أسفل رقبتها، إلى عينيها القاتمتين، وقوامها الممشوق في ثوبها الجميل المنقط باللونين الأبيض والأسود بتنورته الطويلة، إلى حذائها الأسود المنخفض الكعب، ثم إلى عصا تحملها في يدها. ولم تظهر أساريره أية دلائل على مدى تأثره بمظهرها. وهو يسألها بجمود: «هيا تكلمي يا سيدتي. كلي آذان صاغية.»

عضت جوانيتا على شفتيها وقد عاد وجهها إلى التضرج وهي تقول: «إن... إن غلطتي، يا سيد ووكر، هي أنني أعمل باسم هيل، ولكن غاب هذا عن ذهني.»

قال ساخراً: إنني أعجب إذ تتجولين بين الناس لتخدعيهم بهذا الشكل، يا آنسة سبنسرهيل؟»

استجمعت جوانيتا شجاعتها لتقول له ببرود: «إنني لا أرى في ذلك أيّ نوع من التضليل، يا سيد ووكر. إنني...»

قاطعها: «حسناً، ولكنني أنا أرى ذلك. وأظنك إحدى أفراد أسرة سبنسرهيل التي تزهو بنجم من نجوم الشاشة الفضية، الفائز بجائزة أرشيبالد.»

جفلت جوانيتا وهي تتساءل عما تراها اقترفت لكي تستحق مثل هذا الاستقبال. وقالت متلعثمة: «إن... إن أبي ممثل، وأمي رسامة، كما أن أخي سائق سيارة سباق،

ولأنني لا أريد أن أستغل شهرتهم في عملي فقد عملت باسم آخر...»

قاطعها بابتسامة صغيرة: «أم لأنك تريدين أن تنفصلي عنهم؟»

تنفست جوانيتا بعمق وهي تقول عابسة: «إنني لا أريد أن أتحدث عن أسرتي معك، يا سيد ووكر، ولا أن أقف هنا أتلقى الإهانات. لقد جئت إلى هنا في مهمة عمل، ولكن يبدو أنني لم أعجبك مما يجعل هذا العمل مستحيلاً بيننا. ولهذا، فإنني ذاهبة. إلى اللقاء.»

استدارت لتذهب عندما قال بلطف: «عظيم! إنك بليغة في كلامك. ولكن، لماذا تحملين عصا؟»

قالت: «إنني... ذلك ليس من...»

قاطعها: «ليس من شأني؟» وابتسم لها فجأة، إبتسامة مشرقة أصابتها بالإرتباك. وتابع يقول: «حسناً، فلندخل في الموضوع الذي هو من شأني... حسناً، أدخلي.» ووقف جانباً ليدعها تمر، ثم ما لبث أن قطب جبينه وهو يميل برأسه يسألها: «كم يبلغ عمرك يا آنسة سبنسرهيل؟»

حدقت جوانيتا به، ثم قالت بجفاء: «وهذا أيضاً ليس من شأنك.»

قال متهكماً: «أوه، بل أظن أن الأمر كذلك. فإنك هنا لكي تعيدي زخرفة منزلي، ولهذا، فنحن بحاجة إلى أن يعرف كل منا شيئاً عن الآخر. إنني في السادسة والثلاثين، بينما يبدو عليك أنك في الثامنة والعشرين.»

قالت دون تفكير: «إنني في الخامسة والعشرين.»

قال لاوياً شفتيه: «اللعنة. إذا أردت أن تسيء إلى امرأة،

فخمن عمرها باكثر مما هو. والآن، ماذا علي أن أفعل لكي أصلح الأمر؟»

قالت: «لا شيء. إن كوني امرأة لا يدخل في الموضوع كلياً...»

قال: «أنا لا أوافقك على ذلك، إن جنس الشخص لا يمكن أن يكون خارجاً عن الموضوع بالرغم من أنصار الأنوثة. هل أنت واحدة منهن، يا آنسة سبنسر هيل؟»

قالت ببرود: «كلا، أبداً.»

قال: «فهن لا يعجبونني، ولم أكن لأصدقك لو أنك كنت ادعيت بأنك واحدة منهن. ولكن لماذا نناقش كل هذا على عتبة الباب؟ أدخلي، يا آنسة سبنسر هيل. إن مكتبي هو في آخر القاعة، حيث يمكننا متابعة هذا الحديث.»

اتجه سائراً أمامها إلى المكتب. ونظرت جوانيتا في أثره لحظة، ما لبثت بعدها أن تبعته مذكرة نفسها بأن هذه هي أول مهمة لها ذات أهمية.

قال غاريت ووكر بعد ما جلس وراء مكتب رائع الجمال: «أرجو المعذرة لاستقبالي غير اللائق ذاك. كنت قد نسيت أنك قادمة. ذلك أنني كنت غارقاً في الإلهام هذا الصباح. هل تعلمين أنني كاتب؟»

قالت: «نعم.»

قال: «إذن، قد تغفرين لي هذا التدفق في مشاعري، وذلك لوجود فنان في أسرتكم. بهذه المناسبة كيف حال والدتك العزيزة؟ لقد سبق وقابلتها عدة مرات.»

أجابت: «إنها بخير، شكراً يا سيد ووكر.»

قال: «هل زواج والديك المفتوح ما زال على حاله.»

أطبقت جوانيتا شفتيها بشدة وهي تحدق فيه دون جواب.

تابع هو دون توقف: «دوماً كنت أفكر في أن الأولاد، في زواج غير طبيعي كهذا، هم الأكثر تألماً. هل هذا هو السبب في تلك التأتأة في نطقك، يا آنسة سبنسر هيل؟»

شحب وجه جوانيتا حين تطرق، بانتقاده الصحيح تماماً، إلى أسرتها، ولكنها قالت في تؤدة: «رغم ما في هذا الكلام من عفوية، ولكنه، حيث أنه يتدخل في خصوصيات الآخرين، فهو لا يطاق.» وخفضت نظرها إلى يديها برهة، ثم عادت ترفعه إليه، لتتابع قائلة: «ما الذي يعطيك الحق في أن تسأل أي شخص مثل هذه الأسئلة يا سيد ووكر؟»

بان عليه التفكير العميق، ولكنه كان يدرس ملامحها طيلة الوقت مما جعلها تشعر بعدم الإرتياح لذلك. وأخيراً، قال: «إنني لا أطيق الحديث في كل موضوع ما عدا المواضيع الهامة، وأنت؟»

لم تكن هي قد توقعت مثل هذا الجواب. ونظرت إليه بحيرة ثم قالت: «إنني... كلا... حسناً، كل شيء سواء عندي. على كل حال، الأمر هنا مختلف.»

استقام في جلسته قائلاً: «كلا، إنه ليس كذلك. أنظري إلى الأمر من الناحية العملية للقيام بأي شيء. بالنسبة إليّ، لماذا هذه الصعوبة عندك في النطق، ولماذا تحملين عصا عند السير؟ ولكن التهذيب يمنعني من السؤال، حتى انني أحاول تجنب الموضوع مما يشعرني بالضيق، وإن كنت أعود إلى ذلك الموضوع من وقت لآخر، إلا إذا شئت أنت أن تطلعيني على كل شيء، عند ذلك يمكننا أن نقوم بالعمل بذهن مستقر.»

www.elromancia.com

قالت جوانيتا باحتجاج: «ما زال الأمر هنا، مختلفاً، فقد أهنت والديّ.»

قال: «حسناً، فلنترك هذا الموضوع، أعني، أرجو المعذرة، ولكنني متأكد من أن أحد الأسباب التي جعلتك تشطرين إسمك إلى نصفين هو أن تجنبي نفسك فضول الآخرين بالنسبة إلى والديك، لأنهما شخصان مهمان، أليس كذلك؟»

بادلته جوانيتا النظر بصمت لمدة دقيقة قبل أن تقول بجفاء: «ثمة شعور يراودني بشأنك، يا سيد ووكر.»

رفع حاجبه مرحاً وهو يقول: «من أية جهة، يا آنسة سبنسر هيل؟»

قالت: «انك تملك موهبة فائقة في التصرف كما تشاء، وكذلك...»

قال: «وما الذي يجعلك تظنين ذلك؟»

قالت: «هل لك أن تتوقف عن مقاطعتي من فضلك؟»

حاول أن يرسم على ملامحه تعبير الإهتمام المهذب قائلاً: «حسناً جداً.»

قالت وهي تصر على أسنانها: «يجب أن تتخلى عن تلك الهالة التي تحيط نفسك بها، يا سيد ووكر، ولكن، بالعودة إلى فضولك غير المعقول، فإن والديّ هما شخصان موهوبان... وبعض الأشياء التي قاما بها هي بسبب طريقة تصرفهما. أقصد أنهما لم يستطيعا التصرف بغير طبيعتهما. ولكنني أحبهما. فضلاً عن أنك قد وضعت أنت بنفسك، خطة لحياتك قائمة على نفس الإسراف في العواطف وانعدام الاحساس اللذين تتحدث عنهما.»

سكتت وقد بدا الاستنكار التام في ما تقول، ولكنه قال بهدوء: «حسناً، تابعي كلامك.»

فكرت لحظة، ثم تابعت بثبات: «يجب عليّ أن أضيف انني أقول لك كل هذا، ليس لكي أتسبب في نقمتك علي، وبالتالي اكتساب نقطة سوداء في سجلي المهني، بل لأنني سبق وأصبت في حادث سيارة شفيت منه، إنما خلّف لديّ ضعفاً في وركي أستشعره لدى أي إرهاق. أما بالنسبة إلى هذا العيب في نطقي فهو طبيعة لدي. والآن، هل في إمكاننا مباشرة العمل، من فضلك؟»

حدق فيها برهة متمعناً، ثم ما لبث أن دفع بكرسيه إلى الخلف واستوى واقفاً وهو يقول: «بكل تأكيد. إنني متأكد من أنك سترتاحين بعد ما تخلصت من كل ما يعتمل في داخلك. والآن، من أين تريدين أن تبدأي؟ هل ستمضين الليلة هنا؟»

قالت: «إنها عدة ليال...» ثم توقفت عن الكلام وهي تعض شفتها، لتعود فتقول: «ولِمَ لا؟ إنها فكرة ممتازة!»

استدار غاريت ووكر حول المكتب ليقف في مواجهتها، مستنداً إلى المكتب، ثم عقد ذراعيه فوق صدره وقد بدت في عينيه نظرة تهكم.

قالت جوانيتا وقد ضغطت على شفتيها: «إنها ليست فكرتي. أعني، يمكنني أن أمكث، بدلاً من ذلك، في فندق قريب من هنا، ولكنني أظنك...»

قاطعها قائلاً بلطف ساخر: «حسناً، إن ذهني غائب تماماً بالنسبة لأشياء كثيرة، ولكنني، الآن لست مستعداً لأن أضيف إلى مدفوعاتي تكاليف إقامتك في الفندق في حين

www.elromancia.com

أن منزلي من الاتساع بحيث يضيع فيه عشرة أشخاص. وأتذكر أيضاً أنني اخبرتهم أن بإمكاني احتمال كل التكاليف بشرط عدم المغالاة.»

قالت جوانيتا: «سأبذل جهدي في أن تكون التكاليف على أقل مستوى. ولكن بالطبع، يمكن ألا تعجبك آرائي أبداً. وهذا سبب هذه الزيارة الأولى إليك، إذ أنني أريد أن أخرج ببعض الأفكار والرسوم التخطيطية.»

قال: «لا أدري لماذا تبدين وكأنك تعتبرين الأمر بمثابة تسلق جبل إفرست.»

قالت: «يمكنني أن أخبرك، يا سيد ووكر... ان زخرفة المنازل ليست بمشكلة، وإنما أصحابها هم غالباً، المشكلة.»

ضحك عالياً وهو يقول: «حسناً يا آنسة سبنسر هيل. انني أقدر صراحتك، وأشياء أخرى في شخصك كذلك. ألم ترسمك أمك؟»

اتسعت عينا جوانيتا بشيء من الإضطراب وقالت ببطء: «كلا. ولماذا ترسمني؟»

قال متهكماً: «إنك فتاة غير عادية.»

قالت: «ك... كلا إنني لست كذلك. فأنا طويلة القامة نحيلة، وبشرتي شاحبة غالباً. كما أنني أتاتىء في كلامي وقد أبقى عرجاء على الدوام...» وتوقفت فجأة عن الحديث.

قال: «إن لك أيضاً شعراً وعينين في منتهى الجمال. وبشرتك بحاجة إلى الشمس فقط لتبدو كالعاج. كما أنك لست غاية في النحافة، ذلك أن نحول ورقة خصرك يظهر كتفيك متناسبين مما يحيطك بهالة من الرشاقة والغموض بوجه

عام. وأنا لا أصدق أنه لم يخبرك رجل بذلك من قبل يا آنسة سبنسر هيل.»

توردت وجنتا جوانيتا وهي تقول متلعثمة: «ك... كلا في الحقيقة... أعني...»

عاد يقول: «ذلك شيء آخر. أتعلمين أنك تتاتئين فقط عندما تكونين عصبية؟ ولكنك، عندما تكونين غاضبة فانت غاية في الفصاحة. ولكن الذي يحيرني هو، لماذا يجعلك المديح عصبية؟»

تساءلت جوانيتا عما إذا كان يمهد لشيء من وراء كلامه هذا... لكن غاريت قال بلطف وكأنما قرأ أفكارها: «كلا... لا شيء من ذلك بعد.»

قالت: «و... وكيف عرفت...؟»

فلوى شفتيه قائلاً: «من تعابير وجهك.»

عضت جوانيتا على فمها ثم قالت عابسة: «ماذا تعني بكلمة (بعد)؟»

قال: «فقط أن...»

قالت: «إسمع يا سيد ووكر...»

قال بسرور: «ادعيني غاريت.»

قالت: «كلا. لن أقوم بعمل كهذا...»

قال: «ليس في ذلك ما يدعو إلى الشك هذه الأيام.»

ضمت شفتيها بشدة وهي تحملق فيه.

قال: «ماذا يعني هذا؟»

قالت: «إنه يعني أنني لا أظن أن في إمكاننا التعاون معاً يا سيد ووكر، ذلك أنني لا أستطيع أبداً اكمال كلامي معك، ولشيء آخر هو...» وهزت كتفيها.

www.elromancia.com

انتظر وما زال عاقداً ذراعيه فوق صدره وقد بدت في عينيه نظرة ماكرة حتى قالت: «وماذا سنفعل الآن؟»

قال: «إنني أنتظر ما كنت تهمين بقوله... السبب الآخر...؟»

قالت جوانيتا باقتضاب: «هذا لا يهم.»

قال: «ظننت أن ثمة ما يتعلق بما كان يدور في ذهنك. أعني ما يمكن أن أتحدث فيه معك من أمور مخيفة...»

قالت ببرود: «نعم، لا بأس. فإنني لا أستطيع أن أعمل مع شخص بهذه الشروط.»

رفع حاجبيه قائلاً: «أية شروط؟»

قالت: «ظننت الأمر واضحاً لك.»

قال: «إنها ليست كذلك، أعني، قد تكون كذلك بالنسبة إلى رجل اعتاد الثرثرة مع الفتيات، بخلافي أنا.»

تنفست جوانيتا بعمق قائلة: «إنني أخذت بكلمتك فقط. ومع ذلك، فإنك أنت الذي أثرت الموضوع.»

فأجاب: «كلا، بل أنت التي أثرته. إنني فقط جعلتك تدركين أنك امرأة تسترعين الاهتمام للوهلة الأولى، ولم أذهب إلى أبعد من حقيقة ذلك، وهذا هو السبب في أنني أوردت هذه الكلمة الهائلة (بعد)، التي جعلتك مشككة، معتزة بنفسك. ولكن، إذا كان في هذا ما يريح ذهنك، اخبرك بأنني اعتدت أن أتعرف إلى المرأة أكثر فيما لو أردت أن أنشىء علاقة حميمة معها.»

حدقت جوانيتا إليه بغضب واشمئزاز. وعاد يقول وقد عادت السخرية إلى عينيه: «ألا تجدين ما تقولينه؟ إذا كان الأمر كذلك، فلربما أمكنني...»

قاطعته: «كلا، لا يمكنك. إنني لن أتابع لعبة التلاعب بالمعاني معك. أما، عما قد يقودك إليه استنتاجك من أنني أستحق أن تقيم معي علاقة حميمة في المستقبل، فلا تضيع وقتك.»

قال: «ولماذا؟»

قالت: «ماذا تعني؟»

قال: «لماذا ترفضين، بصورة آلية، إمكانية أن تكون بيننا علاقة حميمة فيما لو عرف الواحد منا الآخر بشكل أفضل؟»

قالت ببرود: «لأنني لا أجعل مثل هذه الأشياء مثار اهتمامي وخصوصاً أثناء تأديتي لعملي.»

قال: «وما الذي يجعلك تهتمين بذلك؟»

قالت بتهكم رقيق: «من الواضح أن ذلك لن يكون له علاقة بك. والآن هل نتابع العمل؟»

قال بابتسامة هادئة: «بالتأكيد. هل ساورك شك، قط، في أشياء مثل الأقوال الأخيرة المعروفة؟»

توقفت جوانيتا فجأة مما كان له تأثير سيىء على وركها فتعثرت وهي تبحث عن العصا بارتباك. فوضع يديه حول وسطها وهو ينظر إليها ثم سحبهما بعد أن ناولها العصا قائلاً: «ها هي.»

قالت وهي تتوقف عن السير: «شكراً.» كانت بينهما مسافة لا تعدو سنتيمترات قليلة. وعندما تلاقت أعينهما لم تستطع كبح شعورها بالإنجذاب إليه وإلى عينيه تلك.

فكرت في أنها لا تستطيع تصديق ذلك، ولكن هذا لم يمنع الدفء من أن يسري في جسمها وليس فقط إلى وجنتيها،

وذلك حين بادلها النظر بعينين يمتزج فيهما التفكير العميق، بشيء من التهكم. كما أن عدم تصديقها، لم يمنع تزايد خفقان قلبها، بينما كان هو واقفاً، يراقبها.

لم يحدث لها ذلك من قبل. وبهذا الشكل الذي يثير الفضول نحو العلاقة التي تربط المرأة بالرجل. وفكرت بوحشية عما إذا كان يقصد شيئاً من وراء ذلك بالنسبة إليها ولماذا؟ وهل هذه طبيعة فيه أم...؟

سمع قرع على الباب، فاهتزت ونظر هو برهة نحو الباب قبل أن يقول: «أدخل.»

كانت القادمة فتاة لا تتعدى التاسعة عشرة من عمرها، دخلت إلى المكتب وهي تقول: «غاريت، أتعرف أحداً هنا؟ أوه، آسفة، لا بد أنك صاحبة السيارة الصغيرة البي. أم. دبيلو في الخارج. مساء الخير. إنني وندي مدبرة المنزل.»

فكرت جوانيتا في أن هذه الفتاة لا تبدو مناسبة لتلك المهنة في قميصها الوردي والسروال الجينز الأزرق وشعرها الأشقر المربوط بشكل ذيل حصان إلى الخلف بشريط وردي.

قال غاريت: «إنها مدبرة منزل تحت التمرين، فهي تعمل مكان أمها المريضة. وندي، هذه هي الآنسة سبنسرهيل المكلفة بالديكور الداخلي للمنزل. ولقد... نسيت أن اخبرك عنها. وهي ستمضي عندنا عدة أيام.»

قالت وندي وهي تغمز بعينها مازحة: «تقول إنك نسيت؟ إذن فستبدأ بهذا المشروع. هذا رائع وستكون أمي مسرورة جداً منك لذلك.»

قال غاريت بوجه جامد: «إنني مسرور لهذا.» والتفت إلى

جوانيتا قائلاً: «إن والدة وندي هي مدبرة المنزل هنا وهي تحكمنا بيد حديدية. ولكنها في المستشفى الآن وابنتها وندي مكانها. أين...» والتفت إلى الفتاة قائلاً، «أين اخواك، إنني لم أسمع صوتهما هذا الصباح.»

في تلك اللحظة، تعالت أصوات مرتجفة صارخة حادة جعلتهم جميعاً يتطلعون من النافذة التي كانت تشرف على الباحة الخارجية المفروشة بالحصى والتي تتوسطها نافورة. واتسعت عينا جوانيتا وهي ترى ولدين في حوالي السابعة من العمر وقد اشتبكا في عراك قاتل يشتمل على شد الشعر والضرب والرفس والخمش.

قالت وندي بضجر: «إذا كنت تتحدث عن أخي وأختي فهاكهما هناك. إنني سوف...»

قال بجفاء: «كلا، أنا سأفعل ذلك. خذي أنت الآنسة سبنسرهيل إلى غرفة الضيوف ثم...» ونظر إلى ساعته وهو يتابع: «حيث سنجتمع ثانية على مائدة الغداء.»

أخذت وندي تثرثر دون انقطاع وهي تتجه نحو غرفة الضيوف: «إنني دوماً احتفظ بغرفة جاهزة للطوارىء. ذلك أن غاريت لا يعرف متى يحضر الضيف. إنني أتمنى لو أن عندي مثل مهنتك، ولكنني أظن أن ذلك يستلزم تمريناً طويلاً. ها هي ذي الغرفة، ولكنني لا أرى معك حقيبة ثياب أو أي شيء من هذا النوع.»

قالت جوانيتا: «لقد تركتها في السيارة إذ فكرت في أن أحضر للتعارف أولاً، ثم نسيت كل شيء عنها.»

قالت وندي: «سأحضرها لك.»

قالت جوانيتا: «لا داعي لذلك يا وندي. سأحضرها أنا بنفسي.»

قالت وندي: «كلا، بل أنا سأحضرها، فأنت تعرجين على كل حال. لا بد أن أقول يا آنسة سبنسرهيل...»
ونظرت إليها وندي بإعجاب: «أتمنى لو كنت بمثل رشاقتك، ولكن لا يبدو أبداً أنني سأكون كذلك. وقد قال لي غاريت ان لا أهتم لهذا فهو لا يطيق النساء الرشيقات اللاتي يبدين وكأنهن خارجات من واجهات محل الأزياء. ولكن الرجال لا يفهمن في هذه الأشياء، أليس كذلك؟ والآن إجلسي وأريحي ساقك المسكينة. هل اصبت بالتواء في الكاحل أو ما أشبه؟»

تمتمت جوانيتا وهي تجلس: إن وركي هو المصاب.»
وأضافت دون سبب وهي تبحث في حقيبتها عن مفاتيح السيارة: «ولكن ذلك لا يمنعني من الحركة، ولذلك، فليس عليك أن...»

غمزت وندي بعينها قائلة: «ولكنني سأفعل، وسأكون هنا بعد لحظات.»

فكرت جوانيتا، يا للطفلة الفاتنة، إذن فأنت لا تحب النساء الرشيقات، يا سيد ووكر؟ عجباً، ماذا يعني هذا؟

وقفت وأخذت تعرج نحو النافذة وقد قطبت حاجبيها، لتكتشف أن غرفة الضيوف هذه تطل على منظر جميل من ناحية (نيو ساوث ويلز) من جنوب سيدني التي كانت الآن مكسوة ببساط الصيف الذهبي، وقد عبق الجو بأريج بذور الأعشاب الناضجة. وكانت هناك خيول في مرج صغير مسيج بشكل جيد خلف حديقة غير منسقة نوعاً ما.

كان المنزل متسع الأرجاء مبنياً من الحجر المنحوت، له سطح منحدر من الواح الأردواز تخترقه المداخن، وله نوافذ

معقودة رائعة الجمال. وكان البيت لا يزال، رغم قدمه، في حالة جيدة تماماً. ولكنها أدركت، من لون الستائر الباهت وحالة السجاد الرثة أنه في حاجة ماسة إلى التجديد.

شعرت ان اهتمامها بالمكان يتزايد وهي تنظر حولها وذلك بالرغم من شخصية غاريت ووكر المقلقة بما تثيره في أعصابها من مشاعر. كان المنزل يمثل الطراز الذي تحبه، فهو يناسب موهبتها وحبها للآثار، ومقدرتها على مزج الطراز العصري بمنافعه العملية مع الطراز القديم بروعته وفخامته. وكان هناك، بالطبع، التحدي الذي يدفعها، ليس فقط، لأن تقوم بكل هذا العمل لأجل صاحب المنزل، ولكن، لأنه يأتي بعد زمن من الآلام والعزلة. تلك السنوات التي كانت معتبرة فيه، بين أفراد أسرتها، الفتاة الغريبة الأطوار، غير الموهوبة والخالية من الجمال... إنها تريد أن تثبت ذاتها لأسرتها...

قال السيد غاريت ووكر مقدماً الطفلين إليها: «هذا ستيفن وهذه ريبيكا، وهذه الآنسة سبنسرهيل.» وقال موجها حديثه إلى جوانيتا: «ما هو إسمك الأول؟ إنه اسم غريب كما أذكر.» فأخبرته باسمها وهي تقول: «كيف حالكما، يا ستيفن، وأنت يا ريبيكا؟»

كان الطفلان الجالسان إلى مائدة المطبخ هما نفس الطفلين اللذين كانا يتشاجران في الحديقة منذ فترة. ولاحظت وهي تخفي ابتسامتها، كيف يبدوان الآن نظيفين مهذبين. كانا توأمين بشعر أشقر وبشرة نمشاء. ويشبهان وندي بشكل ملحوظ.

قالا بصوت واحد: «مرحبا.»

قالت ريبيكا: «إنني لم أسمع إسماً كهذا من قبل. لماذا تحملين عصا؟»

قالت لها وندي محذرة وهي تحضر إلى المائدة طبقاً يحوي لحوماً باردة: «هذا ليس من شانك. يكفي تصرفاتك السيئة هذا الصباح حتى تأتي الآن وتزيدي على ذلك...»

قاطعتها ريبيكا بحرارة: «لقد سألتها فقط.»

قال غاريت وهو يسحب كرسياً لتجلس عليه جوانيتا: «هذا صحيح.» ووجه حديثه إلى جوانيتا قائلاً: «تفضلي بالجلوس. أرجو أن لا يكون لديك مانع من أن نأكل في المطبخ.» وعاد يقول لريبيكا: «جوانيتا هو إسم اسباني يلفظ بلهجة اسبانية، أي أن الجيم تلفظ (خا) فيكون الإسم خوانيتا. هل فهمتما؟»

أومأ الإثنان برأسيهما الأشقرين.

قال: «حسناً. أما سبب حملها للعصا فلأنها تشعر بألم في وركها.»

قال ستيفن: «لماذا؟»

أجابه: «لأنها... لقد انتهى الموضوع. هيا وتناولا الغداء.» وأردف بلهجة باردة: «إن الأطفال الذين يكثرون من الأسئلة لا يحبهم أحد.»

بحركة واحدة، حول الطفلان انتباههما إلى طعامهما. كان الطعام لذيذاً، مكوناً من لحوم باردة وسلطة وجبن وفاكهة.

أثناء ذلك علمت جوانيتا بأن والدة وندي والتوأمين في المستشفى تخضع لعملية جراحية غير خطرة، وهي بحاجة لفترة نقاهة لمدة شهرين. وان الأب كان قد قتل في حادث

اصطدام بعد ولادة التوأمين بقليل، مما دفع غاريت لرعاية الارملة واولادها، وجعلهم يعيشون في بناء ملحق بالمنزل، وهكذا كان بإمكان وندي أن تنوب عن أمها في إدارة المنزل، وكيف أن الجميع أصبحوا يتولون مسؤولية الطفلين أثناء ذلك، وكيف أنهما الآن خارج المدرسة إذ يمضيان فترة النقاهة من مرض الجدري.

أخيراً قال: «ها انك الآن قد أصبحت لديك فكرة عن كل شيء، يا جوانيتا.»

تمتمت وهي ترشف الشاي: «هذا صحيح.» كان التوأمان قد أبعدا من المطبخ، ووندي تغسل الأطباق وهي تدمدم بلحن جميل مرح.

سألها وقد استند إلى الخلف ومضى يحدق فيها بعينين فيهما بعض السخرية: «أتظنين أنه يمكنك العمل في هذه الظروف؟»

قطبت جبينها إذ لم تعجبها لهجته الساخرة، ولكنها لم تقل شيئاً.

انتظر لحظة ثم عاد يقول: «ظننت أنه ربما يطمئنك كونه ليس ذلك القصر المنيف.»

تلاقت نظراتهما فوق المائدة، ولكن جوانيتا كانت قد عاهدت نفسها، وهي تفرغ محتويات حقيبتها، على ألا تدع نفسها تجر إلى أي موضوع قد يسبب انحرافها عما آلت إليه نفسها من انضباط.

قالت ببرود: «إنني لم أظن ذلك قط. كيف سنبدأ الآن، يا سيد ووكر؟ هل ستطوف بي أنحاء البيت وتعطيني فكرة عما تريد وتقترح، أم أنك تفضل أن أقوم بهذه الجولة وحدي

ثم أقدم إليك اقتراحاتي؟ وإذا لم تكن لديك فكرة، فإنني أظن أن الاقتراح الأخير قد يوفر عليك الوقت.»

قال ببطء: «إن عندي بعض الخيارات الأكيدة يا آنسة سبنسرهيل، مما يجعل وجودنا معاً ضرورياً وإلا، فإن الاقتراح الأخير قد لا يكون وراءه سوى مضيعة للوقت.»

لوت جوانيتا رأسها كما لو كانت تقول، كما تريد فإن النقود نقودك، مما جعله يبتسم ببطء وهو ينهض ليستدير حولها ويمسك لها الكرسي وهي تنهض، ثم يناولها عصاها. ولكن في اللحظة التي وقفا فيها الواحد منهما بقرب الآخر، عاد إليها الشعور بأن هذا الرجل يؤثر عليها بشكل خاص، سواء شاءت هي ذلك أم أبت، وهو يعرف ذلك. ألم يكن الشاهد على ذلك تلك الإبتسامة شبه الساخرة التي تجلت في عينيه حين اشتبكت نظراتهما؟ لقد كانت متأكدة من ذلك حيث شعرت بوجهها يتوهج بحماقة، كما شعرت في الوقت نفسه، بوخزة غريبة من الخوف تتسارع على ظهرها.

قالت في سرها. اللعنة عليك يا غاريت ووكر، هذا في الوقت الذي كانت تقول له فيه: «ربما تحب أن تسير في المقدمة.»

الفصل الثاني

قال غاريت: «هذه هي غرفة سيد المنزل.»

هتفت جوانيتا: «ما أجملها من غرفة.» أفلتت هذه الكلمات من فمها قبل أن تستطيع إيقافها، وجفلت حين رأت النظرة الساخرة التي رمقها غاريت بها، ولكنها أضافت بعناد: «لا أدري ما الذي يدفعك إلى النظر إليّ بهذا الشكل، يا سيد ووكر. إن الغرف هي من شأني الخاص مهما كانت صفتها.»

قال مؤكداً على كلامها: «تماماً. ولكن ما أدهشني أن أرى أن الغرفة الوحيدة التي أثارت اعجابك، هي غرفة نوم.»

لقد كانت غرفة رائعة التناسب ألحقت بها شرفة زجاجية تحوي مدفأة خاصة بها. ومع كل أثاثها الباهت اللون، والسجادة المهلهلة، فقد مثلت، رغم كل ذلك، قلب المنزل.

سمعت نفسها تقول بازدراء: «أطمئنك إلى أن ما قلته لا يحوي أي معنى عميق غامض. هل خيل إليك أنني أعاني من تقدير فائق الحد نحو غرف النوم يا سيد ووكر؟ إن ذهنك هو الذي يبدو أنه يسير في ذلك الإتجاه على الدوام.»

قال بلطف: «إنني هنا، لا أوافقك على هذا. ولكن دعينا من الجدل. وبما أن هذه الغرفة قد نالت إعجابك، فسأمنحك الخيار في تنظيمها. ما رأيك؟»

نظرت إليه بعينين ضيقتين وهي تسأله: «لماذا؟»

قال: «ولِمَ لا؟»

قالت: «حسناً.» وتوقفت برهة، لتلقي نظرة إلى الدفتر الذي بيدها والذي كانت تدون عليه ملاحظاتها أثناء تجوالهما في أنحاء المنزل، ثم استطردت: «إن لك بعض الإختيارات التي ذكرتها، لهذا...» وتوقفت فجأة وهي تهز كتفيها.

قال: «لكنك لم ترفضيها بالنسبة إلى الأشياء الشاذة التي أغفلتها.»

قالت وهي ترفع نظرها: «إنني لم أفعل ذلك. ومن ناحية أخرى، فإن فكرتي عن غرفة سيد المنزل قد تكون مختلفة تماماً عن فكرتك. ولهذا أظنك، على الأقل، يجب أن تخبرني عما إذا كنت تريدها ذا طراز أنثوي...» وتوقفت برهة ثم عادت تقول: «من الأفضل، بطبيعة الحال، أن تشارك سيدة المنزل في تصميم ديكور هذه الغرفة.»

قال: «هذا صحيح بالنسبة إلى المنزل بأجمعه، لولا أن ليس هناك سيدة للمنزل.»

قالت: «هذه مشكلة حقاً. ومن هي آخر سيدة استعملت هذه الغرفة.»

قال: «زوجتي.»

لم تستطع مقاومة صدمة خفيفة بدت في عينيها وهي تقول: «لم أكن أعلم بأنك كنت متزوجاً.»

قال: «وكيف لك أن تعلمي؟»

قالت متلعثمة: «لا... ليس ثمة سبب كي... كي...»

ابتسم برصانة وهو يقول: «إنها مثلك يا آنسة سبنسرهيل، قد تعرضت لحادث اصطدام، ولكنها تختلف

عنك بأنه كان حادثاً قاتلاً... وكان ذلك منذ سنوات أيضاً.»

قالت جوانيتا بارتباك شاعرة بالتطفل: «إنني آسفة.»

قال: «لا يساورك الظن بأنك ستمحين آثارها، ذلك أن كل الأثاث في هذا المنزل كان قبل أن تأتي هي إلى المنزل بوقت طويل، ولم تجد الوقت لكي تضع بصماتها عليه.»

قالت مترددة: «لقد فهمت، حسناً...»

فقال ببرود: «ماذا؟»

عبست جوانيتا. ولم يمكنها تفادي التفكير في نوع الشعور الذي يخفيه خلف مظهره الجامد هذا إزاء فقدانه لزوجته. وقالت تحدث نفسها، إنني لا اتوقع منه أن يكشف نفسه، ولكن لماذا يتملكني شعور بأن ثمة خلافاً كان بينهما؟

ما لبث أن قال: «إسمعي. إنني أكره التخاريم والدانتيلا والأشرطة والساتان وما أشبه، وكذلك الدمى والملاآت الحريرية. هل هذا يساعدك في التصميم؟»

قالت بجفاء: «نعم.»

رفع حاجبيه مرحاً وهو يقول: «إنك تقولين هذا وكأنني أتهمك بحب هذه الأشياء. ولكنني لم أقصد ذلك. إنني... إنني أرجو أن يكون ذوقك أكثر رقياً ورشاقة.»

قالت قبل أن تستطيع إمساك نفسها: «إنه كذلك، ولو أنني أجد عدم تناسب بين ما تقول وما تعتبره بالنسبة لكلمة رشاقة هذه. مثلاً، بالنسبة للنساء اللواتي يبدون وكأنهن خارجات من واجهة محل الأزياء.»

توقفت فجأة متمنية لو أنها لم تقل ذلك. واستقرت عيناه فترة على وجهها دون أي تعبير فيهما، ثم قطب حاجبيه

قائلاً: «إن في هذا إنذاراً. لماذا تفترضين أن كلامي هذا يعنيك أنت؟ أوضحي لي الأمر يا جوانيتا...»

عضت على شفتها، ولكنها لم تستطع أن تهرب من نظراته المتمعنة فيها، وقالت: «لقد سبق واخبرتني انني رشيقة، مع انك كنت قد أخبرت وندي أنك تكره...»

قال بلطف: «آه، لقد تذكرت. إنني بوجه عام، أكره هذا النوع من النساء، ولكنني قلت هذا لوندي في مرحلة كانت هي فيها تحاول أن تتمثل بنساء في الثلاثين. أما رشاقتك، يا آنسة سبنسرهيل، فهي من نوع مختلف. فهدئي من نفسك.»

فانفجرت قائلة: «وكيف؟» وما لبثت أن ندمت على قولها ذاك، وأخذت تتساءل عما حدث لها، ثم عادت تقول: «هذا غير مهم.» ثم تحولت وجلست على حافة السرير ملقية عصاها إلى جانبها. نظر إليها متفرساً فيها برهة، ثم سحب كرسياً من جانب المدفأة ليضعها قبالتها وجلس عليه وهو يقول: «سأخبرك.» وأراح مرفقيه على ذارعي الكرسي، متابعاً كلامه: «إن الرشاقة هي حالة ذهنية، كما أرى. إنها لا تتبع الإنقياد إلى آخر طراز أو ما أشبه من تفاهات، ولا هي تستوجب أناقة زائدة عن الحد. هل في هذا جواب عن سؤالك؟»

قالت: «ولكن، المفروض أن تعرفني بشكل أفضل لكي تتأكد من امتلاكي لتلك الحالة الذهنية التي لا أبدو فيها كما لو كنت خارجة من واجهة محل أزياء.»

قال ببساطة: «كوني كاتباً فإنني أميل إلى دراسة الطبيعة البشرية.»

قالت بحدة: «لا بد أنك، إذن، تعرفني أكثر مما أعرف نفسي.»

قال: «هذا ممكن.»

قالت: «كلا. هذا غير ممكن. إننا لم نتعارف إلا منذ وقت قصير.»

قال: «كله سواء، ولا أظنني مخطئاً. وأنت؟ ما الذي يسيئك بالنسبة لهذا الأمر؟»

وقفت جوانيتا، ثم أخذت تعرج إلى النافذة، وقالت بحدة: «ولكن هذا أمر شديد الخصوصية.»

قال متهكماً: «إنك أنت التي أثرت الموضوع.»

قالت: «كلا. أنك أنت الذي أثرته بالدرجة الأولى عندما لم أكد أمضي هنا خمس دقائق، فإذا بك تشعرني بالضيق من ناحية غرفة النوم.»

قال ببطء: «يا عزيزتي، إن حساسيتك تحيرني، وإنني لأتساءل عما يمكن أن يكون وراءها. هل يمكن أن تكوني تواقة إلى أن يأخذك رجل غريب إلى غرفته؟ إنك تعرفين أن كلاً منا له تصوراته الخاصة، فلا شيء يستوجب ذعرك من ذلك، ولكن...»

قالت بحدة: «إذا كان ثمة من يعاني من التصورات الشاذة، فهو أنت.»

قال بجفاء: «على افتراض أنني أعاني من تصورات شاذة فيما يختص بك، يا آنسة سبنسرهيل، فإن عندي شعوراً أننا لسنا مختلفين تماماً.»

استدارت إليه بعينين قاتمتين، ثم قالت فجأة وقد انتابها الإضطراب: «و... ولكنني لم... لم أفعل شيئاً يجعلك تـ... تظن ذلك.»

كان احتجاجها وتلعثمها واضطرابها بسبب جفاف لهجته فقط وطريقته الفضولية وهو يقول ما قاله، وتعبيراته المختلفة خصوصاً وهي تتذكر كيف سبق وأوقفها اقترابه منها في طريقها.

ابتسم دون اكتراث ولكن بسخرية لا رحمة فيها وقال: «نعم. ليس من المستحيل في الحقيقة، أن تتفق تصوراتنا رغم قصر مدة تعارفنا. إن الطبيعة البشرية غريبة جداً، والطبيعة التي تحدّد مشاعر الجنسين هي أكثر غرابة. ألا توافقينني على ذلك؟»

حدقت جوانيتا في وجهه ولم تستطع أن تقول سوى كلمة واحدة هي: «نتفق...؟» ثم، لذعرها، وجدت نظراتها تتحول دون إرادة منها، نحو السرير.

قال بجمود: «طبعاً. يجب أن نتأكد من حقيقة التفاعل الكيميائي، وإذ ذاك، قد لا يكون غريباً أن تنتهي رحلتك في فراشي، لأسباب إخرى.»

قالت هامسة بينما وجهها يتناوبه الشحوب والتورد: «ما... ماذا؟ لا بد أنك تمزح؟»

قال برصانة: «كلا، ابداً إنني أملك الكفاية من المال والشهرة لكي... لكي تلاحقني النساء من وقت لآخر.»

شهقت قائلة: «هل تتهمني بأنني أتستر وراء مهندسة ديكور داخلي؟ هل تظن...؟»

قال متفكها: «كلا، إنني فقط، أريدك أن تعلمي أنه، بينما تشعرين بالإنزعاج إذ تجدين نفسك ملاحقة من رجال لا تكادين تعرفينهم، فإنني أنا أعاني من نفس المشكلة بالنسبة لبعض النساء...»

لم يتم كلامه إذ أن جوانيتا قذفته بدفتر الملاحظات الذي في يدها، ولكن الدفتر أخطأ الهدف، وانحنى غاريت يلتقطه من حيث سقط على الأرض بجانبه ثم أخذ يسوي من صفحاته قبل أن يتطلع إليها قائلاً: «إذن، فإن لك طباعاً حادة أنت أيضاً؟ هيا تابعي.» قال ذلك بحسرة وهو يتابع: «يمكنني أن أتنبأ بقرب حدوث أشياء هامة بيننا.»

قالت وهي تصر على أسنانها: «إنك شخص كريه، يا سيد ووكر. إنني لست واحدة من تلك النساء، وبالرغم من تمنياتك، فإنه لم يحدث عندي تصورات تتعلق بك قط.»

قال: «هذا حسن، والآن، هل يمكننا أن نتابع جولتنا؟»

حدقت فيه وصدرها يعلو وينخفض، ثم التقطت العصا، وسارت أمامه.

قال: «والآن، ها قد تمت جولتنا. هل أنت متعبة؟»

هزت جوانيتا رأسها نفياً وما زالت عيناها ملتهبتين مما أرسل إلى شفتيه ابتسامة خفيفة.

هذا لا يهم، لقد كانت مسرورة أخيراً، بجلوسها في مكتبه على الأقل لتتمكن من تمالك نفسها وجعل عقلها يعمل من جديد لتبدأ من ثم في الندم إذ سمحت لنفسها بالخروج عن تعقلها وهدوء أعصابها إلى درجة قذف الأشياء... وإطلاق العنان لتصورات لا تصدق...

سألها: «ما الذي تفكرين به؟»

ألقت نظرة على الدفتر في يدها وهي تقول بجهد: «إنه تصميم كبير.»

قال: «كان يجب أن يتم هذا منذ سنوات، كما ترين. ولكن هيكل المنزل قوي. وهو مرمم بشكل جيد.»

قالت: «نعم. إنه كذلك.»

قال: «أتظنين أنه ليس في استطاعتك القيام بذلك؟ أم أن الشكل الذي أردته عليه لم يلق استحساناً منك؟»

صمتت جوانيتا مفكرة. ذلك أن الخطوط العريضة التي حددها لمفهومه العام عما يريده أن يكون، قد نال حتى الآن، موافقتها كلياً. وكذلك رغبته في الإحتفاظ بقدر الامكان، بقطع الاثاث القديمة، كذلك كان قد قال انه لا يريد أن يعيد العهد الذي وضع فيه تصميم الأثاث وزخرفة المنزل، قائلاً بالحرف الواحد: «وبكلمة أخرى فإنني لا أريده أن يبدو كالمتحف.»

أجابته مرغمة: «على العكس. إن رأيك يوافقني.»

قال وقد ضاقت عيناه الزرقاوان وبدا عليه الآن نفاد الصبر بشكل واضح: «وما هي المشكلة إذن؟»

قالت: «إن الديكور الداخلي للمنزل، يستلزم أشياء أخرى أكثر بكثير من مجرد اختيار الألوان وما شابه. إنني أحب أن أمضي وقتاً طويلاً في دراسة أشياء مثل فعالية الإضاءة في كل غرفة، وضعية الغرف، وهل هذه الغرفة، مثلاً غرفة مشرقة عملية، أم هادئة آمنة؟ وهكذا... إنني أحب، وهذا من الصعب شرحه، أن أشعر بروح المنزل ومن يقيم فيه.»

قال: «لقد سبق وأخبرتك أنني أطلق يدك في هذا الأمر.»

قالت: «ولقد أخبرتك بدوري، أنني سأختصر الوقت بقدر ما أستطيع. يجب أن أعترف بأنني قد اندفعت بذلك الكلام من وحي اللحظة مما قد أكون ضللتك. إن مهمة كهذه تستغرق شهراً على الأقل، هذا إذا استعجلنا في الأمر. ولكن، لا يعني

هذا أنني سأمضي كل هذا الوقت في المنزل هنا. ولكني سأتردد إلى المنزل كثيراً، وهذا أمر غير سهل.»

قال: «هل ما تريدين قوله في الحقيقة، هو أنك لا تمانعين في قضاء هذا الوقت في منزلي؟»

أخذت جوانيتا نفساً طويلاً، ثم قالت بحذر: «أريد أن أقول إنه قد تحدث بيننا مشاكل فيما لو عملنا معاً متقاربين إلى هذا الحد.»

قال ببطء: «ها قد بدأنا من جديد. إن احتمال أن تتهدد وظيفتك إذا ما تخليت عن هذا العمل، يبعث على الظن بأنك تحاولين تدمير نفسك، يا آنسة سبنسرهيل. لماذا ترينها مشكلة؟ هل لأنني أسبب لك مضايقة في بعض النواحي، ولمجرد أنك تشعرين بوجودي قربك؟ وأن منزلي يسبب لك انزعاجاً؟» لوى شفتيه وهو يقول ذلك.

«لأنني أظن أنك تتجاوز حدودك لكي تغضبني.»

قال: «كيف؟»

احمر وجهها غضباً وهي تقول: «إنني لا أصدقك ولكن هاك مثلاً لذلك... لقد حاولت أن تحمل جملة عادية على معنى... م. م... معنى آخر!»

انفجر ضاحكاً ثم قال: «إنني أعتذر. إنني لم أستطع مقاومة ذلك. حسناً. ربما كانت بدايتنا خاطئة. وزلة لسان تدعو إلى الأسف. الرجال والنساء يتمازجون دوماً، ولكنني ما زلت أنكر أن تصرفي معك كان نابعاً عن شيء غير أنك مجرد امرأة مدهشة غير عادية، هذا إلى أن فيك ضعفاً مما يجعلك مزيجاً غريباً من صفات متناقضة، ولا شيء أكثر من ذلك... كيف أمكن ذلك؟ كما أن حساسيتك الزائدة تلهب

الأشياء. هل نجرب طريقة ما لتحسين العلاقة بيننا يا آنسة سبنسرهيل؟ هل تعانين من كره عميق خفي لجنس الرجال؟ هل...»

قاطعته: «كلا.»

قال: «كلا... فقط؟»

قالت بثبات: «كلا فقط.»

قال: «حسناً، إذن...» وأخذ يفكر مقوماً الأمر دون أن يحفل بنظراتها اللاذعة التي رمقته بها، وتابع: «يجب أن أخبرك أن ليس عندي فكرة عما سيتكلفه كل هذا لكي أخصص مبلغاً له.»

لم تستطع تمالك نفسها أكثر من ذلك، لتقول: «ويجب أن أخبرك أنا كذلك أنه بالرغم من طريقتك في المزاح الذي يقع عادة بين الرجال والنساء كما تقول...»

أطلق شتيمة وهو يقول: «ماذا تراك تكونين؟ تقية متنكرة؟»

قالت: «كلا بالطبع، ولكن مجرد امرأة لا تريد أن تعرض نفسها أياماً وأسابيع لأشياء من ذ... ذلك النوع.» وما أن قالت ذلك حتى ساورها الندم لتلفظها بهذه الكلمات التي تدل على الغرور والتفاهة.

قال ببرود: «إذا كنت تتصورين أنني أخطط للعب والمزاح معك هذه الأسابيع، يا آنسة سبنسرهيل، فأنت مخطئة. والآن، هل ستقومين بهذا العمل أم لا؟»

ترددت. لم يكن جالساً على مقعد، بل كان واقفاً مستنداً بكتفيه العريضتين إلى رف كتب.

كانت الكتب تغطي جدارين من تلك الغرفة بشكل كامل.

وكان ثمة آلة كاتبة على مكتب آخر وأكداس من الأوراق وكتب على رفوف أخرى على الجدار. ولوحة تمثل منظراً طبيعياً في إطار مذهب معلقة على الجدار المغطى بورق أخضر داكن اللون.

كان ثمة سجادة على الأرض تتألق بالألوان الأخضر والذهبي والياقوتي. كانت الغرفة غير منظمة، ولكنها، مختلفة عن بقية الغرف، كما أدركت فجأة، كان قد تمّ إصلاحها وزخرفتها، فعلمت أنها لن تحتاج إلى أي جهد. وهكذا، لو كان هو قد قام بنفسه بذلك فهذا يعني أن ذوقيهما متشابهان.

سألته: «هل أصلحت هذه الغرفة بنفسك؟»

قال وهو يرفع حاجبه متسائلاً: «نعم. هل ثمة اعتراض عليها؟»

هزت رأسها نفياً بشيء من الإضطراب ثم قالت فجأة: «سأقوم بذلك العمل. ولكن، هنالك شيء آخر.»

قال عابساً: «وما هو؟»

قالت: «هل تعيش هنا وحدك تماماً؟»

ضاقت عيناه وهو يسأل: «لماذا تسألين عن هذا؟»

قالت: «حسناً، إن هذا يعني أن البيت ليس له ميزة خاصة.» وتوقفت قليلاً ثم عادت تقول: «هذا ليس صحيحاً تماماً... حسناً، إنني أسأل لأنه من الصعب معرفة...» وتوقفت عن الكلام وقد شعرت بالإحباط ثم عادت فقالت بجمود: «إن الأمر يبدو صعباً نوعاً ما إذا لم يكن ثمة امرأة في المسكن. هذا كل شيء. ولقد سبق وذكرت هذا.»

تفرس فيها بنظرات غامضة ثم قال: «لقد قلت هذا

www.elromancia.com

بالنسبة لغرفة سيد المنزل. على كل حال، قد توضحين هذا الأمر فيما بعد.»

تنفست جوانيتا بثبات ثم قالت بعد لحظة: «النساء عادة أكثر معرفة بشؤون منزلهن، وليس بغرف نومهن فقط، فهن عمليات من هذه الناحية...» وحدقت فيه متوقعة منه أن يضحك، ولكنه لم يفعل وتابعت: «لأنهن عادة يمضين معظم أوقاتهن في البيوت وهن اللاتي يدرنها. وإذا كان ثمة لون أو ما شابه لا يعجبهن فهذا يعني لهن الكثير.»

قال: «معنى هذا أن كل مجهودك سيكون عبثاً إذا ما جاءت زوجة لي لم يعجبها عملك. ليس عندي أية خطة في هذا الموضوع. وأنا لا يمكن أن أترك المكان ينهار في هذه الأثناء. أليس كذلك؟»

قالت وهي تعض شفتيها: «كلا، كلا.»

قال: «وماذا بالنسبة للآن؟»

قالت: «لم أكن لأحاول أن...»

قال: «أن تتدخلي في ما لا يعنيك؟»

قالت: «كلا، لم أكن أحاول. ربما لأنني لم أعمل مع رجل من قبل، على الأقل في مسألة البيوت هذه، ولهذا أشعر بشيء من الإرتباك والحيرة.»

قال بأدب: «هذا لأنك امرأة.»

قالت بجفاء: «أعلم ذلك.»

قال: «ولكنك، قبل ذلك، لم يظهر عليك أنك تولين هذا الأمر أية أهمية.»

قالت: «إنه ليس... إنني لست المرأة التي ستعيش في هذا المنزل...»

قال بهدوء: «فليساعدها الحظ.»

احمر وجهها وهي تقول: «إنني لم أقل هذا.»

قال: «ولكن هذا ظهر على وجهك.» وتقدم فجلس على حافة المكتب ونظر إليها باهتمام مبالغ فيه أدركت خلاله أنه يسخر منها.

صرت بأسنانها قائلة: «لا تبدأ من جديد، يا سيد ووكر.»

لمعت عيناه بالمكر، ولكنه قال بأدب: «حسناً، لا أدري ما الذي في شخصك يدفعني إلى هذا. ولكن عليّ أن أكبح هذا في نفسي. وسواء صدقتني أم لا، فإنني أقدر الطريقة التي استوعبت فيها هذا المنزل. حسناً، إنه غير مسكون حالياً. إذ أنني قد أمضيت معظم الوقت في طواف حول العالم أفتش عن مواضيع لكتبي، أما بقية الأسرة، وهم ستة من الأخوة والأخوات، فقد ذهب كل منهم في طريقه وهم يحبون أن يزوروا المنزل من وقت لآخر. ولكنه يحتاج إلى امرأة تهتم به، عدا عن مدبرة منزل. وبما أنني لست مصمماً على الزواج مرة أخرى، فمن المحتمل أن يبقى هكذا. ولكنه كان منزلاً سعيداً مريحاً في أيامه فإذا كان في إمكانك أن تضيفي لمساتك الأنثوية العملية، أظن أن هذا أفضل ما يمكن عمله. أليس كذلك؟»

فتحت عينيها دهشة، فقد بدا هذا لها معقولاً. وقالت: «نعـ... نعم.» وترددت قليلاً.

ثم هزت كتفيها واستطردت: «لا بأس، حسناً، قد يمكنني عمل شيء الآن. ربما أنت تريد أن تقوم بعمل ما.»

قال بفضول: «وما الذي ستقومين بعمله؟»

قالت: «سأقوم بعمل بعض التخطيطات، وبعض القياسات

ثم التقط بعض الصور الفوتوغرافية، لا أظنك تملك الخطط الأصلية.»

قال: «في الحقيقة أنا أملك ذلك.»

تألقت عيناها وهي تقول: «أوه، هذا رائع. إن عندي كذلك بعض العينات في سيارتي ربما تحب أن تلقي عليها نظرة. ولكننا قد نترك ذلك إلى ما بعد.»

كانت تتكلم بسرعة جعلته يبتسم قائلاً: «لا تهتمي بذلك. إنني مصمم على ترك كل شيء لك. أتعلمين أنك الآن تبدين مختلفة جداً عما كنته منذ لحظة واحدة. صرت رائعة الجمال مليئة بالحيوية.»

نظرت جوانيتا إلى يديها وقد انتابها الإضطراب والإنزعاج منه مرة أخرى، راجية أن لا يلاحظ انزعاجها مما قال.

قال فجأة مخترقاً الصمت: «منذ متى وقع لك هذا الحادث يا جوانيتا؟»

نظرت إليه قائلة: «منذ ثلاث سنوات.»

قال: «هذه مدة طويلة نوعاً ما.»

قطبت جبينها قائلة: «أعرف ذلك. ولكن كسور العظام تأخذ وقتاً طويلاً لكي تشفى، وقد حدثت لي كسور عديدة مما جعلني لا أستطيع السير مدة طويلة. ولكنني بحالة حسنة جداً الآن.»

قال: «وقبل الحادث؟»

قالت: «ماذا تعني؟»

قال: «كيف كانت حياتك؟»

أخفضت عينيها قائلة: «ربما كانت مثيلة لحياة أي إنسان آخر.»

قال: «هل كنت دوماً تطمحين إلى أن تعملي بالديكور؟»

قالت: «إنني...» وتوقفت برهة ثم قالت: «كلا، لم أكن متأكدة تماماً مما أردت أن أكون، أو أن ثمة عمل أصلح له.»

قال وقد ضاقت عيناه: «هذا يدل على قلة ثقة بالنفس.»

قالت: «أصحيح هذا؟ ولكن كثيراً من الناس لا يعرفون ماذا يريدون أن يعملوا.»

قال: «ولكن، بالنسبة إليك هو أنك لم تظني انك قد تصلحين لشيء.»

فكرت جوانيتا لحظة راجية أن لا يخمن إلى أي حد كان كلامه صحيحاً. ثم قالت: «معك حق. كان للتأتأة التي أعاني منها دخل في ذلك ثم...» وترددت قليلاً، ثم استطردت: «ثمة أشياء أخرى...»

قال: «وما هي؟»

تنهدت قائلة: «لا أدري لماذا تهتم بهذه الأشياء، ولكن ربما إذا نحن أخرجناها إلى العلن وتخلصنا منها، يمكننا بعد ذلك أن نقوم بالعمل معاً. أظنني ولدت واحدة من أولئك الأشخاص الخجولين المرتبكين بطبيعتهم. وقد كنت، بالتأكيد، العضو الوحيد غير الموهوب غالباً. ولا ألوم أمي عندما كانت تتساءل دوماً عما إذا كنت قد استبدلت في المستشفى بطفلة أخرى عند الولادة. حتى أنني لم أكن أشبههم كثيراً. وفي طور المراهقة وبعدها، كنت فتاة مرتبكة. وبعد ذلك حدثت أمور اجتزتها. وإن تساءلت عما إذا كان أي من تلك الأشياء تسبب في ما قد يبدو عليّ من شكوك معينة فقد يكون هذا صحيحاً، ولكن الوقت الذي أمضيته قعيدة كرسي متحرك جعلني أدرك كم كنت محظوظة قبل

ذلك، وجعلني أصمم على أن لا أمضي بقية حياتي أسيرة شعوري بالنقص، وأن أفتش عن عمل أقوم به.»

تمتم: «فهمت. طوبى لك مرة أخرى. وكيف حصلت على هذه الوظيفة؟ أعني في شركة مشهورة في مضمار الديكور الداخلي. وعملاؤهم هم من أفضل الناس. هكذا قالوا لي.» وبدا عليه المرح وهو يقول ذلك.

قالت: «كنت قد درست الفنون قبل الحادث. وأثناء العلاج درست الديكور بالمراسلة، في الواقع، لقد اخترت دراسة هذا الفن عشوائياً دون قصد، وإن كنت دوماً أعشق الأثاث والخشب وما إليهما، ولم يمض وقت طويل حتى كانت هذه المهنة قد خلبت لبي. وحالما صرت في حالة تمكنني من العمل، قبلت أول عمل حصلت عليه، وهو الذي مع الشركة الحالية (بلومون). ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل معهم.»

قال مرحاً: «لا بد أن عندك استعداداً طبيعياً لذلك، وإلا فإن سنك لم يكن ليسمح بإطلاق يدك هكذا.»

ابتسمت جوانيتا بهدوء قائلة: «إنها مهمتي الرئيسية الأولى، فأنا ما زلت تحت الإختبار.»

قال: «كان من الممكن أن أخدع بك.»

نظرت إليه بندم قائلة: «حسناً، ها قد عرفت الآن. لقد تغيرت من العي في اللسان إلى الثرثرة. هل يسؤك كثيراً أن أستلم العمل؟»

قطب حاجبيه قائلاً: «إنها ليست ثرثرة بالضبط، ولكنها نوع من الدفاع، تقريباً، وكأنما هناك شيء ما في شخصي جعلك تقفين موقف الحذر حتى قبل أن تقابليني.»

نهضت جوانيتا وهي تسأله متهكمة: «ألا تظن أن شعوري

هذا يعود إلى الطريقة التي استقبلتني بها في البداية؟»

حرك يده القوية بكسل وعيناه تلمعان بسخرية وهو يقول: «أظن الأمر كان أكثر من هذا.»

عضت جوانيتا شفتها، ثم حاولت أن تقول بمرح: «كلا. ما... متى وقت العـ... العشاء؟»

قال: «ما الذي فعلته أنا لكي يجعلك متوترة، تتلعثمين بهذا الشكل؟»

قالت وهي تتجه نحو الباب: «كـ... كلا... لا شيء.» ولكنها شعرت بقطرات العرق تندي رقبتها. وعجبت لما حدث لها.

أمسكها عند الباب وقد سبقها بإمساك قبضة الباب قائلاً: «لا بد أن يكون هنالك شيء. لقد ظننت أننا سنتخلص من كل مشكلاتنا.»

قالت: «ولكننا فعلنا ذلك.»

قال: «أخبريني بشيء آخر. هل هناك سبب وجيه جعلك تكرهينني لي منذ الوهلة الأولى يا جوانيتا؟ هل سبق وسمعت أو قرأت عني شيئاً لم يعجبك؟ إنني أؤكد لك أن تسعة أعشار ما يقوله الناس عن أمثالي هو من المخيلة.»

قالت منكرة: «كلا. أعني أن الشيء الوحيد الذي أعرفه عنك هو ما سبق وشاهدته على التلفزيون مرة. إنني... إنني... لم... لم يسبق أن قرأت كتاباً من تأليفك.»

قال متعجباً: «ما أسوأ هذا. لِمَ ذلك؟ إن كتبي جيدة كما تعلمين.»

أجابت متعجبة بدورها: «يا للتواضع. قد تكون كتبك كذلك ولكنها ليست من النوع الذي أحب قراءته.»

قال: «وكيف تعرفين نوع كتبي إذا كنت لم تقرأي واحداً منها؟»

تنفست جوانيتا بعمق وهي تقول: «حسناً، سأفعل ذلك. أظنك قلت انك ستجعلني أنسجم معها؟»

قال ببطء: «هذا لا يكون إلا إذا عدت إلى التوائك ومرارتك مرة أخرى.»

صرخت قائلة: «كلا.»

ساد صمت مفاجيء. كانت جوانيتا تحدق فيه وقد صعقت لتصرفها هذا. وبقي هو صامتاً يمعن النظر في ملامحها وفي نظراتها وفي الطريقة التي كانت تتنفس بها.

همست: «أوه،» ثم استدارت تبغي الهرب، ولكنه أمسك بمعصمها بقوة جعلت من المستحيل عليها تخليصه منه.

قال محذراً: «إنني لن أدعك تذهبين يا جوانيتا، قبل أن أعرف لماذا أنت في هذه الحالة.»

قالت: «إنني لست في... ليس لك الحق... إن ذلك لأنك صعب تريد أن تنتزع الحقائق الشخصية من الغير بشكل غير معقول. يجب أن تضع نهاية لذلك.»

فبدت عليه خيبة الأمل وهو يقول: «لقد قلت لك الآن فقط إن هذا لأنني كاتب وكذلك تلميذ أدرس الطبيعة البشرية. حسناً، وحالتك هي قسم منها.» ونظر إلى معصمها في يده دون أن يفلته، ثم تابع قائلاً: «ألم يكن هنالك رجل في حياتك يا جوانيتا؟»

قالت بحدة: «هذا من شؤوني الخاصة. إسمع، كيف سيكون جوابك لو أنني سألتك لماذا لم تتزوج مرة أخرى أو... أو...»

سكتت وهي تفكر في شيء آخر مماثل، وأدهشها أن تجد نفسها تقول: «أو أنني أردت أن أعرف ما الذي أعطاك الحق في أن تجعل السيدة التي تقوم بالمقابلة معك، تجعلها تنهي ذلك بابتسامة بلهاء غبية، ثم تظن أن بإمكانك أن تقوم بنفس الشيء معي. كلا لا تضحك.» وأنهت كلامها بأسنان مطبقة.

قال برصانة: «إنني لا أستطيع تجنب ذلك. إنني لم أقصد أن أجعلها تبدو بلهاء غبية.»

قالت: «فليكن الحظ إلى جانب المرأة التي تتصرف أنت معها بهذا الشكل.»

قال: «يا عزيزتي، لقد كان هنالك نوع من تباين الأفكار بيننا لم تنتبهي أنت إليه. لقد كنت علمت مسبقاً أن لورا هينيسي لم تكن تقدر كتبي وكانت تعتقد أنها لا تستحق الشهرة التي نالتها، لقد كان رأيها كرأيك كما أظن.»

قالت: «ومن أخبرك بذلك؟»

قال: «لقد أخبرتني بذلك سكرتيرتها التي تدبرت أمر المقابلة.»

قالت جوانيتا ببرود: «لقد وجدتما فرصة لاغتيابها إذن.»

قال: «لقد تحدثنا عنها بشكل حسن.»

قالت: «هذا لا يغير من الأمر شيئاً.»

قال ببراءة: «بل اعتقد ذلك.»

قالت بازدراء: «وهكذا شرعت بتحطيم لورا.»

قال بلهجة مختلفة: «كلا. لقد شرعت بالدفاع عن حقي في أن أكتب ما أريد والدفاع عن الأشخاص الذين يستمتعون بقراءة كتبي، والذين يبلغ عددهم الملايين. ولما وجدت هي

أنها لم تستطع أن تهزمني، لم تجد سوى أن تقول ان ليس لكتبي قيمة أدبية مرموقة استناداً إلى المفهوم العام للكتب التي لا تجلب رقماً عالياً في المبيع، كما أوضحت أنا لها. أما السبب الذي جعلها لا تستطيع التغلب على من تجري معه المقابلة، والذي يماثلها ثقافة، فهذا ليس من شأني ولست مسؤولاً عنه.»

قالت جوانيتا ببطء: «كلا؟» وعادت بذاكرتها إلى تلك المقابلة التي كانت قد نسيت بعض شواهدها. وتابعت: «إن درساً يمكن أن يكتسب من وراء تلك المقابلة.»

قال: «وهل كان ثمة درس؟»

أغمضت عينيها وقد تضايقت لأنها أفصحت عن أفكارها. وعندما فتحتهما وجدت نفسها تحدق مباشرة في عمق عينيه الزرقاوين، وفجأة وجدته يدعك بإصبعه باطن معصمها بلطف.

تمتم قائلاً: «ماذا كنت تقولين؟»

وكانت هي تخاطب نفسها. إياك أن تستخف بمقدار جاذبيتك للنساء، وأنا لا أصدق أنك لا تدرك ذلك، أو أنك تتعمد عدم استعمالها، في طريق غير شريف... أظن هذا ما كنت أقول، مع أنني لا أريد أن أقوله لك... كانت هذه الأفكار تجول في ذهنها. وهكذا لا أدري ماذا أفعل أمام الحقيقة التي تسمرني في مكاني لا أستطيع الفكاك من قبضته... أم لعلني لا أريد؟

قالت أخيراً: «هذا لا يهم. والآن، هل لك أن تدعني أذهب؟»

رفع معصمها ينظر إليه متفحصاً برهة، ثم ما لبث أن ترك

يدها قائلاً: «أرجو ألا تكون أصابعي قد تركت علامة على معصمك. كان يجب عليك أن تخبريني أنك تناصرين لورا هينيسي، ونصيرة المرأة بوجه عام.»

قالت وهي تعض على شفتها: «هذا ليس صحيحاً، أعني ليس أكثر من الحد الطبيعي. ثم أن الكيفية التي تدير بها معارك مع الآخرين، لا دخل لي أنا فيها.»

قال مبتسماً: «حتى ولو نزل قدري في عينيك أكثر من ذلك؟»

لكنها لم تجب.

رفع حاجبه، ثم قال: «حسناً، يمكنك الذهاب. يمكنك أن تستعملي كل التسهيلات المتوفرة في المنزل. ثمة بركة للسباحة خلف المنزل. وخيل للركوب وهكذا...»

قالت: «شكراً، ولكنني لا أحسن الركوب.»

قال: «هل تحسنين السباحة؟»

قالت: «نعم.»

قال: «هذا حسن. بالمناسبة، وقت العشاء هو في الساعة السابعة.»

الفصل الثالث

شكراً لوندي.

شعرت جوانيتا ببعض الضيق بعد إذ علمت أنها ستتناول العشاء مع غاريت بمفردهما.

قالت لوندي بعد أن أنهت عملها، ودخلت هذه إلى غرفتها لتطمئن إلى أنها لا تحتاج شيئاً ولتخبرها بذلك. قالت جوانيتا: «ليس ثمة حاجة لذلك. ألا يمكن أن نتناول العشاء جميعاً كما سبق وتناولنا الغداء؟»

فقالت وندي برصانة: «حسناً، إننا، عادة، نفعل ذلك، ولكنني أحب أن أستثنى من ذلك عندما يكون ثمة ضيف لغاريت. إنني لم أفعل ذلك من قبل. لقد كنت متشوقة لإغتنام فرصة وجود أمي في المستشفى لكي أطبخ وجبة خاصة وأنظم المائدة في غرفة الطعام. لقد طلبت ذلك من غاريت فقال لي لِمَ لا؟ إنني سأبدأ بأخذ دروس في تجهيز الطعام حالما تعود أمي، وغاريت سيساعدني في دفع النقود لذلك، مع انني مصممة على تسديد كل ما سيدفع بالطبع. إنني أعشق الطبخ.»

كان من المستحيل تقدمة أي اقتراح آخر إزاء هذا الحماس المشرق. وتمتمت جوانيتا: «شكراً جزيلاً. إنك محظوظة إذ تكونين في هذا المركز في غياب والدتك في المستشفى.»

قالت وندي: «إننا محظوظون منذ اليوم الأول لوجودنا

في هذا المنزل. أتصدقين أن ستيفن وريبيكا أصابهما مرض الجدري في اليوم التالي لدخول أمي المستشفى؟ لا أدري ما الذي كنت سأفعله لولا غاريت.»

قالت جوانيتا مبهورة دون وعي: «وهل ساعدك؟»

«إنه طيب جداً مع الطفلين. كان يقرأ لهما القصص والألغاز، وليس هناك من يستطيع تهدئتهما كما يفعل هو، حتى أمي نفسها. من المؤسف جداً.»

قالت جوانيتا: «ما هو المؤسف؟»

أجابت وندي: «انه فقد طفله. وزوجته كذلك طبعاً. لقد قتلا في حادث سيارة. هذا قبل حضورنا إلى هنا. كان الطفل صغيراً جداً. أوه، الأفضل أن أركض خارجة وإلا فإن طعامي سيحترق. هل ستغيرين ثيابك؟»

نظرت إليها جوانيتا ثم قالت ببطء: «بالتأكيد.» وابتسمت لها وندي ثم اندفعت خارجة.

«ماذا يوجد هنا؟» سألت جوانيتا نفسها وهي تفتح خزانتها تتأمل في محتوياتها من الملابس، وذلك بعد خروجها من الحمام.

في النهاية، أخرجت تنورة عملية وقميصاً حريرياً بدون أكمام وبلون القشدة، ذا حزام أسود لامع يلتف حول الورك. وفكرت في أن ملابسها هذه ما زالت لا تماثل ما قد تكون وندي توقعت منها أن تلبس، ولكن، هذا هو الموجود.

ثم فتحت باب غرفة نومها لتسمع صوت ستيفن يقول: «هل أشعل الشموع يا وندي؟» وعادت تقفل الباب، ثم استدارت لتنظر إلى صورتها في المرآة، ورأت أن مظهرها لم يختلف كثيراً. فمدت يدها، عند ذاك، إلى كيس

www.elromancia.com

مجوهراتها الذي تنقله معها على الدوام وأخرجت عقد اللؤلؤ الذي ورثته عن جدتها في عيد ميلادها الواحد والعشرين، وكانت تكثر من وضعه، كما يحسن أن تفعل النساء بالنسبة إلى اللآلىء، ولكن، غالباً، تحت ثيابها. أما الآن فقد وضعته فوق قميصها، ثم اختارت سواراً ذهبياً عريضاً ووضعته في معصمها أيضاً.

لكن مظهرها، مع تحسنه نوعاً ما، ما زال متزمتاً. وبحركة مفاجئة، حلت شعرها، الذي كانت تعقده إلى الخلف كالعادة. كانت تعتبر أن شعرها هو العلامة المميزة فيها. كان أسود اللون تقريباً، قوياً كثاً له لمعان خيوط الحرير الغليظة، وكان ينسدل على كتفيها. وتغير مظهرها بذلك إلى حد مذهل. لقد اكتسبت ملامحها الآن رقة غير عادية، كما أن عينيها بدتا أكثر اتساعاً. وبدت بشرتها، التي وضعت عليها لوناً ورديا خفيفاً، إلى جانب شعرها القاتم، ملفتة للنظر بنعومتها وصفائها.

رفعت حاجبها لحظة، مفكرة، ليستقر نظرها على زهرية تحوي أزهار الكاميليا كانت وندي قد وضعتها على منضدة الزينة. وتناولت واحدة منها ثم شذبتها قليلاً بمقصها الصغير، لتضعها بعد ذلك في شعرها.

هتفت ريبيكا: «ووو!» وهي ترى جوانيتا تدخل غرفة الطعام حيث كان الجميع محتشدين.

هتف ستيفن بصوت مفزع: «منظرك يبدو صاعقاً.» واندفعت وندي إليها بنشاط وهي تأخذ بيدها قائلة: «هل أعجبك هذا؟» وسحبتها نحو أصغر المائدتين في غرفة الطعام الفسيحة، وكانت بجانب النافذة، وقد أعدت

لشخصين، حيث جهزت بآنية البلور والفضة، وفرش عليها غطاء دمشقي، توسطتها زهرية حوت أزهار الكاميليا هي أيضاً بأوراقها الخضراء الفاتحة. وكان على المائدة أيضاً طبقان من السلطة.

رقت نظرات جوانيتا وهي تتأمل المائدة، ثم قالت: «إن هذا يناسب مطعماً من الدرجة الأولى. إنه جميل يا وندي.»

تألق وجه وندي، ثم قالت بلهجة عملية: «كل شيء حاضر في المقصف، وما زال ساخناً لكي تخدمي نفسك بنفسك. لقد فكرت في أن هذا أفضل من أن أبقى هنا طوال الوقت. ولكن، إذا احتجت إلى شيء فناديني. والآن، هيا يا أولاد.»

قالت جوانيتا محتجة: «ولكن، ألا تستطيعين...»

تجاهلتها وندي وهي تكرر: «هيا يا أولاد.»

خرجوا جميعاً، بعد أن أبدى الطفلان بعض التذمر. وعند ذلك نظرت جوانيتا إلى غاريت الذي كان واقفاً قريباً منها دون أن يقول شيئاً.

كان مظهره، هو أيضاً، قد تغير ببنطال داكن اللون وقميص أبيض طويل الكمين وربطة عنق زرقاء. كان شعره الكثيف مبللاً ومصففاً. كما أنه بدا جذاباً بقامته الطويلة ونظراته التأملية وابتسامته المرحة. وكانت تلك النظرات تنصب على شعر جوانيتا المنسدل وقد غرزت فيه الزهرة.

قالت بجفاء: «لا تتخيل شيئاً.» ثم عضت على شفتها.

فرفع حاجبه قائلاً: «كلا طبعاً، ما الذي تتوقعين أن أتخيله؟»

فقالت جوانيتا بحذر: «أردت أن أقول إن ملابسي هذه

ليست كافية للمناسبة إذ لم أحضر معي ثياباً لائقة. وكل هذا إرضاء لوندي فقط.»

فتمتم قائلاً: «بالطبع. خصوصاً منظرك البهي هذا.»

ثم تقدم إلى المائدة، وسحب أحد الكرسيين وهو يقول: «هل لك أن تتفضلي بالجلوس، يا آنسة سبنسر هيل؟»

قالت بجمود: «ش... شكراً.» ثم جلست وابتدأت تضع منشفتها على ركبتيها. بينما أخذ هو يفتح زجاجة الشراب.

قال وهو يسكب لها الشراب في كأسها: «ربما يساعدك هذا.»

قالت متسائلة: «يساعدني؟»

لم يجب مباشرة، ولكن ملأ كأسه ثم جلس وقال: «يساعدنا على الاستمتاع بهذه الوجبة حسب توقعات وندي.»

لم تقل شيئاً، ولكنها أخذت رشفة من الشراب، ثم بدأت بتناول السلطة، لتقول بعد ذلك مخترقة الصمت: «لقد كنت أخبرتك الكثير عن نفسي، فهل لك أن ترد لي هذه المجاملة؟»

نظر إليها بغموض ثم سألها: «وما الذي تريدين معرفته؟»

فكرت لحظة ثم قالت: «كيف حدث أن أصبحت كاتباً؟»

وضع شوكته في صحنه ثم قال هازاً كتفيه: «مثلك. لقد مضى عليّ وقت لم أعرف ماذا أريد أن أكون، مع أنه كان لزاماً علي أن أختار. كان أمامي طريقان يغرياني، هما الصحافة والسياسة. كلا بل هناك ثالث هو حب التجوال. وهكذا درست الصحافة وكذلك علم السياسة، وبعد تخرجي كنت محظوظاً إذ عثرت على عمل في صحيفة في مكتبها

خارج البلاد، وهكذا اجتمع لديّ الكل. وبقيت سنوات أجوب البلاد أبحث عن مواضيع قصصية، إلى تغطية الأخبار من سياسية وغيرها.»

قالت جوانيتا: «هكذا إذن!»

فقال: «حسناً، أثناء ذلك ورثت هذا المكان، الذي كان موشكاً على الإنهيار. لقد اعتاد والدي أن يعلم فيه لعبة البولو على الخيل، ولكن ذلك قد تراجع من جراء سوء الإدارة في سنوات أبي الأخيرة. لقد وصل المنزل إلى حالة تتطلب كثيراً من المال وكان أمامي إما أن أبيعه كلياً، وإما أن أعود إلى الوطن واستقر، وهذا شيء لم يكن من السهولة كما يظن المرء.»

قالت جوانيتا ببطء: «كلا، لا يمكنني أن أصدق ذلك. هل هذا عندما صممت على وضع كل خبراتك لكي تكتب نوع الروايات السياسية التي تجيدها؟»

قال: «هذا ما حدث. وابتدأت الكتابة. وفي أوقات فراغي كنت أعلم لعبة البولو على الخيل، وبالتدريج أنال شهرتي ككاتب، حتى بدأت بإصلاح المنزل. فصنعت سقفاً جديداً، وبعض المداخن، ونظاماً جديداً للماء الساخن، وهكذا. وكنت على وشك الشروع بتجديد الحمامات عندما طرأت علي فكرة أن من الأفضل الإستعانة بمهندس للديكور.»

لم تعرف لماذا قالت هذه الجملة! «إن كلامك هذا يوحي بأنك كنت تتصرف وحدك.»

نظر إليها وقد لاح ظل تهكم على شفتيه، ولكنه قال برصانة: «كلا، أبداً. ولكن أصغر أخواتي، واسمها إكسانت، وعمرها الآن إثنان وعشرون عاماً، عرفت كيف تبعث في

حياتي القوة والنشاط إلى حد كبير. وبعد تحسن وضعي المادي، تركت إكسانت المنزل، وأصبح في استطاعتي أن أطلق العنان لهوايتي الأخرى، الأسفار وفي نفس الوقت أستغلها في تجميع مواد لكتبي الجديدة. هل تحبين الإستزادة من الطعام؟ يبدو لذيذاً.»

قالت: «شكراً. أيمكنني ذلك؟»

قال: «طبعاً، إنك ضيفة.» ونهض حيث سكب لها صحن دجاج مع الأرز. وكان لذيذاً جداً. قالت وفمها مملوء بالطعام: «أظن أن وندي تسير في الطريق الصحيح.»

قال: «أرجو ذلك. إنها فتاة لطيفة.»

قالت: «يبدو أنك طيب جداً معهم.»

قال: «إن ذلك لا يكلفني أية مشقة.»

أخذا يأكلان بصمت، وما لبث هو أن قال: «هل أنهينا كل الأحاديث الممتعة؟»

نظرت إليه وقالت: «لقد قدمت أنا آخر موضوع.»

أبعد صحنه، ثم أسند ظهره إلى الخلف وهو يقول: «هذا صحيح. حسناً، ما الذي جعلك تبقين وحيدة يا جوانيتا؟»

نظرت إليه مستطلعة، لم يبق لديها شك الآن بالنسبة لذلك الظل من التهكم في عينيه.

ترددت قليلاً قبل أن تقول بنفس التهكم: «ربما لم أكن فضولية دون داع...»

قال وهو يلوي شفتيه: «هل معنى هذا أنك لم تكوني تتساءلين عن حياتي العاطفية؟»

ترددت وقد بدا في عينيها الإضطراب، ثم قالت: «كلا... ليس تماماً... إنه مجرد تعبير عما جال في ذهني ليس

إلا.» وبان في وجهها الإزدراء وهي تقول: «لماذا يفترض الرجل دوماً أن الجنس الآخر يشاركهم فضولهم الأبدي عن حياة الناس العاطفية؟»

قال: «هل يفعلون ذلك حقاً؟»

قالت بجفاء: «إنه موضوع لا يستطيعون البقاء بعيداً عنه؟»

نظر إليها وقال وقد بدت في نظراته التسلية: «قرأت مرة لشخص نسيت اسمه، أن الرجل يشعر بالحب تجاه المرأة، بعد التجربة الحسية معها، بينما المرأة بالعكس. هل تظنين أن هذا القول هو صحيح؟»

حدقت إليه جوانيتا بفضول وقالت: «هل تعني أن الرجل يجب أن يعرف المرأة حسياً قبل أن يحبا بعضهما بعضاً، أم أن هذه الأمور هي أهم عندهم من أي شيء آخر؟»

فارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وقال: «إنني لم أصل إلى نتيجة حاسمة بعد. لقد أوردت هذا بشكل نظرية فقط. ولكن أكثر الناس يوافقون، كما أعتقد، على أن العلاقة الحسية تشكل عاملاً أساسياً في أية علاقة حب.»

قالت ببطء: «وهو، أيضاً، العامل الأساسي في أية علاقة قد لا تكون بالضرورة علاقة حب، عند الرجل. وهذا يعني أنه يبدو أن الرجل بحاجة إلى أن يقوم باختبارات كثيرة. ولا أدري إن كان قائل هذا الحديث رجلاً أم إمرأة.»

لم يجب، بل نظر إليها بغموض حتى بدأت تشعر بعدم الإرتياح، فاندفعت تقول: «لماذا تنظر إلي هكذا؟»

هز كتفيه قائلاً: «كيف؟»

قالت: «كما لو كنت تعرف كل الأجوبة، بينما أنا أشبه

بتلميذة مدرسة يساورها الإرتباك لتأخرها في دروسها.»

قال: «هل وقعت مرة في الحب؟»

قالت: «إن هذا...»

قاطعها ساخراً: «ليس من شؤوني...»

قالت: «حسناً، لم أقع في الحب. وهذا لا يعني أنني لم أجربه عدة مرات، ولكن التجربة كانت تأتي وتذهب دون أي تأثير مدمّر علي.»

قال: «وهل بنيت افتراضك أنه ليس حباً، على هذا الأساس؟»

قالت: «أليس هذا صحيحاً؟»

هز كتفيه ونظر إليها مفكراً وهي يقول: «لا أدري. هل سمحت لنفسك أن تزيدي من اقترابك من أحد؟»

قالت: «ك... كلا. ليس إلى الحد الذي تعنيه.»

قال وهو يتأملها: «والآن، هل نأخذ الحلوى؟»

قالت ثائرة: «لا يمكنك أن تقول شيئاً كهذا، ثم تتوقع أن تمر المسألة هكذا وكأنك لم تقل شيئاً.»

نظر إليها ساخراً وقال: «ماذا يدور في ذهنك؟»

«يدور في ذهني أنني أتمنى أن أصفعك.»

ابتسم. وبدت أسنانه الناصعة البياض وعيناه الزرقاوان مدمرتان... كان كبير الحجم، مسترخياً...

قالت وهي ترمي بمنشفتها وكأنها تهم بالنهوض: «أوه...»

قال برصانة: «نظراً إلى قولك إنك جئت إرضاء لوندي، طبعاً، أليس من المخجل أن نفسد جلستنا هذه؟»

عادت تستقيم في جلستها وقالت بغضب: «ما الذي تريده الآن؟»

دفع صحنه بعيداً وهو يقول: «فلنتكلم بصراحة. إن الفضول يتملك الواحد منا تجاه الآخر. وذلك كرجل وامرأة. لقد ثارت ثائرتك لأسباب تعرفينها، ولأسباب معروفة جيداً لي، أشعر بسخرية منها جميعاً. وليس فيها كلها ما يمكنه أن يغير ذلك الحساب الضئيل الذي بيننا. لقد سبق وقلت ذلك قبل الآن، ولكنني أتوقع أوقاتاً مهمة مقبلة علينا، يا آنسة سبنسر هيل.»

فتحت جوانيتا فمها، ولكن خوفها من أن تبدأ باللعثمة، جعلها تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تقول محتجة: «لم يمض علينا بعد أربع وعشرون ساعة.»

ابتسم وهو يقول: «انني لن أقول إنك تلميذة متأخرة في دروسها، ولكنك ساذجة بشكل مدهش.»

سكت يراقبها برهة قبل أن يعود فيقول: «مهما كان المانع الذي قد يقف في وجه آمالنا القادمة، دعينا نهتم الآن بالحلوى قبل كل شيء.»

كانت جوانيتا تشعر بالألم، وهي تزاول عملها في اليوم التالي، وذلك لأنها لم تستطع أن تنفي من ذهنها ذكرى الحديث الخائب الذي سمحت لنفسها بالإنخراط به بحماقة، في الليلة الماضية. ومن حسن الحظ أن وندي جاءت بالقهوة قبل أن يجدا فرصة لتناول الحلوى، فأقنعها غاريت بمشاركتهما ذلك. ليعتذر بعد ذلك ثم يخرج، ثم لم تره منذ ذلك الحين.

كانت قد ذهبت إلى فراشها باكراً بعد أن ساعدت وندي في غسل الأطباق، كما ابتدأت في عملها مبكرة هذا الصباح. لقد أيقظتها زقزقة العصافير مع الفجر، فذهبت إلى المطبخ

www.elromancia.com

لتصنع لنفسها فنجاناً من الشاي، لتجد على طاولة المطبخ رزمة أنيقة من الأوراق في انتظارها وفيها كل التفصيلات اللازمة عن مخططات المنزل وتفاصيل التغييرات فيه.

سواء كان هذا إشارة ضمنية إلى أن غاريت لا ينوي مبادلتها الحديث في هذا الصباح الصيفي الرائع، أم لا، فهي لم تكن متأكدة.

عملت جوانيتا طيلة الصباح في اجراء تغييرات عامة لأربعة حمامات كانت تشكل مسؤوليتها الخاصة.

كانت وندي قد خرجت مع التوأمين لزيارة أمهم في المستشفى وذلك بعد أن تركت تعليمات حول ما أعدته للغداء، قائلة انها ستعود في وقت العشاء والتي كانت قد أعدته ولا يحتاج، إلا إلى التسخين. ولكن، في منتصف النهار، عندما لم يبد ثمة أثر لغاريت ووكر، الذي كان في مكتبه، كما قالت وندي، صممت جوانيتا على عدم مشاركته وجبة أخرى، إذا هو طلب ذلك. ثم خرجت حيث تناولت وجبة خفيفة، وأمضت ساعتين مع بعض التجار حيث أطلعتهم على خططها العملية وتبادلت معهم الحديث عن إمكانية إيجاد ما يلزم من عمال.

كانت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما عادت، وقد استحال ذلك الصباح الصيفي الرائع إلى مساء حار جعل من مياه بركة السباحة المتألقة تبدو كالواحة في وسط الصحراء.

ترددت لحظة حيث لم يكن ثمة دليل على وجود أحد هناك، ثم ما لبثت أن غيرت ملابسها لترتدي ثوب سباحة من قطعة واحدة، ومن ثم قفزت إلى بركة السباحة.

كانت المياه رائعة، وكانت تحسن السباحة. وشعرت بالذنب لعدم القيام بها بكثرة وهي الرياضة الوحيدة التي تحسن من وضعها الصحي. ولكن، بالطبع، كان ثمة فرق بين السباحة للمتعة في يوم حار كهذا، وبين السباحة كواجب صحي. وفي الحقيقة، كانت متعتها، فائقة الحد. حيث كانت تلهو وتمرح تحت الماء إلى حد لم تلحظ معه أنها لم تكن وحيدة حتى خرجت من الماء إلى السلم، لتجد غاريت ووكر واقفاً هناك مادّاً يده لمساعدتها على الصعود، مما سبب لها بعض الإضطراب. وكانت، في الواقع، قد ابتلعت بعض المياه فبدأت في السعال.

وقال: «إنني أعتذر.» وكان ما يزال ممسكاً بيدها بينما هي واقفة أمامه، وتابع: «لم أقصد إفزاعك.»

قالت متلعثمة: «ظ... ظننت أن ليس أحد هنا.» ترك يدها ليناولها منشفة وهو يقول: «لم يكن هناك أحد فعلاً، فانني قادم للتو من الإسطبلات.»

تنفست جوانيتا بعمق، ثم أخذت تسرح شعرها بأصابعها تبعده عن عينيها.

قالت: «لقد... لقد شعرت بوطأة الحر...»

عجبت لنفسها عما يدعوها إلى الإعتذار.

لسوء الحظ، لم يغب هذا عن فطنته إذ قال: «ليس ثمة من يمكنه مقاومة إغراء السباحة في مثل هذا الجو الحار، فلا ضرورة لأن تشعري بالذنب. ولماذا يجب أن لا تسبحي مادمت تحسنين السباحة مثل عروس البحر؟»

قالت: «أظنك قلت إنك قد وصلت لتوّك.»

هز كتفيه قائلاً: «لنقل إنها ثلاث دقائق على الأكثر، هل

أرضاك هذا؟ أم أنك تعتبرينني متجسساً عليك؟»

أخذت مشاعرها تصيبها بنوبات من الحرارة والبرودة، وخشية من أن يلاحظ هو ذلك، أسرعت بتجفيف جسدها، وسقطت المنشفة من يدها إلى الأرض، فانحنت لالتقاطها، ولكنه كان أسرع منها. ورفعت رأسها ببطء لتواجهه، وشعرت باضطراب مؤلم إذ لم تستطع أن تنظر في عينيه.

قال: «جوانيتا؟»

أجابت بجمود: «هل يمكن أن تعطيني المنشفة؟» وتلامست أصابعهما وهو يناولها إياها، فرفعت عيناها إلى عينيه لترى فيهما نوعاً من العطف الممزوج بالتهكم مما جعلها تدرك أنه يعلم تماماً بما ينتابها من مشاعر، والأسوأ من ذلك أنه قال برصانة: «نحن بحاجة إلى شراب بارد. لا تبتعدي، أنا سأحضره.» وأشار إلى طاولة وكراسي تحت شجرة كافور، ثم اتجه صوب المنزل.

عندما عاد، كانت جوانيتا قد جففت جسدها قدر استطاعتها ووضعت عليها قميصها وسرحت شعرها بأصابعها. واستطاعت أن تتحكم بمشاعرها وذلك بمحاولة التركيز على العشب تحت قدميها، وفي الظل الذي كان يغمرها، وفي تنسيق الحديقة، ثم في الشعور الجميل بوجودها في الريف.

جاء أخيراً وقد استبدل ثيابه بشورت للسباحة ووضع منشفة حول رقبته بينما حمل في يديه إبريق عصير وكأسين.

قال: «إشربي وحدك الآن، إذ أنني بحاجة حقاً إلى السباحة.» وما لبث أن استدار نحو البركة وقفز في الماء.

أغلقت جوانيتا عينيها برهة، ثم سكبت لنفسها من الشراب الذي كان مزيجاً من عصير الفواكه والنعناع.

لم يلعب غاريت تحت الماء كما فعلت هي، بل سبح على ظهره لمدة خمس دقائق، ثم خرج من الماء دون أن يكلف نفسه عناء تجفيف جسده، فجلس إلى الطاولة ثم سكب لنفسه كأساً من العصير، وهو يقول: «هذا أفضل. ماذا نفعل الآن؟ نتبادل الأنخاب؟»

رددت كلامه: «نتبادل الأنخاب.»

رفع حاجبه قائلاً: «لا بد أنك شعرت بالإنتعاش بعد السباحة، وأنك استمتعت بها كثيراً.»

قالت: «لقد استمتعت فعلاً.»

قال وقد ظهرت على وجهه خيبة الأمل: «إلى أن جئت أنا وأفسدت عليك ذلك.»

قالت: «إنني لم أقل هذا.»

قال: «ولكن هذا ظهر على وجهك كما تعرفين... إنك حقيقة، بحاجة إلى أن لا تعودي إلى الشعور بعقدة نقص تجاه قوامك. ذلك أن ثمة فارق بين النحافة والنحول... ولو سئلت أن أصفك لقلت إنك نحيفة متناسقة.»

قالت: «ولكن، لم يسألك أحد أن تصفني.»

ابتسم بكسل وهو يقول: «انها عادة ربما موجودة عند أكثر الكتّاب.»

«هل لو اقترف الكتّاب جريمة، ينجون من العقاب؟»

قال: «أوه، لا أدري...»

انفجرت قائلة: «ولماذا تفعل ذلك، يا سيد ووكر؟ لقد بدا لنا، الليلة الماضية، أن لا علاقة يمكن أن تنمو بيننا.»

قال باسماً: «ربما كنت في مزاج غير صاف، الليلة الماضية. كما أنني لم أكن قد رأيت منظرك الجميل وأنت تلعبين تحت الماء. كما أنني، بالتأكيد، لم أر حمرة الخجل والإضطراب على وجهك وأنت تريننني في لباس السباحة، وما زال للآن...»

قالت: «إن في إمكانك أن تجعل أياً كان، يحمر خجلاً.»

قال ببطء وهو يعقد يديه وراء رأسه: «لا أعرف السبب في هذا. بالمناسبة، إن حادث الإصطدام الذي حدث لك لم يترك أثراً على جسدك وهذا أمر مستغرب.»

قالت بجمود: «يمكنني أن أطمئنك إلى أنه كان في جسدي آثار لذلك.» وشعرت فوراً بحماقتها، فأضافت: «لقد ترك الحادث آثاراً قليلة، ولكن إذا كنت متشوقاً إلى أن تكتشف مكانها فسيخيب أملك.»

سألها: «ولكن، ليس ثمة شيء رئيسي؟»

«كلا. لقد كنت محظوظة حقاً.»

قال: «هذا حسن. إنني متأكد من أنك تستحقين شيئاً من الحظ. إذن، ما الذي حدث لوركك؟»

نظرت إليه بحذر، فعاد يقول بهدوء: «إنني حقيقة أريد أن أعرف ذلك، يا جوانيتا.»

ترددت وقد أحنت رأسها تنظر إلى وركها حتى تساقط شعرها على جبينها وقالت: «لقد تضررت الأوتار العضلية وأربطة العظام. وقد أجريت لي عملية عليها.»

قال: «هل هناك احتمال بأن تعود إلى أصلها؟»

«قالوا ان التحسن سيكون بطيئاً وسيأخذ وقتاً طويلاً.»

قال: «حسناً، إن هذا مشجع. حسناً.»

نظرت إليه دون أن تستطيع تجنب التساؤل في عينيها. فابتسم لها قائلاً: «قصدت أن وقت الأسئلة قد انتهى. والآن، هل نستمتع بما بقي من العصير...؟» وسكت فجأة لدى سماعهما صوت محرك سيارة يقف. وقال: «من يكون القادم؟»

لم يستطيعا أن يريا السيارة من مكانهما، ولكنهما سمعا شخصاً يناديه باسمه حين أغلق باب السيارة.

بدا عليه أنه ميز ذلك الصوت إذ بدا على ملامحه الحنق وهو يقف مجيباً: «إنني عند بركة السباحة، يا إكسانت. ما الذي جرى؟»

لم تمض لحظات حتى ظهر جمال أشقر مندفعاً على المرج، وقد خلعت من قدميها حذاءً عالي الكعب. وفتح غاريت ذراعيه لترتمي أخته بينهما وهي تنشج باكية: «لقد هجرني. أوه، أريد أن أموت.»

قال بصوت خشن: «إكسانت، من هو الذي هجرك؟»

رفعت إكسانت ووكر نحوه عينين تفيضان بالدمع وهي تقول: «انك تعرف من هو يا غاريت. لقد طلب مني أن أتركه. ولكنني أحبه.»

قال: «يا للحمقاء الصغيرة. لا بد أنك تتحدثين عن داميان سبنسر هيل.»

سقط الكأس من يد جوانيتا. فقد كان الذي ذكره شقيقها.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

«كلا. تمالكي نفسك.»

قال غاريت ذلك يحذر شقيقته المتهالكة، المنهكة، بعد إذ أحضرها إلى المطبخ ومضى يعد لها شراباً قوياً. ثم حمله إليها قائلاً بغلظة: «اشربي هذا. ولا نريد هستيريا أكثر من ذلك.» والتفت إلى جوانيتا: «يمكنك أنت أيضاً أن تجلسي.»

قالت: «أنا... أنا...»

قال بعد ما وجد أنها لا تستطيع أن تنطق حرفاً: «فضلاً عن ذلك، فإن أخاك هو السبب في كل هذا.»

استدارت إكسانت بسرعة لتبرز عيناها الزرقاوان الجميلتان من محجريهما وهي تقول ذاهلة بصوت خشن: «جوانيتا؟ هل أنت هي التي يشعرون جميعهم بالذنب لأجلها؟ ما الذي تفعلينه هنا؟ هل أرسل إلي رسالة معك؟»

أغمضت جوانيتا عينيها، وهزت رأسها بصمت، لتلقي إكسانت برأسها بين ذراعيها وتشرع في البكاء من جديد.

أطلق غاريت شتيمة ثم وقف بجانبها قائلاً: «اشربي، يا عزيزتي.» وأمال وجهها إليه ثم رفع الكأس إلى شفتيها متابعاً قوله: «لقد سبق وحذرتك، أليس كذلك؟ وكنت أظن وقد بلغت الثانية والعشرين لا بد أنك أصبحت أكثر تعقلاً.»

مسحت إكسانت دموعها ورشفت قليلاً من الشراب ثم قالت محتجة: «إنني عاقلة...»

قال: «عاقلة؟ إنك أكثر جنوناً من الأرنب البري.» ثم نظر

إلى جوانيتا قائلاً: «أما بالنسبة إلى أخيك، فهو يستحق القتل، إذ يخدع رجل في مثل خبرته وسمعته، فتاة ساذجة مثلها، عدا عن أنها لا تستعمل عقلها. حسناً، إنها إساءة تستحق إقامة دعوى...»

قالت إكسانت وقد ازداد انهمار دموعها: «انني لست ساذجة لا أستعمل عقلي. إننا... لقد قال إنه مغرم بالفتيات المندفعات العاطفيات مثلي.»

انتفضت جوانيتا.

قال غاريت بهدوء رغم أنه كان من الواضح أن انكشاف سر أخته البريء قد زاد من ثورته، قال: «نعم، يا آنسة سبنسر هيل؟»

ضاقت عينا جوانيتا وهي تسأله ببرود: «ماذا تعني بنعم؟ إنني لست المسؤولة عن أخي، ومع انني أشعر مع أي شخص في وضع إكسانت، فإنه ليس ذنبي.»

قالت إكسانت بصوت ضعيف: «كلا، انه ليس ذنبك. إنني لا أظن أن داميان وأخته في حالة صفاء بين بعضهما البعض.»

قال غاريت: «إنك إذن لا تعلمين شيئاً عن هذا الأمر؟»

قالت جوانيتا وهي تضغط شفتيها: «لا شيء، إنني لم أقابل أختك من قبل، ولم أتعود أن أطلع على شؤون أخي. حتى ولو عرفت شيئاً، ماذا تتصورني أستطيع عمله؟»

قال: «تعملين ما يعمله أي شخص عاقل.»

قالت جوانيتا وقد نفد صبرها: «كلا، لا تكن سخيفاً.»

قالت إكسانت فجأة: «ماذا... ماذا تفعلين هنا يا جوانيتا؟»

قال غاريت: «إنها مصممة ديكور داخلي. ولهذا...» والتفت إلى جوانيتا قائلاً: «بما أنك لست المسؤولة عن أخيك، وكذلك لا تحبين أن تتورطي مع الجنس البشري بأي شكل، فهل تسمحين بأن تتركينا وحدنا لفترة؟»

نظرت إليه جوانيتا وقد شعرت بغضب لم تشعر بمثله في حياتها، ولكنها نهضت وهي تقول برقة: «بكل سرور، يا سيد ووكر.»

لكن، ما ان أصبحت في غرفتها حتى أخذت ترتجف من نوبة انفعال عنيفة جعلتها تجلس على الفراش لعدة دقائق، قبل أن تهدأ وتتمالك نفسها.

ثم ارتدت بنطالاً ملوناً وقميصاً بلون الفيروز، ومضت تحدق في حقيبة ثيابها فترة طويلة ما لبثت بعدها أن خرجت من غرفتها، مارة بباب المطبخ الذي كان مغلقاً بينما ينساب من خلف بابه أصوات منخفضة، ثم خرجت إلى الشرفة الخارجية حيث جلست على مقعد طويل مواجهة غروب الشمس.

كانت البرودة قد عمت الجو باقتراب الغسق، بينما تحولت مشاعرها من حالة الهياج التي انتابتها إلى شعور بالمرض وهي تفكر في أخيها الوسيم والصورة القاتمة المنعكسة عنه. كان بينها وبين داميان ست سنوات، ولكن ليس ذلك الفارق في السن فقط هو الذي جعلهما لا يتفقان أبداً.

أثناء زواج والديهما الصاخب، وانفصالهما المتكرر، كان داميان عموماً يمكث مع أبيه. وقد ورث عن أبيه وسامته التي لم تكن النساء يستطعن مقاومتها، مما كان

يغيظ جوانيتا. ليس لأن والدتهما كانت مسالمة، ولكن لأنها كانت دوماً أكثر التصاقاً بأمها، فقد كانت دوماً تعتبر أن أباها هو الملوم في هذا الزواج الذي كانت مشاكله حديث الناس. ولما رأت جوانيتا أن داميان يسير في نفس الطريق شعرت بالنفور منه، ولكن الشيء الوحيد الحسن الذي يمكن أن يقال، بالنسبة لأخيها كما كانت ترى، هو أنه كان مفتوناً بالسيارات وسباق السيارات... وكانت تفترض أن هذا شيء ولد معه، شيء كان هو يلاحقه على الدوام ويزداد به خبرة... شيء لا يستطيع أن ينكره.

تساءلت عند ذلك، كيف ولدت في أسرة كل أفرادها نوابغ كل في حقله الخاص، بينما هي عادية تماماً؟ وقادها هذا إلى عملها الذي في يدها. وفكرت في أن عملها هذا سيصبح من الصعوبة بمكان بعد هذه الأحداث، أو على الأقل كارهة له ولغاريت ووكر معاً.

ضاقت عيناها وهي تنظر إلى مغيب الشمس دون وعي منها إذ كانت تفكر في ما عسى أن تكون تلك اللعبة، خصوصاً على ضوء تصرفاته بعد ظهر اليوم. وتساءلت، لقد قال (نحن نشترك) فهل يحاول أن يجعلني أقع في حبه ومن ثم ينبذني لكي أشعر بشعور أخته مع أخي؟ وذلك من باب الانتقام؟

جفلت وهي تسمع أصواتاً آتية من نافذة غرفة تحت الشرفة، وسمعت صوت غاريت يقول: «والآن، هل لك أن تنامي؟» ليجيبه صوت إكسانت الكئيب: «أظن ذلك. لقد كنت حقيقة أظنه يحبني كما أحبه.»

أجاب غاريت: «لقد كانت تلك تمنيات خيالية يا إكسانت.

إن ضعف التفكير والتهور من الفتيات الحمقاوات أمثالك وضعتك في هذا الموضع رغم كل الشواهد. إن داميان سبنسر هيل هو فتى عابث من أسوأ نوع، وفوق ذلك ترينه يغامر بحياته على الدوام، في سباق السيارات ذاك، ليس لسبب وجيه سوى الشعور بالسعادة أثناء ذلك، فهو شخص يفتش عن سعادة جديدة على الدوام. إنسيه إذن، الآن وإلى الأبد. ماذا بالنسبة إلى عملك؟»

قالت: «لقد... لقد تركت العمل لكي أبقى بجانبه وقتاً أكثر.»

تخيلت جوانيتا وجه إكسانت والشعور بالذنب يكسو ملامحه، وهزت رأسها وهي تسمع شقيقة غاريت تتابع قائلة: «لقد ظننت أن هذا قد ينفع، فقد كنا على وشك الافتراق. أوه يا غاريت، كم أنا تعسة! لم أشعر من قبل بمثل هذا اليأس. إنني لا أستطيع أن آكل ولا أن أنام.»

قال بعطف تشوبه الخشونة: «حسناً، لقد انتهى كل شيء الآن، بشرط واحد، هل تسمعينني؟»

أجابت باذعان: «نعم يا غاريت.»

قال: «إنك ستسكنين معي هنا حالياً لفترة، ثم...»

قاطعته: «ولكن...»

قاطعها بدوره: «لا تستعملي هذه الكلمة (ولكن) معي، يا أختي العزيزة الحمقاء. ليس لديك خيار، فأنت لا تملكين نقوداً ولا عملاً وأنا لن أقرضك أي مبلغ.»

قالت: «ولكن... هذه قسوة يا غاريت.»

قال بجفاء: «أهي كذلك؟ من الذي أعطاك سيارة الفورد كابري في عيد ميلادك الواحد والعشرين؟»

قالت: «إنه أنت، ولكنني أقصد...»

قال: «إكسانت.»

تبع ذلك فترة صمت قصيرة عادت بعدها تقول: «حسناً يا غاريت. ولكن ماذا أفعل هنا؟ سيتملكني الضجر!»

قال: «لن يحدث ذلك، يمكنك أن تساعدي وندي إلى أن تعود أمها من المستشفى. إن هذا سينفعك.»

تصاعدت أنة من إكسانت، ثم قالت بصوت قوي: «ربما يمكنني أن أساعد شقيقة داميان أثناء وجودها هنا.»

قال: «لا تتكلي على ذلك. إنني لم أقرر بعد ما إذا كانت ستبقى هنا.»

كانت زقزقة العصفور على حافة نافذة جوانيتا، في الصباح التالي، تكاد تصم الآذان.

استيقظت، ونظرت في ساعتها المنبهة وتنهدت، ثم أخذت تتأمل في أحد عيوب السكن في الريف، وفوق ذلك، السكن في هذا المنزل الريفي، حيث الاستقرار منعدم. ما الذي سيحدث اليوم يا ترى؟

لقد خرجت تتمشى الليلة الماضية بعد أن سمعت النقاش الذي دار بين غاريت وشقيقته، وعند رجوعها، كانت وندي قد عادت مع شقيقيها التوأمين، والعشاء قد أعد.

نظرت إليها وندي نظرة ذات معنى وكأنها تعتبرها فرداً من الأسرة، ثم قالت: «إنها مأساة صغيرة، دوماً الحال هكذا عندما تكون إكسانت هنا. هل قابلتها؟»

أجابت جوانيتا: «نعم. عند وصولها.»

قالت وندي: «لا يبدو عليها أنها في حال حسنة. كما أن غاريت أعطاها قرصاً منوماً، لقد تناول عشاءه في مكتبه

وقال ان لا نزعجه إلا إذا احتاجته إكسانت. إنه لا يبدو في مزاج حسن.»

تمتمت جوانيتا قائلة: «أوه. لا بأس. كنت أريد أن أسألك عن طهي الدجاج بالليمون الليلة الماضية. إنني أحب أن أعرف الطريقة.»

هكذا، أمضت جوانيتا أمسية مرحة تلعب مع الطفلين قبل أن يذهبا إلى الفراش. ثم ساعدت وندي في تنظيم المطبخ والحديث عن أنواع الطعام المفضلة وكيفية صنعها. لتذهب بعد ذلك إلى الفراش في نفس الوقت الذي ذهبت وندي فيه. أما غاريت، فلم يخرج من مكتبه.

عندما كانت مستلقية في الفراش في الصباح التالي، تستمع إلى زقزقة الطيور، الذي كان رائع الجمال، أخذت تفكر في ما وصلت إليه من تصميم الليلة الماضية وهو أن تعيد التفكير في غاريت. ليس من الحكمة أبداً أن تتصرف بغضب أو كبرياء. هناك أشياء أخرى كذلك لا يمكن التكهن بها، يجب أن توضع في الاعتبار. ذلك أنه إذا كان غاريت ووكر يقوم إزاءها بلعبة مهلكة بقصد الانتقام من أخيها بشخصها هي، فكيف يمكنه ذلك إذا هو صرفها من الخدمة؟

قالت تحدث نفسها، لنفرض أن كل ذلك قد هدأ، لا أدري إن كنت أصدق إن كان هذا التجاذب العفوي قد حدث فعلاً...

هنا قطعت تصوراتها هذه بشيء من الحسرة ولكنها عادت تتابع بعناد، حسناً، سأنسى ما يتعلق بي، كذلك ما حدث للورا هينيسي المنيعة. ماذا بالنسبة إليه؟

لكن بدا هذا أيضاً شيئاً لا يمكن حسمه. أما نتيجة هذا كله، فقد اكتشفت دافعاً قوياً بشكل خاص لكي لا تدع رجلاً

يستغفلها مهما كان السبب. يجب ألا تنسى كيف استقبلها وكأن الأسرة بأكملها ملعونة في نظره، ثم تغيره بعد ذلك... لا بد أن يكون لذلك سبب. بهذا حدثت نفسها.

نهضت وهذه الأفكار تتصارع في نفسها، فاغتسلت ثم ارتدت سروالاً أخضر اللون للعمل وفوقه قميص حريري أبيض، وربطت شعرها إلى الخلف ببساطة، وأصلحت سريرها ثم جمعت أوراقها واتجهت نحو المطبخ.

لم يكن ثمة أحد هناك، فصنعت لنفسها فنجاناً من الشاي ثم جلست في غرفة الجلوس حيث أخذت تعمل بهدوء قرابة ساعة حتى سمعت أصواتاً لا يمكن أن تخطئها لسكان البيت.

كان ستيفن وريبيكا أول من وصلا. لقد جاءا يبحثان عنها بعد أن وجدا غرفتها خالية، وبدا عليهما الفضول الشديد لمعرفة ما الذي تفعله، ثم السرور عندما رسمت أمامهما تخطيطاً سريعاً. وأخذا يثرثران بصوت عال وقد تملكتهما الإثارة. إلى أن أمسكتهما وندي وأخذت تعنفهما لإثارتهما هذا الضجيج. ثم أخبرتها أنها، جوانيتا، قد أصبحت صديقة العمر للطفلين ولكن ليس إلى حد تسمح لهما بازعاجها. ثم ساد الهدوء بعد ذلك إلى أن رفعت رأسها لترى غاريت ووكر يرقبها من عند الباب.

قالت: «أوه، صباح الخير.» كانت قد التقطت صورة للنافذة المقببة في غرفة الطعام، ووضعت الكاميرا ثم انتظرت، ببساطة، جوابه.

كان مرتدياً سروال جينز دون قميص أو حذاء، وغير حليق الذقن، وكان شعره يتدلى أمام عينيه، وبدا متوتراً

سهل الانفعال، وهو يستند بكتفيه العريضتين إلى إطار الباب وقد سلط عليها نظراته العميقة.

أخيراً أجاب: «صباح الخير. لم أكن في الحقيقة، أتوقع رؤيتك.»

نظرت إليه بعينين متسعتين وهي تقول: «لم تتوقع؟ ولِمَ لا؟»

قال: «ظننت أنك ربما كنت غاضبة ليلة أمس إلى حد جعلك ترحلين.»

هزت جوانيتا كتفيها قائلة: «لقد كنت غاضبة بالتأكيد.» والتقطت دفترها وتابعت تقول: «ولكن العمل هو العمل. إن تناسب هذه الغرفة هو رائع. أليس كذلك؟»

لكنه لم يضيع وقتاً في النظر إلى تناسب الغرفة، بل قال بدلاً من ذلك: «ألم يخطر في بالك أن تقفلي راجعة إلى المدينة وتغسلي يديك منا؟»

ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة وأجابت برصانة: «لقد حدث هذا، ولكن منزلك أعادني يا سيد ووكر. لقد استيقظت في الصباح لأجد أنه يفوق كل شيء وزناً وأهمية، إنك لا تمانع في هذا. أليس كذلك؟»

ضاقت عيناه دون أن يقول شيئاً.

أخيراً قالت بسرعة: «يا سيد ووكر.»

قال: «إنني...» ولم يكمل إذ اندفع التوأمان حاملين صورتيهما وقد تملكتهما الإثارة. وقال ستيفن وهو يقفز حوله: «أنظر إلى هذه، يا غاريت.» فأخذ غاريت يحدق في الصورة بعينين شبه مغمضتين.

دفعت ريبيكا صورتها في يده قائلة: «وهذه أنا.»

قال: «إنهما مزعجان بشكل لم أعهده من قبل. يكفي ضجيجهما الذي يبدأ مع بزوغ الفجر.»

قالت ريبيكا لستيفن توّنبه: «لا فائدة من أن تري غاريت أي شيء قبل أن يتناول إفطاره، ولا حتى تحاول أن تتحدث إليه. هل سترسمين لنا كلباً، فيما بعد، يا جوانيتا؟ إذا كنا طيبين ولا نزعجك أثناء العمل ولا نتعارك؟»

قالت جوانيتا: «بالتأكيد.»

اندفعا خارجين.

أدارت جوانيتا وجهها تخفي ابتسامتها.

قال غاريت بعد لحظة: «كما كنت أقول، يا آنسة سبنسر هيل...» وفي هذه اللحظة بالذات، دخلت وندي تعلن: «إن الإفطار جاهز، أتمنى لو أن كل ضيوفك مثل جوانيتا، بالمناسبة يا غاريت، لقد أمضينا أمسية ممتعة، ليلة أمس، وهي تساعدني دائماً... هل أوقظ إكسانت أم أتركها نائمة؟»

نظر إليها غاريت بعطف أقل مما بدا منه نحو التوأمين، وقال: «سنكون معك قريباً، يا وندي. واتركي إكسانت نائمة.»

انتظرت جوانيتا لحظة حتى تلاشى وقع خطوات وندي، ثم تمتمت: «ماذا كنت تقول يا سيد ووكر؟»

قال وهو يغلق الباب: «ما هذا؟ هل هي خطة للاستيلاء على سكان منزلي بأجمعهم؟»

أجابت بهدوء: «كلا، أبداً. ولماذا أفعل ذلك؟»

قال بسخرية: «أخبريني أنت. ربما أردت أن تغطي مسألة أخيك المجرم، ولكنني لن أسمح بذلك.»

www.elromancia.com

قالت ببرود: «حسناً. دعنا نناقش ذلك. إنني عموماً لا أدافع عن أخي، صدقني، ولكنني أجرؤ على القول ان أختك ليست على درجة من التعقل بحيث أنه ليس عليك أن تقلق من ناحية أخي فقط.»

قال بحدة: «وأنا أجرؤ على التفكير في أنك أكثر منها تعقلاً بكثير، يا آنسة سبنسر هيل. فقد نهضت باكراً وجعلت مظهرك بأفضل شكل في هذه الساعة المشؤومة. أناقة وجمال وعينان متألقتان، وهذا كثير عليّ لأن أعيش معك.»

«ليس عليك أن تعيش معي بالضبط. بإمكانك أن تهملني تماماً، يا سيد ووكر، وأعدك بأنني لن أشعر بأي غبن أو استياء. كما انني قد أكون ذات فائدة لك بالنسبة إلى إكسانت.»

قال: «كيف؟»

قالت: «حسناً، يمكنني أن أذكر لها أن داميان لم يكن مخلصاً لأية فتاة من قبل حسب علمي. هذا عدا عن شؤونه التي تشغله جداً في سباق السيارات. وربما هذا الذي جعل... لا أدري... هل لإكسانت عمل... أو أي شيء؟»

قال: «كلا. لقد تخلت عن وظيفتها لكي تمضي إلى جانبه وقتاً أطول. إن إكسانت والعمل غير متلائمين معاً.»

قالت: «حسناً، ألا يمكن أن نجعلها تهتم بعمل الديكور في المنزل هنا؟»

أغمض عينيه ثم قال: «لا أحد يعلم إلى ماذا سينتهي بنا الأمر. إن لإكسانت آراؤها الخاصة.»

قالت: «ماذا بالنسبة إلى إحدى غرف الضيوف؟ الغرفة

التي تستعملها هي؟ لقد طرأت على بالي الآن فكرة أن نعطيها شيئاً تعمله لكي تتجاوز محنتها هذه.»

قال: «ألم تطرأ على بالك، كذلك، فكرة أن وجود أحد من أسرة سبنسر هيل أمامها في المنزل، تبقي داميان ماثلاً أمامها على الدوام؟»

قالت: «قد أكون على خطأ. ولكن، قد يصادفها شاب آخر حسن المظهر فتتعلق به، ويكون عليك أنت أن تجتاز مثل هذه المحنة مرة أخرى.»

نظر إليها ملياً ثم قال بمرارة: «في الأيام الطيبة الماضية كان ممكناً أن أضعها في مدرسة داخلية.»

ابتسمت جوانيتا: «كان يمكن لهذا أن ينقذها. إن فتاة مثل إكسانت...» وترددت ثم عادت تقول: «حسناً، إن الفتيات المسرفات عاطفياً هن مشكلة كبيرة. وهذه ليست خطيئة، والانسان العاقل عادة يجتاز المحن فلا تيأس.»

قال بلطف رغم أن عينيه قد بدا فيهما نوع من التهكم: «إن هذا عكسك أنت يا جوانيتا، إذ لا يبدو أن عندك إسراف في العواطف، أليس كذلك؟»

قالت ببرود: «يمكنك أن تظن ما تريد. ولك أيضاً أن تخبرني عما إذا كنت تريدني أن أبقى في عملي هذا عندكم أم لا، حيث أن...»

توقفت عن الكلام وهي تنظر إليه بكبرياء ثم تتابع: «إن مجرد أن يكون هذا هو أخي، ثم هذا الحادث المؤسف، هو سبب كاف لطردي من العمل.»

نظر إليها بعينين ضيقتين ثم، ولأول مرة، ترك الباب وتقدم نحوها قائلاً بغلظة: «سواء كان أمراً مؤسفاً أم غير

ذلك، فلا تظهري الغطرسة نحوي يا جوانيتا. ذلك أنني غير ملتزم بشركة بلومون قبل أن أمضي العقد، وهكذا يمكنك أن تستمري في عملك عندي.» وتوقف أمامها ومد يده يأخذ دفتر العينات منها، متابعاً قوله: «بالمناسبة، إن أياً من هذه العينات لا تعجبني.»

منعت جوانيتا نفسها من أن تقول له إنه يتصرف كالأطفال. ولكنها بقيت صامتة، وفي اللحظة التي أسدلت فيها أهدابها لتخفي ما قد تبديه عيناها من ذلك، تقابلت نظراتهما ليصطدم الفولاذ بالفولاذ.

تمتم قائلاً: «ظننت ذلك، ظننت أن هذه الحلاوة والإشراق اللتين بدأت بهما هذه المواجهة، ما هما إلا نوعاً من التمثيل. هل لك أن تخبريني بالضبط ما الذي أنت بسبيله يا جوانيتا؟»

قالت: «من الأفضل لك أن...» وسكتت فجأة.

قال: «ماذا؟»

قالت: «لا شيء.»

قال ببطء: «كلا، بل هناك شيء. فلنجرب هذه لأجل القياس. هل أنت في وضع صعب بحيث تشعرين بأنك تريدينني بينما تكرهينني في نفس الوقت؟»

شهقت قائلة: «كيف تقول شيئاً كهذا؟»

قال: «الآن فقط خطر لي ذلك، أما لماذا تكرهينني فهذا ما لا أفهمه...»

قالت مشرقة الوجه: «أظن أنه من الطبيعي أن أشعر نحوك بالمودة... و...»

قال بابتسامة صغيرة جافة وهو يمسك بذقنها: «بالضبط، وهذا على كل حال ليس غير طبيعي.»

قالت: «أرجو المعذرة إذا أنا ظننت أن عندك نوعاً من الزهو غير الطبيعي برجولتك...»

قال: «أحقاً أنا كذلك؟» وترك ذقنها، ثم وضع يديه حول خصرها ولكنه لم يأت بحركة أخرى سوى أن جعلها تشعر برجفة شملت جسدها. وتابع قائلاً: «لا تخافي، لو كان قد سبق لك الظن بأنني قد أتحرش بك، لكنت قد غادرت منذ زمن طويل. ولكن، دعينا نتفحص مسألة زهو الرجولة غير الطبيعي هذا الذي ذكرت. لم يكن ثمة أي من هذه الأشياء أمس عندما خرجت من بركة السباحة ليتملكك ذلك الاضطراب الهائل. لقد كان الأمر، ببساطة، هو تجاوب بيننا، عندما كنت تسبحين بسرور فائق، ولقد تأثرنا نحن الاثنين بذلك.»

لم تستطع جوانيتا سوى أن تحملق فيه بفم مفتوح. وتابع بابتسامة باهتة قائلاً: «لقد شاهدت مئات من الفتيات الجميلات في برك السباحة، ولكن، ما أن يحدث وتتعرفي إلى شخص ما، فإما أن تستمري في التقدم وإما أن ينتهي ذلك كله. الطريقة التي يتكلم بها، ماذا يقول، والطريقة التي يفصح فيها عن أفكاره، وكيف يعيش... بعض هذه الأشياء تذكر في دقيقتين... وأنا متأكد من أنك لاحظت نفس الشيء بالنسبة للرجال.»

عضت شفتها دون أن تجيب. وتابع هو قائلاً وقد لمعت عيناه: «النقطة التي أريد أن أذكرها هي أن ذلك لم ينته بالنسبة إلينا نحن الاثنين.»

هنا، فتحت فمها وقالت: «ولكنك كنت تريد أن تطردني منذ فترة قصيرة.»

التوت شفتاه بشيء من الجفاء وهو يقول: «ربما كان ذلك حقاً، فالتفكير بك ما كان ليوقفني عن ذلك يا جوانيتا. أتعرفين بماذا كنت أفكر؟» وتابع دون أن يعطيها فرصة للرد: «بأن اسمك جميل. إنك تشبهين الاسبان بلون بشرتك، وبالطريقة التي تتألق فيها عيناك الداكنتان من وقت لآخر. كذلك أهدابك رائعة بطولها وكثافتها. كما انني أتصور جمال وروعة الدانتيل على جسمك، بدلاً من ثيابك الخشنة. فالنعومة تعني أشياء وأشياء.» وحدق في عينيها فترة طويلة ثم نظر إلى خصرها وهو يحرك يديه عليه بخفة، متابعاً كلامه: «إن خصرك بالغ النحافة مع أن طولك مناسب لطولي أنا.» ثم نظر في عينيها مرة أخرى.

لم تعرف كيف فعل ذلك، ولكن تحديقه ذاك بتلك العينين المسيطرتين، مع دفء يديه على جسدها، كل ذلك جعلها ترى نفسها، في وضوح هائل، ترتدي لأجله الدانتيل.

همست وهي تغمض عينيها: «أوه...» لتتناوبها الحرارة والبرودة مرة أخرى ثم ابتدأت ترتجف عندما عاودها ذلك الشعور العذب، بالإضافة إلى تلك التصورات عنه. وهمست مرة أخرى: «كلا...» وارتفعت أهدابها وقد تجمعت قطرات العرق على جبينها. ونظرت إلى يديه حول خصرها قائلة: «كيف تفعل هذا؟»

نظر إليها مكتئباً بفضول: «إنه الشعور المتبادل، يا عزيزتي جوانيتا، كما سبق وحاولت أن أخبرك من قبل.»

تركها وتحول نحو النافذة. وحدقت جوانيتا في ظهره لحظة، وهي تعض شفتها، ثم قطبت جبينها بارتباك إذ لحظت أن كآبته كانت حقيقية تماماً مما يناقض ظنها في

أنه يلهو بها، فلماذا يشعر بالاحباط كما تشعر هي به؟

فتحت فمها لتتكلم عندما فتح الباب لتبدو إكسانت على عتبته تنظر إلى الداخل قائلة: «غاريت، أوه، ها أنت هنا!» ودخلت إلى الغرفة ليتحول أخوها عن النافذة قائلاً: «ها أنذا، كيف حالك؟»

فابتسمت إكسانت بشحوب قائلة: «إنني أحسن حالاً.» ولمع في عينيها شيء من الاهتمام وهي تنظر إلى جوانيتا، ثم عادت تنظر إلى غاريت متسائلة.

قال بشيء من الجفاء: «إن الآنسة سبنسر هيل باقية هنا حالياً، يا إكسانت، ولا أدري إذا كانت قارئة أفكار، فلقد اقترحت هي كذلك فكرة ما إذا كنت ترغبين في مساعدتها، داخل المنزل طبعاً، ولكن يمكنك أن تقومي بذلك في غرفتك الخاصة.»

الفصل الخامس

«هل تمانعين في أن أساعدك، يا جوانيتا؟»

كانت جوانيتا في غرفة الطعام عندما دخلت إكسانت إليها بعد الظهر.

نظرت إليها جوانيتا باسمة: «كلا. كيف حالك؟» فزمّت إكسانت شفتيها استياء، ثم قالت بصراحة: «إنني حمقاء حزينة بعض الشيء. كان من المفترض أن أغضب من داميان ولكن...» وهزت كتفيها وقد امتلأت عيناها بالدمع وهي تتابع قائلة: «لقد ظننت، حقيقة، أن هذا هو حبي الأكبر في حياتي.»

قالت جوانيتا: «أظن ثمة فتيات كثيرات كن يظنن ذلك.»

لم تجب، ولكنها نظرت إلى جوانيتا بفضول قائلة: «إنك وداميان، يكاد لا يرى الواحد منكما الآخر، لماذا؟»

أجابت: «لم نكن قط متفاهمين. ودوماً مختلفي الشخصية. لقد كان هو دوماً الشخصية اللامعة بينما كنت أنا أشبه بالبطة القبيحة.» وهزت كتفيها.

قالت إكسانت: «وأنت الآن تعارضينه تماماً كما أظن.»

تنهدت جوانيتا في اعماقها. كان من الواضح أن أي انتقاد لداميان في هذه المرحلة، لن يلاقي قبولاً من إكسانت. لهذا قالت: «ليس تماماً، كلا. إنه ما يزال أخي.»

تنهدت إكسانت بعمق وهي تقول: «من الصعب فهم الرجال. أليس كذلك؟»

قالت جوانيتا ببعض التهكم وهي تفكر في شقيق إكسانت: «إنني أوافقك على هذا. ولكن، هناك طريقة واحدة للتعامل معهم.»

قالت إكسانت: «وما هي؟»

أجابت جوانيتا: «دعيهم هم يقومون بالمطاردة.»

طرفت إكسانت بجفنيها وهي تقول: «ولكن هذا ينتهي بي إلى أن أصبح عانساً. وعلى كل حال، في هذا العصر المستنير، تبدو هذه فكرة قديمة بالتأكيد.»

قالت جوانيتا: «لست متأكدة من ذلك. إن بعض الأشياء لا تتغير. وقد يحدث أحياناً أن يحب الرجل أن يكون هو الصياد. إن الظفر بالفريسة يثيرهم. ثم أنهم لا يحبون أن يروا أننا لا نتأثر بهم، فيستفزهم هذا، وعندما يظفرون بك في النهاية، يشعرون وكأنهم ظفروا بالجائزة.»

بهتت إكسانت، ثم قالت وهي تفكر: «ربما أنا لم أخلق على هذا الشكل.»

قالت جوانيتا: «حسناً، إنها فكرة فقط. والآن هل نلقي نظرة على غرفتك؟»

قالت جوانيتا عند المساء لريبيكا التي كانت تطلب منها تنفيذ وعدها لها برسم الكلب، قالت: «وأين أجد الكلب هذا؟»

أجابت ريبيكا وهي تمسك يدها: «إنه هناك، في الإسطبل. فهو غير مسموح له بدخول المنزل.»

قال ستيفن: «إنه يقترف أخطاءً كثيرة، فهو يحفر حفراً في الحديقة، يخيف الزائرين مع أنه يحب أن يكون صديقاً للآخرين، وهو، في الحقيقة، ما زال جروراً. ولكن عندما دفع زوجة الوزير لتقع في البركة، قال غاريت إن هذا يكفي.»

أكملت ريبيكا قائلة: «هذا لا يعني أن غاريت يحب زوجة الوزير. لقد قال عنها إنها متطفلة. ولم يخبرها أحد أن زوجات الوزراء ينبغي أن لا يكثرن من التجوال. ولكن، الكل سواء...» ونظرت ريبيكا إلى ستيفن ثم انفجرا ضاحكين، وأضافت: «كان الأمر مضحكاً جداً. لقد نزل غاريت إلى البركة بنفسه لكي يخرجها. إنها إمرأة سمينة جداً وكانت كالمجنونة حتى أنها شتمته. لقد أخبرها أنها تعجبه هكذا أكثر من أي وقت آخر، ولكن كلامه زاد من جنونها.»

قالت جوانيتا: «هكذا إذن... إنني أنا نفسي أخاف قليلاً من الكلاب.» وكانوا الآن يجتازون الحديقة. فقال ستيفن يطمئنها: «أوه، إنه لن يؤذيك، خصوصاً ونحن هناك.» وأضاف بزهو: «خاصة وهو يحرس الإسطبلات.»

سألته جوانيتا عابسة وهي تفكر في ما كان يمكن أن تتعرض له مساء أمس في جولتها: «هل هو يتجول في أنحاء المكان؟»

أجاب: «كلا. هناك سياج حول الإسطبلات. ها نحن قد وصلنا. أنظري، سندخل من هذه البوابة.»

ارتاحت قليلاً وهي تسأل: «ما اسمه؟»

فأجابت: «إسمه «وستمنستر». لقد طلبنا من غاريت أن يساعدنا في اختيار إسم له. فقال، إنه لو كان قاضياً لنما جسمه حتى يصبح بحجم البرلمان، ومعه حق في ذلك لأنه يحمل إسم مكان البرلمان.»

في هذا الوقت وصلا إلى البوابة، ولكن جوانيتا لم تستطع أن تنفذ من خلالها، وقالت بذعر: «إنني لا أحب أن

أكذب، فأنا خائفة جداً من لقاء وستمنستر إلا إذا كان مربوطاً. فهل هو كذلك؟»

قال ستيفن: «كلا، لم يربط بعد ولكن...»

قالت جوانيتا: «لماذا إذن لا أنتظر أنا هنا على هذا الجانب من السياج في حين أن البوابة مغلقة، بينما تحضره أنت إلى هنا وتبقيه في الناحية الأخرى في الداخل؟» وأضافت بسرعة عندما فتحا فميهما هما الاثنين، محتجين: «إنني سأبدأ برسم صورة ساحة البرلمان.» وبيضعة خطوط، ابتدأت ترسم ساعة «بيغ بن» على زاوية من دفترها.

مضت دقائق قبل أن يأتي أحد، ليجيء غاريت بعد ذلك مع التوأمين، وبرفقتهم كلب ضخم كهرماني اللون.

تنهدت جوانيتا. لم تكن قد وقعت عيناها على غاريت منذ تدخلت إكسانت بينهما في أثناء جلستهما تلك، ولكن، بالطبع، لم يكن ثمة مناص من تدخلها ذاك. كما أنها لم يكن في استطاعتها أن تفسر تلك المشاعر التي انتابتها فجأة، ولكن الأسوأ من ذلك هو عدم القدرة على التحكم في لون وجنتيها اللتين توردتا لرؤيته، أو الإنتفاضة التي أصابتها.

لم يبد عليه أية إشارة لشيء وهو يقول: «لا تخافي يا آنسة سبنسرهيل. لقد دربت هذا الحيوان جيداً منذ دفع تلك المرأة الموقرة إلى بركة الماء.» وأمر الكلب قائلاً: «إجلس.»

جلس وستمنستر مطيعاً وهو يولي انتباهه بشوق إلى تلك الغريبة التي تجلس إلى الجانب الآخر من السياج. ثم نبح محيياً إياها على طريقته الخاصة.

اجفلت جوانيتا لدى سماعها نباحه، ثم قالت لغاريت: «شكرا، ويمكنني أن أرى كل ما أريده من مكاني هذا.»

تقدم غاريت ليضع قدمه على حافة السياج. كان مرتدياً ثياب الفروسية مع قميص أصفر هذه المرة. وحاول وستمنستر أن يتقدم معه هو أيضاً ولكن نظرة من غاريت جعلته يغير رأيه ويبقى حيث هو. قال غاريت: «إنه حقيقة أكثر الكلاب مودة ولطفاً. وبما أنني أنا الذي قدمته إليك سمياً، فيمكنك أن تتخذيه صديق العمر.»

قالت جوانيتا: «هذا ممكن. ولكن ربما كان الصديق الوحيد الذي لن أحتاجه.»

قال وقد لمعت عيناه بمكر صريح: «إنني أشعر على كل حال، بما أن هذا البيت سيصبح بيتك لفترة، ليس من الحكمة فقط، بل ستفيدك صداقته. هل تخافين من الكلاب عموماً أم من هذا الكلب فقط؟»

ألقت عليه نظرة ذات معنى في حين أمسكا ريبيكا وستيفن بالسياج باهتمام، وقالت: «لا بد أن تسعة من عشرة أشخاص يخافون من هذا الكلب.»

قال: «هذا يريك كم من الممكن أن يكون المجموع على خطأ، تعالي.» ومد يده إليها: «لا يمكن أن يكون المرء جباناً إزاء كل شيء. وأنا أعدك أن لا أدع ضرراً ينالك، على كل حال.»

لمعت عيناها ولكنها ترددت وهي تلمح الفضول في عيون التوأمين اللذين كانا ينظران إليهما، ثم تصلبت في جلستها.

قال غاريت: «إنه ليس سيئاً، أليس كذلك؟»

نظرت جوانيتا إلى التوأمين يقفزان حوله مع وستمنستر دون خوف، ورأت مدى أنس الكلب معهما. ثم قالت: «كلا.»

قال: «إنه ما زال جرواً.»

قالت: «هل معنى هذا أن حجمه سيكبر عن ذلك؟»

قال غاريت بذعر: «أرجو أن لا يكون ذلك. هل ستحاولين تذكر شكله لترسميه فيما بعد، أم ستضعين له تخطيطاً هنا؟ هنا قطعة خشب ضخمة يمكنك الجلوس عليها.»

قالت: «انني... ما الذي ستفعله أنت؟» ثم عضت شفتها.

قال: «سأبقى معك.»

فلوت شفتيها قائلة: «شكراً. أظنك تعتبرني حمقاء.» ثم تضرج وجهها بعد إذ أدركت أنها ما زالت تمسك بيده. ولكنها، على الأقل، استطاعت أن تقاوم شعوراً كان يدفعها إلى إلقاء نفسها بين ذراعيه. وسحبت يدها من يده ثم جلست على قطعة الخشب.

قال وهو يجلس إلى جانبها: «الكثر من الناس يخافون من الكلاب. وأنت أيضاً إنما بسبب عدم استطاعتك التحرك بما فيه الكفاية، وأنا لا أريد الإساءة إليك بهذا الكلام.»

نظرت إلى عينيه اللتين كانتا جادتين، ولكنها لم تستطع أن تنسى السخرية في تلك العينين وهو ينعتها بالجبن إزاء كل شيء. ولهذا، هزت كتفيها وقالت باختصار: «شكراً.» ثم ابتدأت بالتخطيط.

سألها بعد فترة: «هل يمكنك الكلام بينما أنت ترسمين؟»

قالت: «أوه، نعم.»

قال: «من الواضح أنك ورثت بعض موهبة والدتك.»

قالت: «ليس الكثير منها.»

قال وهو ينظر إلى الرسم الذي بين يديها: «كله سواء. إن الرسم يكاد يكون تام الشبه بوستمنستر.»

قالت: «نعم بالنسبة إلى الشبه. ولكن ينقصني تلك اللمسة من النبوغ التي تبرز روح الشيء. وينقصني أيضاً الخيال الذي يجعلني أبدع في أي شيء عدا عن الشبه.»

قال ببطء: «لا أظنني أوافقك على قولك هذا. ها أنك قد وضعت كلباً ضخماً بالغ الإستئناس على الورق. إنه بكلمة أخرى، وستمنستر ذاته.»

ابتسمت جوانيتا بهدوء قائلة: «كلا، بل أعني نعم، هو كذلك، ولكنني لن أدهش إذا وجدت أن كل الجراء من فصيلة هذا الكلب، لها مثل صفاته.»

قال مصراً: «ولكن يبدو أنك وصلت إلى قلب الموضوع الذي ترسمينه.»

قالت: «إنك بالغ اللطف.» ورفعت ناظريها إليه لتجده ينظر إليها مقطباً. فقالت: «لـ... لماذا تنظر إلي بهذا الشكل؟»

نظر إليها بعينين ضيقتين وهو يجيب: «لو كنت مكانك لما نشأت بسهولة في احضان ذينك الوالدين الموهوبين.»

توقفت جوانيتا عن الرسم لحظة، ثم تحول قلمها إلى زاوية من الدفتر وابتدأت مرة أخرى وهي تقول: «أظن أننا جميعاً صادفتنا صعوبات أثناء نشأتنا.»

نظر إليها بشيء من الخيبة وهو يقول: «طبعاً. خذي مثلاً، إكسانت. إنها ليست فقط الصغرى بين اخواتها السبعة، ولكن هناك فترة بينها وبين الأخ الذي يكبرها مباشرة. ولهذا، في بعض الأحيان كانت تعتبر نوعاً ما، كالطفل الأوحد. ولكن، على كل حال، كان في سبعة أولاد ما

يكفي من إرهاق لوالديهم. كان والدانا يدلّلانها كثيراً، مما جعلنا، نحن الآن، نتحمل النتيجة. إنني لا ألومها كلياً ذلك أنني أنا نفسي أشعر بالعجز إذ أواجه إكسانت.»

سألته: «وماذا بالنسبة إلى أخواتها؟»

قال بجفاء: «إنهن مكتملات الفضيلة. لا أعني هذا حقيقة ولكنهن ذوات أسر ومنتشرات في أنحاء أوروبا.»

قالت: «وهكذا تركوا لك كل شيء؟»

قال: «نوعاً ما. إنك تملكين روح النكتة يا جوانيتا؟ لطالما تساءلت عن ذلك.»

قالت: «ماذا؟» ورأته ينظر إلى الدفتر مرة أخرى. لقد كان ما رسمته هي صورة كاريكاتورية لنفسها جالسة بارتباك على السياج تتطلع بنظرة مذعورة وبشكل مضحك نحو صورة أكبر لوستمنستر. ونظرت إليه لتلتقي نظراتهما مرة أخرى، ولتنجو من ذلك حين تعلق التوأمان على السياج ومعهما الكلب.

قال لها غاريت بهدوء بينما كان التوأمان يضحكان للصورة ثم يريانها لوستمنستر: «لاطفي الكلب.» ففعلت على سبيل التجربة، وكوفئت على ذلك بنباح ابتهاج منه. عند ذلك قال غاريت: «حسناً يا أطفال، أعيداه إلى مكانه.» ثم قال لجوانيتا: «هل نعود إلى المنزل؟»

قالت جوانيتا وهما يجتازان البوابة: «يبدو الأمر وكأن عندك أسرة جاهزة.» ولكنها ما لبثت أن جفلت وهي تتذكر فقدانه لزوجته وطفله.

لكنه لم يجب سوى بهزة من كتفيه وهو يبطىء من خطواته لتناسب خطواتها. ثم ما لبث أن قال: «إنهما طفلان

طيبان. ويبدو أنك تنسجمين معهما جيداً أنت أيضاً.»

سارا معاً صامتين عدة دقائق اغتنمتها لتنظر حولها وهي تتنفس بعمق. كانت الشمس تغيب بينما الحديقة البرية الرائعة تبعث زقزقة الطيور الحياة فيها مرة أخرى. كان ثمة دخان يتعالى نحو السماء التي يلونها الشفق البرتقالي، وذلك من مدخنة والدة وندي. وتذكرت جوانيتا طفولتها حين كانت دوماً تحلم بالعيش بمكان يشبه هذا المكان بأشجاره وأعشابه وحيواناته، بدلاً من حياة المدينة، والفيلات الفخمة التي عاشت فيها بالتتابع...

قال لها فجأة: «بماذا تفكرين؟»

أجابت وهي تنظر إليه: «أفكر بأ... بأنني أحب هذا المكان وهذا كل شيء.»

قال لاوياً شفتيه: «أفهم من هذا أنك سامحتني بالنسبة لليلة الماضية، وهذا الصباح؟»

«أظن أنني استحق العقاب لذلك.»

ابتسم وهو يقول: «هذا كلام حسن.» ووقف حيث كانا قد وصلا إلى مكان للجلوس، ثم قال: «إنك أكثر هدوءاً مما ظننتك ستكونين عليه هذا الصباح.»

ضحكت قائلة: «هل أنا كذلك حقاً؟ لا أستطيع تصور السبب. حسناً، بل أستطيع. تلك الإختلافات الصغيرة التي تصادفنا أحياناً ليس لها وزن حقيقي. هل لاحظت ذلك؟»

أجاب باختصار: «كلا. ألا تظنين أن ذلك يمكن أن يكون تحقيقاً لتمنيات خفية في نفسك؟»

زمت شفتيها وصوبت إليه نظرة ملتهبة، ثم قالت: «بالنسبة إلى موضوع التمنيات الخفية، فأنت تحاول أن

تجعلني اعتقد بأنني جبانة، وهذا لن يفيدك يا سيد ووكر.»

أجاب بجدية: «إنني أتقبل اللوم يا آنسة سبنسرهيل، ربما بالنسبة إلى الإنتقادات الخفيفة. ولكن، عندما اراك، إلى حد ما، تتحسسين في الظلام... محاولة أن تجربي ما تقرأينه في الكتب، واعتذر عن استعمال تعبيرات مجازفة مختلطة.»

تصنعت جوانيتا براءة خارقة لتقول: «وأنا التي ظننت نفسي كتاباً مفتوحاً أمامك. بصفتك تدرس الطبيعة البشرية، ولا أريد أن أقول إن الرجل هو...» وسكتت.

قال يكمل قولها: «باحث عن فريسة؟ والآن، هل هي ضربة عشوائية أم أنك تريدين أن تجرحيني؟»

قالت بجمود: «يمكنك أن تعتقد بما تراه يناسبك.»

قال: «حسناً، بالنسبة إليك فأنا أعتقد أنك أحد إثنين يا جوانيتا، الأول هو عدم اليقظة أو الوعي، أي من الممكن أن تكوني واحدة من تلك النسوة الطاهرات ذهنياً دون مشاعر حسية واللاتي، رغم مظهرهن المخالف لذلك لا يمكنهن النضج...» وسكت فجأة وهو يرى شحوب وجهها، فقال: «والآن، ماذا؟»

قالت: «لا شيء، سأدخل المنزل.»

قال: «ولكنني لا أعتقد أنك شديدة البرودة.» ووضع يده على ذراعها، ولكنها نفضت ذراعها منه، وهي تقول بحدة: «لا تحاول أن تمنعني من ذلك، يا غاريت ووكر، إلا إذا أردت أن أضربك بعصاي هذه. وإياك أن تجرؤ على وضع يدك عليّ مرة أخرى إبداً.»

قال وهو ينظر إليها بإمعان: «يبدو أن ضربتي هذه قد

اصابت الجرح، يا جوانيتا؟ منذ متى بدأت تتساءلين عما إذا كنت باردة؟»

قالت بحدة: «إنني لست كذلك، أوه، إنك صعب جداً.»

قال وهو ما زال يمعن النظر فيها: «هذا أفضل.»

قالت: «ما هو الأفضل؟ آه، لا تكلف نفسك الجواب فأنا لا أريد أن أعلم.» ثم استدارت مبتعدة.

قال وهو يسير إلى جانبها: «لقد عاد إلى وجهك بعض اللون، وقد كنت ظننت، منذ لحظة، أنك موشكة على الإغماء.»

قالت بجفاء: «ليس من عادتي الإغماء.»

قال: «هذا حسن...» وكانا قد وصلا إلى الباب الخلفي للمنزل، فتابع قائلاً: «أظننا في حاجة إلى شراب. كيف كان حالك مع إكسانت اليوم؟»

رمقته بنظرة تغني عن الكلام. وحاولت أن تتكلم فلم تجد سوى التأتأة.

قال باسماً وهو يمسك بيدها: «نعم، لا بد من الشراب، وإنني اعتذر عن أي شيء يمكن أن يكون قد ساءك.»

أرادت أن تجذب يدها من يده، عندما أطلت وندي برأسها من الباب وهي تقول بلهفة: «أهذا أنت يا غاريت؟ إن إكسانت في غاية الأسى.»

كانت إكسانت منكفئة على وجهها في سريرها وهي تنشج باكية من الأعماق، ولكنها رفعت رأسها لتقول بصوت ضعيف باك: «إبتعد عني يا غاريت، فأنا أعرف ما الذي ستقوله. ستقول إنني حمقاء. حسناً، ربما أنا كذلك ولكن هذا رغماً عني، وأنا أشعر بنفسي أموت.»

جلس غاريت على السرير بجانب شقيقته وهو يقول:

«إسمعي يا عزيزتي. أتظنين أنني أنا نفسي لم ارتكب أية حماقة؟ سأخبرك بشيء لم تعرفيه من قبل وهو أنني أحببت ذات مرة إمرأة كانت تكبرني بعشر سنوات. كنت بسنك تقريباً وقد اعتدت أن... حسناً، صرت أكتب إليها الأشعار العاطفية الحزينة، وصرت أحلم بها وأضع الخطط و...»

هنا خرجت وندي وجوانيتا وأغلقتا الباب وراءهما بهدوء.

قالت جوانيتا بتهكم: «أحقاً قد فعل ذلك؟ عجباً.»

قالت وندي: «قد لا نعرف أبداً. لا يمكن أن تكون زوجته فقد كانت أصغر من ذلك. ولكن، ما دامت إكسانت تصدقه، فسينفعها ذلك. كل هذا من أجل رجل.»

قالت جوانيتا بجفاء: «إنه ليس مجرد رجل... بل هو، لسوء الحظ، أخي.»

قالت وندي: «آه، يا إلهي.»

قالت جوانيتا: «نعم. يبدو أنه خدع إكسانت.»

قالت وندي: «لا بأس. إن غاريت سينسيها كل ذلك. إنه الشخص الوحيد الذي يستطيع ذلك.»

كانتا قد وصلتا إلى المطبخ. ونظرت جوانيتا إلى وندي مفكرة وهي تقول: «إنه لا يتحدث أبداً عن زوجته، أليس كذلك؟ وأنا لا أرى أية صور لها في المنزل... مما يجعل المرء يظن أنه لم تكن له زوجة قط.»

قالت وندي: «هذا صحيح. إنني لم أشأ أبداً أن أسأله عن هذا الموضوع. ربما كانت هي حبه الأكبر في حياته فهو لا يريد أن يتذكرها. لا أدري كم من الأشخاص سيتناولون العشاء الليلة.»

بعد ذلك، جلسوا جميعاً إلى مائدة المطبخ ومع أن اكسانت لم تتكلم كثيراً، فقد استطاعت أن تأكل، لتتصل بها، بعد ذلك، إحدى صديقاتها هاتفياً لحديث طويل أشرق بعده وجهها نوعاً ما.

ساعدت جوانيتا وندي في تنظيم المطبخ بهدوء بينما انسحب غاريت نحو مكتبه متجهم الوجه. وكان أثناء العشاء يبدو هادئاً مستغرقاً في التفكير.

صممت جوانيتا على العمل، ولكنها لم تستطع التركيز على ذلك إذ كانت شاردة الذهن، ولهذا استلقت في سريرها بعد أن صممت على العودة إلى المدينة في الصباح التالي.

ذهبت إلى غاريت في مكتبه بعد الساعة التاسعة وقد تأنقت بملابسها مرتدية التنورة التي سبق وارتدتها في حفلة عشاء وندي، وقميصاً قطنياً قصير الكمين بلون ثمرة الفريز. وكانت حمرة شفتيها وحذاؤها العالي بنفس اللون.

نظر إليها من فوق أوراقه، ثم رفع حاجبيه قائلاً: «يبدو عليك وكأنك ستتركيننا، يا جوانيتا.»

قالت: «ذلك بصفة مؤقتة. إذ أنني يجب أن أطمئن، قبل أن أواصل وضع مخططاتي لديكور المنزل، إلى أن كل ما سأحتاجه موجود في السوق.»

قال: «ألا يمكنك القيام بذلك هاتفياً؟»

قالت: «الأفضل أن أرى كل ذلك بنفسي وأتبادل الحديث مع البائعين.»

«حسناً، ومتى ستشرفيننا برجوعك؟»

قالت ببرود: «بعد يومين أو ثلاثة.»

قال ببطء: «لا بأس. أتمنى لك الإستمتاع بهذه الفترة.»

بدت في عيني جوانيتا نظرة بعيدة، ثم ما لبثت أن غادرت الغرفة دون جواب. لكنها أدركت أنه عرف أنها إنما اتخذت ذلك السبب حجة للإبتعاد عنهم. وشعرت لذلك بالغضب والإرتباك.

لم يتركها أي من هذين الشعورين أثناء اليومين التاليين في أثناء طوافها على المصانع ومحال الأثاث المنزلي. كما أنها لم تستطع أن تبعد غاريت ووكر عن ذهنها ولكن أسوأ الأوقات كان عندما تنفرد بنفسها في غرفتها، إنها لم تستطع أن تصدق كيف تملك مشاعرها وكيف ملأ أحاسيسها بالقلق وعدم الإستقرار. كما أدهشها كيفية استجابة مشاعرها له، كيف يمكن لرجل لم تعرفه سوى من مدة قصيرة أن يكون له كل هذا التأثير عليها؟

فكرت، وهي تشعر بالتعاسة أثناء استلقائها في سريرها ذات ليلة، أنها يجب أن تطرده من حياتها. وحدثت نفسها بأن الوقت سيحين لذلك.

أغمضت عينيها وهي تشعر بوجنتيها تتوهجان ثم دفنت وجهها في وسادتها.

بعد أن عادت إلى منزل غاريت، بعد ثلاثة أيام، لم تكن قد تغيرت كثيراً، واستقبلتها وندي والتوأمان كما يستقبلون صديقاً غاب مدة طويلة، وبان الإرتياح على وجه إكسانت حين رأتها. أما غاريت فقد ابتسم لها بهدوء وهو يسألها إن كان استطلاعها للأشياء شخصياً قد أفادها كما كانت تأمل.

لقد أوشكت أن تقبله وهي تشعر بخفقات قلبها تتزايد وهي تراه يقف بقامته الفارعة، دون اهتمام، إلى المنضدة في الردهة يتفحص البريد الذي كان وصل قبلها مباشرة،

والذي لم يكن اهتمامه به بأكثر من اهتمامه بوصولها وهو يلقي بنظرة على كل مغلف ثم يلقيه جانباً دون أن يفتح أياً منها.

أغلقت على نفسها، تلك الليلة، باب غرفتها بعد أن عملت طيلة النهار بسرعة وعصبية محاولة أن تجمع أفكارها عما شاهدته في جولتها تلك على المحلات المختصة. ولكنها أدركت، وهي تشعر بالوحشة، أنها لن تستطيع الرقاد.

وقفت عند النافذة تحدق في الظلام تتنفس بعمق وهي ترغم نفسها على تذكر الشكوك التي كانت تشعر بها نحو غاريت ووكر. ولكنها، حتى مع توتر أعصابها البالغ، أدركت، وهي تعود إلى هذا المنزل، أن ثمة ورطة جديدة تسبب لها الإنفعال كما لم يحدث لها بالنسبة لأي شيء آخر. إنها الآن وجهاً لوجه أمام سؤال كبير، من هو هذا الرجل؟ ما هو وجهه الحقيقي؟ ذلك الأخ العاطفي الجم الاهتمام بأخته؟ لم يكن لديها شك إزاء ذلك. أما إكسانت فقد كانت اكثر هدوءاً دون شك، وتناول العشاء مع وندي والتوأمين كان ساراً تبعاً لمجهود غاريت في أن يكون كذلك، وبالنسبة إلى وندي والتوأمين، فقد كان من الصعب أن لا يلاحظ المرء تأثرهم الصادق بذلك الرجل الذي عدا عما صنعه لأجلهم وهو كثير، فقد كان مولعاً بهم حقاً. وبكلمة أخرى، رأت أن ثمة جوانب أخرى في شخصية غاريت ووكر... وهناك كذلك الزوجة التي لا يتحدث عنها أبداً وأيضاً الطفل الذي فقد.

كل هذه الصفات في هذا الرجل الغامض كانت تمثل لها ورطة جديدة. تنهدت، ثم عادت إلى سريرها، ولكن الأرق

الذي أقضى مضجعها جعلها تفكر في الإستحمام عسى أن تتمكن من النوم بعد ذلك.

فعلاً، شعرت بالإسترخاء بعد قضاء فترة طويلة في حوض الإستحمام الأثري. فقد كان الماء وفيراً ساخناً. وفكرت في أن شيئاً تشربه قبل النوم، قد يساعدها على ذلك. ولكنها ترددت عند الباب لحظات قبل أن تصمم على اتخاذ تلك الخطوة. لم يكن ثمة صوت في أي مكان، وكانت غرفتها في الناحية الأخرى من المنزل. ناحية مكتب غاريت وغرفة سيد المنزل، وملاصقة للمطبخ الذي كان يبدو غارقاً في الظلام. وأحكمت لف نفسها بمعطفها المنزلي البنفسجي، ثم تقدمت إلى الأمام.

لم يكن المطبخ مظلماً تماماً كما رأت حين فتحت الباب. كان ثمة مصباح مضاء في نهاية المطبخ الواسع وقد جلس إلى الخوان الرجل الوحيد الذي كانت تريد تجنبه، وهو غاريت، يشرب الشاي.

أدار رأسه نحوها ليلقي عليها نظرة لم تحمل أي أثر للدهشة أو الإهتمام. لم يفعل سوى أن رفع حاجبه بشيء من التهكم بعث الغيظ في نفسها.

قالت بتردد وهي ما زالت واقفة على عتبة الباب: «لم أكن أعلم أن أحداً هنا.»

قال: «لقد كنت مخطئة. هل هذه هي المشكلة؟»

قالت: «ك... كلا... لقد جئت لأشرب شيئاً يساعدني على النوم. هذا كل شيء.»

تمتم: «كوني ضيفتي إذن. إنني أشرب الشاي، كما ترين، ولكن ثمة كاكاو وحليب... أو شراب مع الحليب وهو

المفضل عند السيدة سبايسر مدبرة المنزل، عند الحاجة القصوى. ذلك أن السيدة سبايسر هي التي تعرف كل المناسب لكل وقت.»

قالت جوانيتا وهي ترغم نفسها على الدخول: «كم هي حسنة الحظ.» إن أي شيء غير ذلك تفعله الآن سيبدو سخيفاً.

قال وهو يرتاح بجلسته إلى الخلف: «إنها كذلك حقاً. إنني أتمنى لو كانت هنا هذه اللحظة.»

تناولت جوانيتا فنجاناً وسكبت لنفسها الشاي. ثم قالت: «أظن أن وندي تعلمت كل هذا بشكل يدعو إلى الإعجاب.»

قال: «هي كذلك، ولكن، لو كانت أمها موجودة لكنت قمت برحلة مع إكسانت لفترة من الوقت.»

قالت: «آه، وهل تظن أن هذا قد ينفع؟»

قال: «هذا واضح، وإلا لما كنت فكرت به؟»

قالت: «ربما كان هذا بشكل مؤقت، ولكن هذه المحنة لن تمر ما لم يستحوذ على عقلها اهتمام آخر أو شخص آخر. والمسألة مسألة وقت.»

قال متنهداً: «أتمنى أن تكوني على حق.»

قالت: «ما أخبار مسيرة الكتاب؟»

قال بتهكم: «أي كتاب؟»

قالت: «الكتاب الذي تقوم بتأليفه.»

قال: «ليس ثمة تقدم بهذا الشأن.»

قالت وهي ترشف الشاي: «إن هذا يعسر الأمور.»

قال وهو يرمقها بنظرة حوت مرارة قوية: «ليس هذا فقط، بل إن واقع جلوسنا هنا لتبادل أحاديث عادية مكررة، لا يخدم صفائي العقلي بأي شكل كان.»

قالت: «إنني أفهم ذلك، فإن أمي اعتادت أن تمر بمثل هذه المحن غالباً.»

سألها بتهكم عميق: «وماذا اعتادت أمك أن تفعله لذلك؟»

قالت: «كانت تقول إن نشاطها بحاجة إلى تجديد، فتخرج عند ذاك منفردة دون أن تسبب ضرراً لنفسها أو لغيرها. ماذا تفعل أنت بالنسبة لذلك؟»

دفع كرسيه إلى الخلف ووقف، وأخذ يروح ويجيء بقلق ودون هدف لمدة دقيقتين أو أكثر، ثم قال بجفاء وهو يلقي بنظرة ذات معنى إلى معطفها المنزلي وشعرها المنسدل: «لا يبدو هذا جواباً لهذه المسألة سواء كان لهذه اللحظة بالذات، أم لإمكانية القيام به بأي شكل.»

قالت: «وهل حدث لك مثل هذا من قبل؟»

قال: «كلا.»

قالت بحذر: «هل تستطيع... هل من الممكن أن تكون تواقاً إلى الاستقرار في حياتك بهذا الخصوص؟»

قال بصراحة: «لا أدري. هل هذا ممكن؟ ان هذا يشابه ما تتوق إليه النساء عادة. وماذا بالنسبة إليك أنت؟ من الواضح أنه لا يبدو عليك أنك تواقة إلى شيء بهذا الخصوص بالرغم من كونك امرأة.» ونظر إليها بسخرية.

«لم يحدث ذلك بعد. في الحقيقة، لطالما تساءلت عن الزواج والحياة الزوجية وعن...»

قال: «وماذا كانت نتيجة تساؤلاتك تلك؟» ولكن جوانيتا بقيت صامتة تفكر إلى أن عاد يقول ساخراً: «ربما تفكرين بشخص ذي شخصية مغايرة لشخصي أنا!»

سألته محتجة وقد ازداد تورد وجهها: «وما الذي جعلك تظن ذلك؟»

www.elromancia.com

فهز كتفيه وقد بدت التسلية في ملامحه، وقال: «إن عندي شعوراً بأن رجلك المثالي ربما هو رجل فكر، وبالتأكيد لا تبدو عليه القوة الجسمانية، رقيق مهذب وقد يكون من النوع الحالم... هادىء...»

قالت: «وما هو الخطأ في أن يكون...» وسكتت فجأة وهي تعض شفتها وتعجب لحدة ذهنه.

نظر إليها بإمعان ثم هز كتفيه قائلاً: «لا شيء على كل حال، ليس ما تحتاجينه هو حتميّ بالضرورة.»

قالت بجفاء: «من المؤكد أن الشخص إما أن يكون بالغ الحكمة وإما بالغ الحماقة لكي يمكنه افتراض ذلك بعد معرفة سطحية قصيرة.»

قال: «حسناً، إنني لا أدعي بكوني ذا حكمة غير عادية ولكنني كذلك لست بالغبي وأنا قلت فقط ان... ما الذي كنت أريد أن اتكلم عنه... ان الشخص يجب ألا يؤسس حكمه على رجال أو نساء أو أولاد على ضوء فشل أسرة شخص ما.»

قالت: ««ظننت أنه أنت من كنت... حسناً...»

لوى شفتيه قائلاً: «لا بأس، وأنا أيضاً. ولكن ما يهمني هو أنك يجب أن تختاري شخصاً يكون مختلفاً عن أخيك أو أبيك كنوع للرجل الذي قد تتزوجينه.» فحدقت جوانيتا فيه.

قال بنوع من العطف الخشن: «إسمعي، لا بد أن ثمة سبباً لذلك وإذا لم تخبريني به، فأنا سأحاول أن أتكهن بذلك.»

قالت وقد تسارعت أنفاسها فجأة: «سبب لماذا؟»

قال بجفاء: «لأن تكوني على ما أنت عليه، يا جوانيتا سبنسر هيل. ولكن، أظن أن من الأفضل أن أذهب إلى سريري الآن بدلاً من هذا الحديث و...»

وقفت جوانيتا قائلة: «كلا.» كان دمها يغلي في عروقها مما جعلها تضرب بكل حذر عرض الحائط. وتتابع قائلة: «لا يمكنك أن تقول كلاماً كهذا ثم تذهب إلى سريرك. ما الذي يعطيك الحق في أن تخبرني أن الخير والصلاح والرقة و... لا أستطيع أن أذكر ذلك...» أغمضت عينيها وجلست مرة أخرى، وهي تمرر أصابعها خلال شعرها بيأس.

لقد بدلت تلك الحركة الخفيفة من حالة دموع الإحباط التي يصعب تفسيرها، إلى واقع أنه جلس بجانبها. وابتلعت ريقها وهي تستقيم في جلستها.

قالت بجمود: «آسفة.»

قال: «لماذا الأسف؟»

قالت: «لتدفقي بالمشاعر.»

قال: «ومن يهتم لذلك؟ أنا لا أهتم.»

قالت وقد بدت عليها المرارة: «شكراً.»

قال: «أعني انني لا اعتبرها تحط من مقام المرأة أو ما شابه. ومن الأفضل أن تتخلصي الآن من كل ما يكبت مشاعرك. ذلك أن كثرة الكبت تشبه الهستيريا في السوء.»

قالت: «تلك هي الكلمة التي كنت أحاول أن ألفظها.»

ساد الصمت لدقيقة واحدة تقريباً، قبل أن يقول: «اتعلمين أن القمر مكتمل الليلة؟»

قالت: «أحقاً؟»

قال: «عندما كنت طفلاً، كنت أعشق الجلوس على السلم لأراقبه. هل تمانعين في أن تجلسي لنرقبه الآن؟»

قالت: «إنني...»

قال: «الجو ليس بارداً.»

قالت: «لا بأس...»

قال: «سوف احضر معي شراباً.»

أحضر معه علبتي عصير ووسادة لها هذا إلى سجادة صغيرة في حال ما إذا تغير الجو إلى البرودة، كما قال.

جلسا صامتين فترة، يرشفان العصير ويراقبان القمر وهو يكوّن مدينة فضية في الحديقة، إلى أن قالت: «إنني لا أتحدث في العادة، عن هذه الأشياء، ولكنني أعتقد أن المرء لا يمكن أن يلوم والديه... أعني أنك يجب أن تصل إلى مرحلة لا يحسن بك فيها أن تلوم أي أحد لما وصلت إليه.»

قال بهدوء: «تابعي كلامك.»

قالت: «حسناً، لقد أحباني، هما الاثنان، رغم كل عيوبهما. والمشكلة الحقيقية هي انني كنت مختلفة عنهما. لقد أمضيت طفولتي كلها أتلهف إلى أن اعيش في منزل كهذا. لقد كنت مستميتة إلى أن أرى الأسرة كلها مجتمعة معاً، لكي أشعر بالهدوء. وكنت أتمنى لو كنت لامعة مثل أبي أو موهوبة رائعة الجمال مثل أمي. ثم كان هناك داميان، ماهراً في كل شيء... أعني، على كل حال لقد سبق وأخبرتك بكل هذا.» وسكتت وقد انتابها فجأة شعور بالذنب.

قال: «هذا غير مهم. تابعي كلامك.»

قالت: «ثم، لكي تكتمل الأمور، حدث لي حادث الإصطدام ذاك ليزداد شعوري بشذوذ مظهري ولكنني كذلك ابتدأت أشعر بالغضب، ذلك أن طريقتهم في الحياة التي استمروا عليها بدت لي مرهقة وتافهة.»

قال غاريت برصانة: «وهنا ابتدأت تتحررين من الوهم الذي كان يربطك بهم. وهكذا هجرتهم، فقسمت إسمك إلى

نصفين ومن هنا ابتدأوا جميعاً يشعرون بالذنب؟»

قالت بحسرة: «لم أدرك أنهم كذلك إلى أن قالت إكسانت هذا. على كل حال، لقد فكرت فيما بعد أنني وصلت إلى المرحلة التي يدرك فيها الإنسان أننا جميعاً ولدنا مختلفين وأنه لا يصلح أن تلوم والديك لأجل كل شيء... ولكن نعم، الهدوء، الرقة، ضبط النفس وكثير من الأشياء كانوا يفتقدونها وكانت عندي على رأس قائمة مثلي العليا... ربما بالوراثة، ولكن ذلك لم يظهر أنه كان ذا نفع.»

كان صامتاً يحدق في كأسه. وأخيراً قالت: «ألا يعني هذا لك شيئاً؟»

«بالطبع.»

بعد قليل من الصمت، ألقت عليه سؤالاً يتعلق بشيء لم يعرفه عنها وشيء كان يشغل ذهنها اكثر فاكثر. قالت: «هل ما يحدث لي هو شيء واضح؟ إنني لم أعرف نفسي... أعني، أنني كنت أشعر بنفسي وكأنني أبحر على لوح خشب منبسط. مسرورة بعملي، باستقلالي، لا أشعر بالأسى لعدم وجود رجل في حياتي.»

قال ببطء: «من الواضح أنك تتراجعين إلى الخلف إذ تشعرين بالخوف من الرجال.»

قالت: «ثمة سبب لذلك.» وتوقفت فجأة وهي لا تصدق أنها كانت على وشك أن تخبره. وازدردت ريقها وهي تقول: «إنني... حـ... حسناً، لقد حدثت لي تجربتان غير مقبولتين.»

قال: «أخبريني.»

قالت: «لقد كنت أظن أنني...» وتوقفت عن الكلام برهة ثم

تابعت: «... أنني يجب أن أكون شاكرة لأي انتباه من رجل وأن لا أتردد في منحه كل ما يطلبه مني لأجل... لأجل إعاقتي.»

قال: «لقد فهمت.»

قالت ببرود: «إنني أعجب.»

قال: «هل تتهمينني بهذا؟»

هزت كتفيها قائلة: «شكراً.» وهزت كتفيها ثانياً ثم أخذت رشفة من العصير قائلة: «صدقني، لقد حدث هذا. وعندما تحدث أشياء كهذه أكثر من مرة، فلا يمكن أن يكون ذلك صدفة. أليس كذلك؟»

قال: «كلا، ولكن كل القطط تظهر بلون رمادي أثناء الليل بينما هي ليست كذلك.» وتصلب جسدها من هذا التلميح، ولكنه أضاف برزانة: «ذلك الهر، مثلاً، الذي يتمشى في المرج هو هر أحمر اللون.»

ابتسمت وهي لا تتمالك نفسها من القول: «لقد فهمت ما تعني. ولكن بقية الحذر، على كل حال، هي ربما طبيعة بشرية.»

قال موافقاً: «ربما.»

قالت: «حسناً، هذا كل شيء عني، فماذا عنك أنت؟»

قال: «وماذا عني؟»

قالت: «هذا غريب. لقد بدا عليك الإنزعاج هذا المساء أكثر مما بدا علي. إنني لا أعرف كيف حدث وتبادلنا الأدوار، ولكنك كنت بالتأكيد، متحرراً من الأوهام.»

مد ساقيه أمامه وتنهد قائلاً: «وهكذا كنت.»

انتظرت برهة ثم قالت: «حتى لقد أشرت إلى أنك هارب من النساء.»

قال: «هل قلت أنا ذلك؟»

قالت: «إنك لم تقل ذلك حرفياً ولكنك جعلتني أفهم ذلك. ولعلك تذكر أن الحديث قد بدأ هكذا.»

قال: «آه، نعم. ربما كنت أنا تواقاً إلى شيء من الإستقرار في حياتي. ولكن، هل أخبرك بالحقيقة، يا جوانيتا؟ إنني لا أعرف أبداً ما أنا تواق إليه. وإن رأيت نفسي قادراً على أن أنهي هذا الكتاب، فإنني أعود واكتشف العكس. إن وقوف إلهام الكاتب قد تسبب الجنون.»

قالت: «ربما كان لمشكلة إكسانت دور في هذا.»

قال لاوياً شفتيه: «بقدر ما أريد أن ألوم إكسانت فإنني ألوم...»

فقاطعته: «أخي المجرم.»

قال: «هذا صحيح. لقد سبق وعانيت من مشكلات إكسانت العاطفية، ولكن هذه المشكلة هي من نوع آخر... أعني أن كل إنسان يمر بها من وقت لآخر، ولكن هذه مختلفة.»

قالت: «هل هي أسوأ من العادة؟ أعني أن امي تعاني من شيء مماثل مع كل لوحة ترسمها.»

قال: «لا عجب في أن يكون أبوك...»

نظر إليها ضاحكاً كيلا يتملكها الإستياء ثم تابع: «أسوأ من العادة. وسأخبرك. عن الأشياء المسلية عديمة النفع، أعني ما يتعلق بتلك المرأة التي تعرف كل شيء، في برنامجها الثقافي.»

قالت: «اتعني لورا؟»

قال: «ومن غيرها؟ يا لقلبها البارد.»

وأوشكت جوانتيا على الضحك وهي تقول: «ولكنك سبق وقلت مرة...»

قاطعها: «ربما قد قلت أشياء كثيرة. ولكنني الآن أحاول أن أكتب كتباً من النوع الذي يرشح لجائزة (بوكر برايز) ولا عجب إذا كنت لا أستطيع أن أنهي العمل فيه.»

حملقت جوانيتا فيه بعينين متسعتين وهي تقول: «أتعني أنك أدركت ذلك الآن فقط؟»

«نعم.»

قالت: «وهل... هل ذلك شيء سيىء؟»

قال: «إنه، بالنسبة إليّ، كارثة.»

قالت: «لماذا؟»

قال بنفاد صبر: «لأنني لست من ذلك النوع من الكتّاب. إنني لست (غراهام غرين) الكاتب المشهور. إنني كاتب تقليدي، وهذا النوع من الكتاب لا تصل إليه جائزة (بوكر برايز).»

قالت: «لقد فهمت.»

أطلق شتيمة، وبدا وجهه في ضوء القمر، مليئاً بالإشمئزاز.

قالت: «لقد قلت مرة ان لك الحق في أن تكتب ما تريد. ومن الغريب أن لورا أذعنت لدفاعك هذا، بذلك الشكل.»

قال عابساً: «هذا ليس غريباً ابداً. إن بعض النساء يتلهين بمحاولة الاقلال من قدر الرجال بقدر إمكانهن. وذلك بطريقة بالغة اللطف والرقة.»

قالت: «هذا ليس صحيحاً...»

قال: «لا تقولي ذلك لي.»

قالت: «لأنك تبدو سخيفاً.»

قال: «أتظنين ذلك؟»

قالت: «نعم. هذا رأيي، لأن اكثر الكتّاب يتمنون أن يحصلوا على جائزة بوكر برايز أو بوليترز أو نوبل...»

قال بازدراء: «إنني لم أتصور قط، منذ صرت كاتباً، بأن أفوز بجائزة نوبل. صدقيني.»

ساد صمت قصير عاد بعده يقول مفكراً: «ولكن، ربما كنت على حق.» وهدأ صوته عن ذي قبل وهو يقول: «ذلك ما كنت تواقاً إليه دون شعور مني. أعني شيئاً من المجد. لم انتبه إلى هذا من قبل.»

لم تستطع جوانيتا ضبط نفسها اكثر من ذلك، فضحكت بهدوء. فرفع حاجبه متسائلاً: «ما معنى هذا الضحك؟»

قالت: «لا أدري. ربما اللهجة الحلوة التي قلت بها هذا.»

• قال: «حلوة؟» وبدا على وجهه تعبير لا يمكن وصفه ما لبث بعده أن استغرق الإثنان في الضحك. ووضع ذراعه حول كتفيها وبدا هذا شيئاً طبيعياً جداً وسألها: «ما الذي جعلك تدركين هذا؟»

أجابت: «ربما نحن الإثنين أدركنا ذلك. أنت بوصفك كاتباً تدرس الطبيعة البشرية رغم أنك لست من نوع الكتاب الذين تطالهم جائزة بوكر برايز وأنا... حسناً، عندما تكون قد أمضيت اكثر حياتك منعزلاً عن الحياة، فإن باستطاعتك أن تلاحظ الكثير.»

قال بهدوء: «ربما كان هذا صحيحاً، ولكن من الإجرام أن تمضي حياتك منعزلة هكذا يا جوانيتا.» فجمدت في مكانها، لتشعر بالدموع تتجمع في مآقيها. وقالت بصوت مبحوح: «إنني أحاول أن لا أفعل ذلك.»

قال: «أنظري إليّ. هل تبكين؟»

قالت: «كـ... كلا...» ولكنها ما لبثت أن شهقت بالبكاء فجذبها إليه يدير وجهها نحوه قائلاً: «ثمة رمز يتردد في ذهني لا أعرف لماذا، ولكنه جد ملائم.» وأمعن النظر من لمعان عينيها ثم تابع: «أتعلمين ماذا تعني الأحرف خ. أ. ب. غ؟»

انفرجت شفتاها وقطبت حاجبيها قائلة: «كلا، ولكن...»

قال: «إنها تعني (خذ الأمور ببساطة يا غبي) يعني الأمور التي في ذهني، والغبي هو أنا، طبعاً، فهل يمكنني تقبيلك ببساطة من باب التقدير لشجاعتك رغم كل شيء؟»

قالت: «أوه، إنني...»

لكنه قبلها ببساطة، ولم تستطع جوانيتا المقاومة، وهي التي لم يقبلها أحد من قبل. وتساءلت في نفسها عن السبب في عدم مقاومتها له. وأرجعت ذلك إلى أنه لم يحاول احتضانها. وأن قبلته كانت قبلة خفيفة.

بعد لحظة، قال بهدوء: «لا بد أنك...»

قالت هامسة: «نادمة... أعرف ذلك.» واحمر وجهها واغمضت عينيها وسمعته يشتم، ووضع ذراعه حولها يحتضنها بعنف. وساد الصمت برهة ليخترقه فجأة صوت إكسانت التي كانت تراقبهما من خلال باب المطبخ تقول: «غاريت، كيف يمكنك أن تفعل ذلك بعد كل الذي سبق وقلته لي. لا أستطيع أبداً أن أصدق هذا.»

رفع غاريت رأسه فجأة وقد اشتدت يداه حول جوانيتا التي تثلج جسدها.

قال بصوت خشن: «إكسانت... ما أعمله ليس كما تظنين.»

قالت: «ليس كما أظن؟ لقد قلت لي إنه ليس بينك وبين أخت داميان شيء. وليكن بعلمك أنني أجد ذلك منك مثيراً للإشمئزاز، ولا تفكر بعد الآن في أن تلقي عليّ مواعظك أبداً. أما بالنسبة لما اخبرتني به هي، فمن الواضح أنها لا تتبع نفس المواعظ التي تلقيها عليّ هي أيضاً.»

أشاحت عنهما وجهها بعنف، ثم انطلقت خارجة من المطبخ.

أفاقت جوانيتا إلى نفسها ثم ابتعدت عن غاريت الذي قال معترضاً: «كلا...»

قالت هامسة: «نعم، إن الحق معها.»

قال متهكماً: «إنها ليست...»

قالت: «أوه...» وحاولت أن تتمالك نفسها وقد تقطعت أنفاسها، ثم ما لبثت أن هربت إلى الداخل بأسرع ما تستطيع.

الفصل السادس

كانت ليلة طويلة موحشة.

فقد أقفلت جوانيتا باب غرفتها على نفسها، ولو أن ذلك لم يكن ضرورياً لأن أحداً لم يفكر في زيارتها. واستلقت في فراشها مذهولة مضطربة تحاول أن تجد تفسيراً لسلوكها والسبب الذي جعلها تنجذب إلى غاريت ووكر إلى هذا الحد، هي نفسها من بين الناس جميعاً. لم يكن في الحقيقة، ثمة فارق كبير بينها وبين إكسانت.

تقلبت في فراشها قلقة وهي تحدق في الظلام، معيدة التفكير في ما قاله لها قبل أن يقبلها، وما سبق له من التحليل المحايد لنفسيتها قبل ذلك. وارتسم الألم على ملامحها. وعاودتها أيضاً ذكرى ذلك الصباح الذي تلا تلك الليلة التي وصلت فيها إكسانت إلى البيت. وبدا لها وكأن أمداً طويلاً مضى على ذلك، ثم كيف ساورها شعور، عندما فاجأتهما إكسانت مرة أخرى، بأنه هو الآخر كان مثلها غير راض عما وصلت إليه العلاقة بينهما. وتساءلت متعجبة، لماذا قبلها اذن إذا كان لا يريدها حقيقة؟ أم أنها ربما وضعته في موضع صعب؟

تنهدت بتعاسة، وعندما زحف الفجر على تلك الأراضي الريفية، لم تكن قد وصلت إلى حل، والأسوأ من ذلك أنها استغرقت في نوم عميق أكثر من ساعتين لتفقد بذلك حضور المأساة التي حدثت في المنزل في الصباح الباكر.

قالت جوانيتا لوندي: «قولي ذلك مرة أخرى.» ونظرت وندي إليها بينما هي تمسك بيدها فنجان القهوة وقد بدا في ملامحها وتحت عينيها شواهد ليلة أرقة. وعادت تقول: «لقد خرجت إكسانت مبكرة جداً هذا الصباح تاركة ورقة لغاريت، تقول فيها انها لا تريد منه أن يتدخل في حياتها أبداً بعد ذلك. وهذا ما جعله في منتهى الانفعال مما دفعه إلى الخروج للبحث عنها.»

سألتها جوانيتا بلهفة: «هل ذكرت إلى أين هي ذاهبة؟»

قالت وندي عابسة: «قال غاريت إنها إذا كانت تريد أن تعود لتلقي بنفسها تحت أقدام... حسناً، أقدام أخيك، فهي مخطئة.»

قبضت جوانيتا على سماعة الهاتف بيديها الاثنتين حتى برزت عظام أصابعها، وهي تقول بلهفة: «أمي، أنني في حاجة إلى أن أعرف مكان داميان. أريد أن أتحدث إليه، الأمر ضروري جداً.»

جاءها صوت الأم قائلاً: «هذا شيء غير عادي يا عزيزتي، وذلك أنكما لم تكونا قط على وفاق من قبل.

قالت جوانيتا باختصار: «هذا صحيح.»

قالت الأم: «أخبريني إذن عما حدث.»

قالت جوانيتا: «لا أستطيع. هل عندك فكرة عن مكانه؟»

قالت الآن: «حسناً، أظن أن دورة سباق السيارات لجائزة «أديلياد بريكس» ستقام بعد أسابيع قلائل، وهي، عادة، تقارب موعد كأس ملبورن، أليس كذلك؟ أم أنه هو سباق جائزة ساحل الذهب الذي أفكر فيه؟ أظن أن والدك قد يعلم ذلك.» وقهقهت أمها ضاحكة وهي تعلق قائلة: «من الصعب أن يثبت أبوك في مكان واحد، أليس كذلك؟»

قالت جوانيتا بصوت متعب: «لا تزعجي نفسك يا أماه، كان يجب عليّ أن أتحرى عن سباق جائزة «أديلياد بريكس» الدورية أولاً...»

قالت الأم: «هذه هي أحسن فكرة. وإذا ما اتصل داميان فسأخبره بتلهفك إلى التحدث إليه. كيف تسيرين في عملك؟ لم أرك منذ وقت طويل يا عزيزتي. كيف حالك؟»

قالت جوانيتا كاذبة: «إنني بخير. سآتي لزيارتك في أقرب وقت يا أماه.»

قالت الأم: «أنا في انتظارك. أعلم أنني لم أكن يوماً بالأم التي تدلل أولادها ولكن...»

قالت جوانيتا: «عليّ أن أذهب الآن يا أمي، ولكنني أعدك بزيارة قريبة. إلى اللقاء.»

كان سباق سيارات جائزة «بريكس» الكبرى قادماً بعد عدة أسابيع، كما علمت، ولكن بعد الإستعلام المرهق من الشركة الضامنة لأخيها داميان، كان كل الذي فهمته أنه كان مستقراً في مكان ما في «أديلياد» ولم يكن ثمة أحد يعلم أكثر من ذلك.

كان قبس الأمل الوحيد في ذلك هو أنه إذا أرادت إكسانت أن تتعقب آثار داميان، فستصاب بنفس خيبة الأمل التي أصابتها هي.

وبحالتها الذهنية تلك، حاولت جوانيتا أن تتابع عملها ولكنها وجدت نفسها تطوف أرجاء المنزل محاولة أن تطبع صورته في ذهنها بقدر ما تستطيع بدلاً من التركيز بشكل أكثر دقة على الخطة التي كانت قد وضعتها. وكانت النتيجة لعملها هذا قد ظهرت بجلاء أثناء وجبة الغداء.

وضعت وندي سماعة الهاتف من يدها وهي تقول: «إنه غاريت من كان على الخط، لقد وجدها وسيعودان معاً وقت العشاء.»

قالت جوانيتا ببطء وهي تبعد صحنها: «هل ذلك مؤكد؟»

قالت: «نعم. ستيفن، المفروض أن تضع الزبدة على الخبز وليس العكس. ولا تكثر من المربى.»

قال ستيفن محتجاً: «أنا لا أضع كثيراً من الزبدة والمربى يا وندي.»

قالت ريبيكا بحدة: «بلى، إنه كثير. أتذكر ما قالته أمنا عن نفسها من أنها، عندما كانت صغيرة، كان مسموحاً لها فقط أن تأكل إما خبزاً وزبدة وإما خبزاً ومربى وليس الإثنان معاً.»

تمتمت وندي وهي تبعد عنه طبق المربى: «والإثنان يؤخذان باعتدال.»

نظر ستيفن عند ذاك، إلى أخته بحزن وكأن شبح أمه الغائبة يحوم حوله، وغمغم: «أتمنى لو أن غاريت هنا فهو يعرف أن الأولاد يجب أن يأكلوا كثيراً لأنهم يكبرون.»

لسبب ما، أثارت هذه العاطفة البسيطة فضول جوانيتا وجعلتها تصمم أمراً. فقالت: «حسناً، عليّ أن أعود إلى المدينة يا وندي. وكان يجب أن أبقى معك ليلة أخرى، ولكن بما أن غاريت وإكسانت عائدان، فلن تكوني بحاجة إليّ.»

بدا على وجه وندي شيء من الدهشة وقالت: «ولكنك ستعودين طبعاً؟»

ابتسمت لها جوانيتا قائلة: «إن عملي هنا سيستغرق وقتاً طويلاً، وسيتملكك الضجر من رؤيتي.»

اندفع الثلاثة ينفون ذلك في قوة ووقت واحد. وتملك جوانيتا الذهول وهي تشعر بدفء غريب يسري في جسدها لعواطفهم تلك.

سألتها وندي: «وهل يعلم غاريت بذهابك؟»

فكرت لحظة ثم أجابت بصراحة: «كلا. لم يكن لدينا، في الحقيقة، الوقت لنتحدث في هذا الأمر ولكنني سأترك له ملاحظة بذلك. إذ ربما سيتدبران أمرهما دون وجود شخص غريب في المنزل وذلك لأيام قلائل.»

لم تزد وندي على ذلك، وعندما تركت جوانيتا المنزل بعد ساعة، كانوا جميعاً في وداعها يلوحون لها بأيديهم.

تساءلت جوانيتا عما يجعلها تشعر بالحزن لذلك وبهذا الشعور العائلي نحوهم، هم الذين لا تكاد تعرفهم، وكأنها تهرب منهم في نفس الوقت؟؟

سألت نفسها، هل أنا أهرب منهم حقاً؟ ربما...

«إذن... فأنت تعملين هنا.»

رفعت جوانيتا رأسها فجأة، بعد ثلاثة أيام، لترى غاريت ووكر واقفاً عند عتبة باب مكتبها الصغير.

نهضت واقفة في ذهول وهي تقول متلعثمة: «ن... نعم. مرحباً.» ولم تستطع أن تجد كلمات أخرى تقولها عدا عن أنها كانت تشعر بوجهها يتوهج.

راقبها صامتاً لحظة طويلة... نظر إلى وجنتيها المتوردتين، ثم قال بجفاء: «مرحباً يا جوانيتا. أي أمر مهم تقومين به الآن؟»

قالت متلعثمة وهي تنظر إلى التخطيطات المنشورة أمامها على المكتب: «إنه... إنه بشأن منزلك طبعاً.»

قال: «يسرني أن أسمع منك ذلك، بدلا من تلك الملاحظة المتكلفة الجافة التي تركتها لي. متى تنهين عملك؟»

حدقت جوانيتا إليه، ولكنه كان يحدق إليها بطريقة جعلتها تخفض من نظراتها وتقول بلهجة آلية: «كنت قد قررت البقاء في المكتب حتى الساعة السادسة، ولكن...»

«حسناً، سأمر إذن، لاصطحابك.»

نظرت إليه مأخوذه وقالت: «لماذا؟»

ابتسم، ولكنها كانت ابتسامة باردة ملتوية ارتسمت على شفتيه، وهو يقول: «سبق وقلت لك مرة من قبل، يا جوانيتا، إنني رجل أؤمن بالصراحة في القول. أم أنك قررت أن تعتبري تلك القبلة شيئاً غير حقيقي؟»

اتسعت عيناها، وحاولت، عبثاً أن تقول شيئاً.

تمتم هو: «وهكذا صممت على أن نناقش كل شيء بعد العشاء. لا تهتمي بتغيير ملابسك فأنت تبدين رائعة كما أنت.»

قالت: «ك... كلا إ... إنتظر... ليس ثمة ما يدفعنا إلى المناقشة...»

قال: «أظن أن ثمة ما يدفعنا إلى ذلك. إلا إذا كنت تريدينني على أن أعتقد أنك تتصرفين معي حسب عقيدتك التي تعتبر أن الرجل هو الذي ينبغي أن يطارد المرأة.»

«ما أشد سخافة ما سبق واتهمتني به منذ فترة؟» قالت له جوانيتا ذلك في المطعم بعد ساعات. وكانا جالسين ينتظران الشراب، بينما أمضت هي الساعات تستعيد ما قاله لها في المكتب، والغضب والبرود يتناوبانها. ورفع هو حاجبيه قائلاً: «تابعي كلامك.»

www.elromancia.com

قالت: «حسناً. هل أفهم من هذا أن إكسانت قد أخبرتك بشيء سبق وقلته أنا لها؟»

قال: «نعم. لقد أخبرتني، في الواقع، عما علمتها أنت إياه، ولم يكن صعباً أن أرى أنك، في نظرها، لم تكوني واضحة تماماً.» وتوقفت أنفاس جوانيتا وهي تشعر بالظلم، وحدقت به قائلة: «لكنك قلت لها إن هذا شيء مختلف تماماً...» وتوقفت فجأة وقد بان الغضب في وجهها.

قال مقطباً: «إني لم أغير رأيي.»

عادت تحدق فيه قائلة: «لماذا تفعل هذا إذن؟»

قال: «لأنني أشعر بوضوح أن الخطط التي تسبب صدمة هي فقط التي ستأتي بفائدة. ولكن، بالمناسبة، لماذا قبلتني بذلك الشكل، يا جوانيتا، ثم هربت؟»

نظرت إليه مستنداً إلى كرسيه يرشف الشراب. وفتحت جوانيتا فمها، ثم أقفلته وهي تتساءل عما إذا كان هذا من جملة خططه تلك، ثم غيرت الموضوع بخفة قائلة: «كيف حال إكسانت؟»

ثم أخذت رشفة من شرابها.

قال وقد لاحظ تملصها من الموضوع: «إنها في بيرث.»

قالت: «حسناً، ذلك مكان بعيد عن أديلياد.»

«هل ذلك مكان داميان؟ لقد وضعتها تحت إشراف أختها الكبرى.»

قالت: «وهل ذهبت باختيارها؟»

قال وقد بدت في عينيه نظرة صارمة: «لا يمكنني أن أقول إن ذلك حدث بهذا الشكل. لقد ذهبت فقط عندما رأت صورة أخيك في صحيفة وقد أحاطت فتاة أخرى عنقه

بذراعها. وكانت هي تعرف الفتاة التي كان يبدو أنها كانت تنتظر رحيلها لكي تحل محلها. ولكنها، على الأقل، ذهبت وفي نفسها غضب عليه.»

قالت جوانيتا: «إنني آسفة. لقد... لقد تحدثت إلى داميان بنفسي وأخبرته عن الشقاء الذي سببه لإكسانت...» ووضعت كأسها جانباً وهي تقول: «حسناً، ليس هذا بالأمر المهم، أليس كذلك؟»

قال: «كلا، ولكن ما الذي أجاب به؟ هل دهش؟ هل حاول الدفاع عن نفسه؟»

قالت: «لقد أظهر الإثنين. قال إنه كان قد أخبر إكسانت منذ البداية بأنه غير ملتزم، وإن كنت أنا شخصياً لا أعفيه من المسؤولية. وهكذا...»

قال وقد بانت التسلية في ملامحه لأول مرة منذ ظهر عند باب مكتبها: «إنني لم أفكر في مناقشتك. إذن، فقد تشاجرت مع أخيك؟»

قالت: «لم نكن قط على وفاق من قبل.»

قال وهو يلتقط قائمة الطعام ويتفحصها: «إذن، فقد انتهينا من هذا. هل يمكنني أن أطلب للعشاء صنف الشاتوبريان؟ إنه من اختصاص هذا المطعم.»

قالت مترددة! «ح... حسناً.»

«أتراك تتساءلين عما سأضيف بالنسبة إلينا نحن؟»

انتفضت قائلة: «لا أظن ثمة ما يمكن أن يقال بالنسبة لهذا الموضوع...» ثم توقفت عن الحديث حين أقبل النادل لسؤالهما عما يطلبان. ولما ابتعد، نظر إليها مستفهما وهو يقول: «إنك...؟» فتنهدت جوانيتا بحيرة: «لا أدري لماذا

تأخذ الأمور جدياً بهذا الشكل. لا بد أنك معتاد على أن تكون مع النساء...» وتوقفت وهي تنظر بعيداً وقد بدا القنوط على ملامحها.

قال: «هل يعني كلامك هذا انك تعتبرينني مشابهاً لأخيك وربما لأبيك؟»

احمر وجهها ولم تجب.

قال: «جوانيتا؟»

قالت: «كلا... لا أدري في الحقيقة.»

قال عابساً: «وكيف ترين نفسك إذن؟»

«ماذا تعني؟»

فلوى شفتيه ولمعت عيناه مكراً وهو يجيبها قائلاً: «مثل إكسانت مثلاً؟»

قالت: «كلا...»

قال: «مثل الغاوية التي تذيق صريع هواها من فتنتها، ثم تتركه وتنسحب؟»

نظرت إليه بغضب وهي تقول: «كلا.»

نظر إليها بصمت لحظة ثم قال بهدوء: «كإمرأة شعرت بانجذاب إلى رجل رغم إرادتها، ولكنها تخاف من شعورها هذا وإلى أين يمكن أن يقودها.»

جمدت جوانيتا في مكانها، ولم تجب.

قال: «جوانيتا؟»

قالت بصوت لا يكاد يسمع وقد امتلأت عيناها بالدمع: «هذا... هذا ليس من شأنك.»

قال: «لماذا هو ليس من شأني؟»

تمالكت نفسها وقاومت دموعها، ثم قالت: «لأن... لأنه

يتملكني شعور بأنني في نفس مستوى إكسانت، حتى وندي وربما التوأمين أيضاً.»

«إسمع. أريد أن أكون صريحة وأخبرك... مهما سبق وحدث معي، فقد قررت... حسناً، قررت أنني كنت حمقاء... وكان من الأفضل ألا أدع الأمر يفلت من يدي...»

بان عليها اليأس وهي تكمل: «أرجو أن تتفهم الأمر.»

نظر إليها بثبات حين أنهت حديثها المضطرب لتقول بشيء من العنف: «لقد أدركت أنك لم تكن، في الحقيقة، تريد أن تقبلني.»

قال: «كلا، بل أردت ذلك حقاً.»

قالت: «دعني أكمل حديثي. إنني أعرف أن أكثر ما جعلني أبقى هو المنزل، الحديقة، الأطفال... الشعور بروح الأسرة، حتى ولو لم تكن حقيقة. إنني أعرف أنك كنت غاضباً من ناحية إكسانت وداميان، وانك ربما كنت تراني وسيلة للإنتقام... إنني لست بحمقاء! وأنا أيضاً أعرف أن آخر من تشعر أنك بحاجة إليه هو امرأة مثلي... وهكذا، هل ترى مانعاً من أن ننسى كل شيء عن هذا الأمر...؟»

قال بهدوء: «الإنتقام؟»

لكنها تجاهلت ما قال وتابعت وهي تهتز: وهكذا ابتدأت تجاريني بأشياء... مثل هذا العشاء مثلاً...»

تحرك في كرسيه وهو يقول وقد بدت في عينيه نظرة عنيفة: «هكذا إذن. حسناً، ما دمت تتناولين الطعام بهدوء، فأنا لن أدعك تذهبين قبل أن تخبريني لماذا تظنين أنك آخر من أحتاج إليه؟ وماذا عنيت بقولك إنك في نفس مستوى إكسانت وريبيكا وستيفن، وبالطبع نظريتك الجديدة عن

الإنتقام هذا. ولكن، كلي الآن...» ونظر إليها بجفاء ثم قال: «وسنتابع هذا النقاش عندما نتناول القهوة، أين تسكنين؟»

أغمضت جوانيتا عينيها، ثم قالت بلهجة المهزوم: «إنه في منطقة لا ڤندربي عبر النهر.»

كان المطعم يقوم في منطقة روكس التاريخية في سيدني، وكان له شرفة تمكن المرء من أن يرى منها المرفأ والجسر ودار الأوبرا. لقد تناولا الطعام في الداخل ولكن غاريت أصر عليها بأن يتناولا القهوة في الشرفة تلك.

كان الجو حسناً جزئياً، فقد كانت النجوم تتألق في السماء، وكانت الغيوم التي كان نور القمر الفضي ينير حواشيها، تنعكس في الماء بروعة أخاذة.

نظرت جوانيتا إلى هذا المنظر وقد نسيت كل ما كانت تريد أن تقول، وربما كان هو كذلك لأنه صمت فجأة وقد استغرق في التفكير.

أخيراً قال: «لقد نسيت أن أسألك عما اذا كنت قد جئت إلى عملك بسيارتك.»

قالت: «كلا، إذ أن الحضور بالباص أكثر سهولة.»

قال باسماً: «قلت انك تسكنين في لافندربي. هل عندك شقة؟»

«نعم، وقد اشتراها لي أبي وأمي.»

قال: «هل تحبين منطقة لافندربي؟»

قالت: «أحبها كثيراً، وأحب شقتي كذلك والمناظر الرائعة التي تشرف عليها، ولأن باستطاعتي ايضاً، أن أعبر اليها بالمركب في الماء. فهي لحسن الحظ، قريبة من دار الأوبرا. ولو لم يشترها لي والداي لاشتريتها بنفسي.»

«وماذا عن توقك إلى الحياة في الريف وإلى منزلي؟»

قالت وقد شعرت بالدم يتصاعد إلى وجنتيها: «أظنني قلت لك ان هذا كان أحد أحلام طفولتي.»

قال: «هذا صحيح.»

قالت وقد بدا عليها التوتر: «ألا يكفي هذا؟»

قال وهو يهز كتفيه: «وما معنى قولك إنك آخر شخص يليق بي؟ ثم لماذا تشعرين بصلة بينك وبين ريبيكا وستيفن؟»

«إن الأشياء تتبع بعضها البعض ذلك لأنك، في الواقع شخص أصيل في الرقة والحنان...»

قال بجفاء: «لقد ترددت في معارضتك قبل الآن ولكن هناك أوقاتاً لا أكون فيها رقيقاً أبداً.»

قالت: «كله سواء. إنك تهتم كثيراً بإكسانت، وكذلك معاملتك طيبة جداً لثلاثة أولاد دون أب. ولأسباب أخرى. أظن أن شعورك هذا يشملني أنا أيضاً... ربما تشعر بالأسف نحوي.»

«لماذا؟»

فحدقت فيه وهي تقول: «ماذا تعني بكلمة لماذا هذه؟»

قال: «لماذا يجب أن أشعر بالأسف نحوك؟»

نظرت إليه بازدراء قائلة: «ألا يبدو السبب واضحاً؟»

قال: «ألأنك تعرجين وتتعلثمين؟ إن هذا لا يهمني.»

قالت أخيراً بهدوء بالغ: «لا بد أن يحدث ذلك، يوماً ما.»

قال بعد لحظة تفكير: «أظن ان هذه الأمور قد أعطاها ذهنك حجماً أكبر من حجمها الطبيعي يا جوانيتا. ذلك أن العرج خفيف جداً وكذلك اللعثمة لا تأتيك إلا عند شعورك بالعصبية... حتى أن فيها شيئاً من الجاذبية. حتى أنني

www.elromancia.com

تساءلت أحياناً عما إذا كان عرجك هذا ليس ناتجاً عن... عدم ثقتك بنفسك.»

اتسعت عيناها قائلة: «هل تريد ان تقول انها مسالة نفسية؟»

«لماذا لا تتعاملي معها من هذا المنطلق لفترة ثم ترين ماذا يحدث؟ هل تزاولين أي علاج طبي الآن؟»

«لم أراجع الطبيب منذ وقت طويل. لقد كانت أمي تحثني على ذلك، ولكنني كرهت كل شيء.»

قال ببطء: «لن يكون هذا خافياً وإلا فكل شيء هو طبيعي تماماً لكي...»

أكملت: «تعني لكي اختبىء خلف العصا؟»

تشابكت نظراتهما إلى أن اختفت المرارة من عينيها، ثم قال: «كنت أردت أن أقول، لكي تكرهي زيارة الطبيب أو المستشفى مرة أخرى.»

تاهت عيناها، ولكنها قالت: أعرف تماماً ماذا تعني. انني أعرف أن...»

قال: «هذا حسن، ولكن قد أكون مخطئاً تماماً، ولهذا أظن أنك يجب أن تعودي إلى طبيبك وتناقشي معه هذه المسالة. وهكذا انتهينا من هذه المسالة، فاشربي قهوتك لنذهب.»

«ماذا سنفعل؟»

قال: «ماذا تريدين أن تفعلي؟»

تورد وجهها وقالت: «قصدت المواصلات. إنك لم تحضر سيارتك.»

قال: «لقد احضرتها وهذا كان أحد الأسباب التي دعتني إلى الحضور. فقد كان فيها عطل في خزان الماء مما

استلزم ادخالها إلى الكاراج مؤقتاً، وهو قريباً من هنا.»

قالت وقد أشرق وجهها: «فهمت. هذا حسن، يمكنني أنا أن أعود بالمركب إلى البيت فلا تقلق عليّ. وربما أنت باق في هذه الناحية من المرفأ على كل حال.»

قال: «كلا. سأوصلك إلى المنزل بالمركب، إذا كان هذا ما تريدينه، ثم أخذ سيارة أجرة من هناك.»

ترددت، ونظرت إليه ثم تحولت بأنظارها بعيداً وهي تشعر بضربات قلبها تعلو فجأة.

قال: «جوانيتا...»

جفلت قائلة: «نعم؟»

لم يجب مباشرة، ولكنه أمعن النظر في وجهها، وزاد في غضبها واستيائها تلك الطريقة الجديدة التي كان ينظر فيها إليها... وأغمضت عينيها، ولكن صورة غاريت ووكر كانت مطبوعة في خيالها، مما جعل نبضها يدق عالياً وفمها يجف وهي تدرك مدى عمق انجذابها نحوه، بينما يجلس هو أمامها رزيناً حيادي المنظر وليس بإمكانها أن تعرف ما يدور في ذهنه... كما أنها ما زالت لا تعرف كيف تبدو في عينيه حقاً... هل هي إمرأة من الممكن أن يقع في غرامها، أم مجرد إمرأة اعترضت سبيل حياته بشكل غير واضح ولأجل الحالة التي هي عليها، ولم يشأ أن يسبب لها الألم؟

قال: «بماذا تفكرين يا جوانيتا؟»

قالت بحدة: «إذا كان لا بد أن تعلم، فانني أتساءل عما إذا كنت بحاجة إلى أن أعرض أفكاري. ولمن؟ أعني إنني لا أعرف شيئاً عنك سوى أنك عطوف جداً على الأطفال والمعاقين.»

«جوانيتا...»

قالت بعنف: «حسناً، ومع ذلك في إمكانك أن تتهمني أنا بانني... بأنني أدير الرجال!»

«إذن فإنك تتساءلين عما إذا كنت غاوي نساء؟»

قفزت من مكانها مندفعة إلى الخارج، وعندما وصلت إلى المركب كانت تلهث وتطلب هواء تتنفسه. كما كانت تعرج بقوة. ولم تجد لديها القوة للمقاومة عندما أمسكت يده بذراعها يقودها عبر المركب.

كانت رحلة قصيرة عبر مرفأ سيدني إلى منطقة «لافندربي» حيث شقتها. وكما حدث في السيارة من مكتبها إلى المطعم، حدث في المركب الآن، إذ أمضيا الوقت صامتين. كانت الغيوم الآن قد حجبت القمر وأصبح الهواء مثقلاً بالرطوبة وابتدأ البرق يلمع في السماء. وخطر في بال جوانيتا أن المطر سينهمر في أية لحظة، وما لبثت حالتها الذهنية أن أصابها التبلد والفتور ولم تعد تهتم أو تعي بالرجل الذي إلى جانبها.

انهمر المطر فعلاً، مما حال خروجهما من المركب، واهتزت الأجواء بالرعد وسرعان ما أصبحا، في ثوان قليلة، غارقين بماء المطر تماماً.

قال بسرعة هاتفاً في أذنها: «في أية ناحية؟»

شهقت قائلة: «إنها في هذا الحي أعلى هذه الدرجات.» وشهقت مرة أخرى عندما حملها بين ذراعيه.

قالت: «إنك لا تستطيع...»

قال آمراً: «اقفلي فمك وابقي هادئة. إنني استطيع، وأنت ستمتثلين.»

وقفا في الردهة يلهثان بينما المياه تقطر منهما. ومضت هي تتحسس مفتاح النور إلى أن وجدته في النهاية، ثم وقفا في النور يحدق الواحد منهما إلى الآخر.

التوت شفتاه وهو يمد يديه يعصر شعرها قائلاً: «تبدين مثل غريقة.»

قالت: «إنني فعلاً أشعر بنفسي مثل غريقة وأنت كذلك. لقد تلفت سترتك.»

هز كتفيه قائلاً: «يجب أن لا يحدث لها ذلك. إذ أن الغنم تتبلل على الدوام ولكن صوفها لا يتلف. هل هنا يجب أن ينتهي طريقي؟ لا أظن أن بامكاني أن أجد سيارة أجرة قبل أن يهدأ الجو قليلاً.»

عضت شفتها ثم قالت وهي تتصلب في وقفتها: «بعد الذي قلته لي، لا يمكنني أن أتسامح بشيء، يا سيد ووكر.»

تمتم قائلاً: «غاريت. وأنا أعتذر. إن عندي لسوء الحظ، سهولة في رد الشتائم بالشتائم.»

استدارت جوانيتا على عقبيها ودخلت إلى غرفة الجلوس وهي تنير المصابيح أينما وصلت، لتعود إلى موضوع السيارة، قائلة: «هذا لا يعني أننا لا نستطيع أن نطلب واحدة بواسطة الهاتف. ولكن، في نفس الوقت، ستجد مكان الغسيل في ذاك الإتجاه إذا شئت أن تجفف ثيابك قليلاً وسأستعمل أنا الحمام.»

عندما عادت، كان واقفاً أمام النافذة الواسعة ينظر إلى المرفأ يراقب البرق. كان قد خلع سترته والحذاء وجفف شعره بمنشفة ووضع منشفة ثانية بعناية فوق إحدى كراسيها الجلدية.

قال دون أن يلتفت إليها: «إن مكانك قد أعجبني.»

قالت: «شكراً.» كانت ألوان الجدران والسجادة رمادية فاتحة اللون، مقاعدها الجلدية زرقاء رائعة الجمال، وكانت الغرف واسعة مهواة. لقد صممت لتشرف على المرفأ بقدر الإمكان.

قالت: «ماذا فعلت بالنسبة إلى سيارة الأجرة؟»

قال: «ليس قبل ساعة على الأقل.» واستدار أخيراً لتقع عيناه عليها وقد بانت فيهما خيبة الأمل. كانت قد غيرت ثيابها المبللة بسروال أبيض وقميص أسود، وكان شعرها منسدلاً ومازال مبللاً وقد انتعلت خفاً فضياً. وتمتم هو: «إنها ما زالت نقية.»

رفعت حاجبيها قائلة: «لا يمكن أن نقول ذلك تماماً. إجلس. هل تريد شراباً أم قهوة؟»

هز رأسه قائلاً: «لا شيء. شكراً.» ثم جلس على المنشفة الموضوعة على الكرسي.

ترددت هي برهة ثم جلست أمامه وهدير العاصفة يملأ الجو. وساد الصمت لمدة دقيقة، ثم تمتمت وهي تنظر إليه قائلة: «ما أسوأ هذا.»

«إننا نستطيع دوماً أن نتحدث عن الجو. إلا إذا شئت أن تسمعي تفاصيل حياتي العاطفية بدلاً من ذلك؟»

قالت ببرودة: «لا أريد ذلك.»

«ظننت أنك ربما من الأفضل لك أن تعرفيني أكثر.»

قالت: «ولماذا يجب أن أعرف أي شخص لا يستطيع أن يفهم... تحفظاتي بشكل أفضل؟»

مال بجلسته إلى الأمام ووضع يديه على ركبتيه قائلاً:

«لسوء الحظ ان ذلك ليس بهذه السهولة، يا جوانيتا. هل نحاول أن نوضح بعض الأمور؟ فقد تحل نفسها بنفسها. ثمة اتهام قد دفعته أنت بشيء من الصواب أما أنا... لقد أسرعت بالإستجابة بقدر من كبرياء الرجل.»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يتابع قائلاً: «لم يحدث قط أن قابلت امرأة بهذا التصميم على أن تقاوم التأثر. وأحياناً كان هذا يثير في نفسي أسوأ ما فيها من صفات. حسناً. الأفضل أن نبدأ من البداية. لقد ابتدأت، إذا شئت أن تعرفي حقاً، عندما علمت أنك عضو آخر من تلك الأسرة... عضو طائش عنيد، ولكن، يا للأسرة المدهشة.»

قالت بمرارة: «إذن، فقد كنت أنا على حق.»

قال: «إنك لم تدعيني أنهي حديثي.»

قالت: «وماذا بقي للنهاية؟ إن ما يدهشني أنك لم تخبرني منذ البداية، بشيء عن داميان وإكسانت.»

قال: «حسناً، سأخبرك إذا سمحت لي بفرصة للكلام. إنني لم أذكر لك شيئاً لأنني سبق وكنت قد أوقفت كل علاقة بين إكسانت وداميان، وذلك بسلوك منتهى الفلاظة حتى أن اكسانت وعدتني بانها ستنهي تلك العلاقة. ولم أصدقها أنا تماماً، ولكن، عندما سافر هو إلى ما وراء البحار بينما بقيت هي، عند ذلك، صدقتها. ومن ثم، استغرقت أنا في العمل لانهاء ذلك الكتاب الذي عادت فتعسرت كتابته بعد ما علمت أن داميان قد عاد، وعادت معه الأمور إلى مجاريها بينه وبين إكسانت. وفي الحقيقة لم أعرف بذلك إلا بعد أن أخبرتني إكسانت عند مجيئها إلى المنزل ذلك اليوم. وكانت قد بذلت جهدها

في إخفاء الأمر عني. وهكذا..» وتوقف قليلاً ثم تابع: «بينما كنت، في البداية، قد ألحقتك ببقية تلك الأسرة دون تمييز عندما وقفت، لأول مرة، على عتبة بابي، لم تكن لدي فكرة في تأزم الوضع بين إكسانت وداميان. لكنني، رغم ما عندي من أخطاء، فانني أسجل هنا أن التفكير في أن أثار من داميان لأجل شقيقتي وذلك، بشخص شقيقته، هذه الفكرة لم تخطر لي على بال. الأفضل من ذلك، أن ألكمه على فكه.»

حولت جوانيتا ناظريها عنه وقد اطمأنت نفسها لصدق كلامه.

قال بعد لحظة: «ماذا بقي بيننا الآن؟ حسناً، إنني لم أعتبرك قط موضوع إحسان أو شفقة كما تقولين، كما أن أية أفكار مظلمة عميقة للإنتقام، كما ظننت أنت، لم تساورني. لم يبق ثمة شيء، إذن سوى رغبتك في التقهقر.»

«هل تعني...»

«نعم. أعني رغبتك من وجهة نظري أنا.»

قالت فجأة: «إنني... اسمع. لقد أردت أن أقول لك هذا ذلك الصباح... الصباح الذي استيقظت أنا فيه مبكرة وكنت أنت... حسناً، هل عرفت أي صباح أعني؟»

قال دون أن يبدو عليه أي أثر للتهكم: «تعنين ذلك الصباح الذي كنت أريد أن استحم فيه؟»

قالت: «حسناً، إن الذي اردت قوله هو لو لم يحدث معي ذلك الإنجذاب التلقائي الفائق نحوك، لما حدث معك ذلك ايضاً.»

حدق فيها. فتابعت هي بجرأة: «وما زلت أعتقد ذلك.

حتى ولو أنت... ربما أردت أن تقبلني بحق، أعني ما كنت لأستطيع تجنب الشعور بأنك فكرت في أنه لا ينبغي لك الإقدام على ذلك. وذلك كان السبب في أنني أيقنت بتلك الأشياء التي حدثتك عنها ووجدتها منطقية. ولكنني الآن لا أستطيع ان امنع نفسي من التساؤل عما إذا كان ذلك يتعلق ب... بزوجتك.»

ها قد خرج اخيراً، ذلك السؤال الذي كان مدفوناً في اعماق عقلها، ومازال.

قال: «معك حق.»

فتحت فمها ذاهلة، ثم همست: «لقد كانت اذن حبك الوحيد الذي لم تستطع نسيانه؟»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول: «إن تسع سنوات هي مدة طويلة بالنسبة للحب إذا كان للذكريات فقط. ولقد كنا متزوجين منذ سنتين فقط عندما... حدث ذلك الحادث. ولكن، ليس هذا الموضوع هنا، ما أريد أن أتحدث عنه أن مشكلتي الحقيقية هي انني لست من نوع الرجال الذين تعشقهم فتاة مثلك. أعرف أن كلامي هذا يشابه إغلاق باب الإسطبل بعد أن يهرب الحصان.» وضاقت عيناه عندما أحمر وجهها: «أعني ان الملام هو أنا في هذه الحالة وليس أي شخص آخر قد تفكرين فيه، وهذه، لسوء الحظ، هي الحقيقة.»

قالت: «لماذا؟»

«لأنني لا أنوي الزواج مرة أخرى، يا جوانيتا.»

قالت مرة أخرى وهي تنتفض: «لماذا؟»

قال: «لأنني إنسان رديء بالنسبة للحياة الزوجية. هذه

هي الحقيقة التي جئت من أجلها إلى المدينة خصيصاً لكي أخبرك بها.»

همست: «هل كنت تعيساً في حياتك الزوجية؟»

وقف وسار نحو النافذة وقال: «لقد وجدت التخلي عن استقلالي في غاية الصعوبة.» وسكت وهو يستدير نحوها ثم تابع: «وكذلك لم تكن ليندا سعيدة هي أيضاً ربما لأسباب أكثر. لم أكن أتردد كثيراً على الوطن مع أننا عشنا أكثر الوقت في روما. لم أكن هناك عندما ولد ابننا ولا بعد ذلك، مما شكّل أوقاتاً صعبة بالنسبة إليها. وقد كانت هي أيضاً صحافية وكانت تسافر في جولات في أنحاء العالم. وكونها حاملاً وربة منزل، لم يكن الأمر سهلاً عليها، ولم أكن أنا موجوداً عندما انتهت حياتهما، هي والطفل، في ليلة سوداء تعسة.»

قالت متلعثمة: «ولكنك تركت ذلك النمط من الحياة أي الاسفار... أعني... انني لا أقول ذلك لأننا نتحدث عن الزواج.»

حدق في عينيها وساورها شعور بأنه يستطيع الغوص في أعماق نفسها... وأنها قد كشفت عن كل مشاعرها.

تابع برقة: «لم أترك ذلك حقيقة، إنني ما زلت أشعر بلذة الأسفار، كما أنني أسلك طرقاً أخرى كذلك، وإلا لما كان من السهل على إكسانت أن تخدعني، كما أنه تحدث عندي فترات تصبح فيها الحياة معي مستحيلة حقاً.»

«كذلك ثمة كثيرات من النساء يعانين من تلك المشكلات، أي يصبحن في المرتبة التالية من الاهمية بعد عمل أزواجهن. ولكن، هل تظن أنك صادق مئة بالمئة؟»

فنظر إليها رافعاً حاجبيه: «ألست أنا كذلك؟»

فقطبت حاجبيها قائلة: «يظهر أن الاقتصار على مرأة واحدة لا تناسبك كما أنها لا تناسب داميان أيضاً.»

فقال: «إذا كنت تعتقدين أنني أتعامل مع النساء بالطريقة التي يتعامل فيها داميان معهن، فانت مخطئة، هل تريدين أن تخبريني بأن الاخلاص ليس من طبيعتي؟»

فقالت بألم وهي تحدق في يديها المعقودتين في حجرها ثم ترفع ناظريها إليه: «هل تحاول أن تقول إننا يمكن أن ننشأ علاقة عاطفية دون زواج؟» وتشابكت نظراتهما، ثم قال أخيراً: «كلا، إنني احاول أن اخبرك أن إنشاء علاقة عاطفية معي هي آخر شيء تحتاجينه. ولكن، ما أريد أن اخبرك به قبل كل شيء، هو ليس لأنك لست أنت من لا يستحق الزواج، بل هو أنا.»

الفصل السابع

قالت جوانيتا بعد مرور فترة بدت طويلة: «ألا تظن أن عندي ما أقوله أنا أيضاً؟»

قال: «كلا...» ولكنه توقف عن الكلام بعد إذ وقفت فجأة وقد بان عليها الألم البالغ، وتابع بهدوء: «إنك غاضبة، ولك كل الحق في أن تكوني كذلك.»

قالت وقد تملكها الذهول: «انني لا أدري ما أنا عليه ولكنني لا أستطيع منع نفسي من التفكير في أنه لو كان هذا قد حدث بينك وبين امرأة أخرى، لما تحدثت أنت بكل هذا الذي قلته...»

قال: «جوانيتا، ربما...»

همست وهي تبتعد عنه: «أوه...»

عاد يقول: «ولكن، ليس هذا لأي سبب من الأسباب التي تتصورينها، السبب الوحيد هو أنني لا أريدك أن تقعي في الحب، لتواجهي بعد ذلك الخيبة وعدم الاستجابة لحبك.»

قالت وهي تمسح الدموع التي انهمرت على خديها: «إذن، ما كان لك أن... ما كان لك... حتى هذه الليلة...»

اختنق صوتها ولم تستطع أن تتابع كلامها.

قال: «انني أعلم أنه ما كان لي أن أقوم بأي عمل من ذلك النوع... ولكن الأمر تطور بيننا دون انتباه إلى أنني سأسبب لك ضرراً في ذلك. لقد أخبرتني بنفسك كم يعني لك المنزل والأسرة والشعور بالاستقرار. ولكن، حتى أنا مع انني

سخرت من ذلك عدت وتفهمت نفسيتك. لقد أخبرتني أيضاً كم تعني لك الرقة والالتزام، حسناً ربما كان هذا لأنني شعرت بأنني لن أستطيع أن أمنحك هذا الذي تريدين. ولكن، حتى هذه الليلة وإلى الأبد، أريدك أن تعلمي أن ثمة رجلاً فكر فيك بشكل تجاوز إقامة علاقة عابرة. إنني آسف، ولكن، ليس ثمة طريقة أخرى لاجتياز الأمر.»

غطت وجهها بيديها لحظة ثم قالت: «وماذا لو كنت أخبرتك بأنني لم أتوقع منك، ولا من أي رجل غيرك، أن يتزوجني على كل حال؟»

قال بخشونة: «جوانيتا. إياك أن تقيّمي نفسك من الدرجة الثانية.»

تنفست بعمق، ثم عادت فجلست وهي تقول: «آسفة. ولكنني أصدقك، أما بالنسبة إلي، فأنا الآن أحسن وأشكرك لكل هذا. و... ولكن، أليس... أليس من الأفضل لنا نحن الاثنين إذا... إذا أنا تركت منزلك؟»

حدق في وجهها بحزم، ثم جلس قبالتها قائلاً: «وكيف يمكن أن يكون تأثير ذلك على مهنتك؟»

جفلت لسماع ذلك، وإن لم يكن، في الحقيقة لأجل مهنتها، ثم قالت: «لا أظن أن ما تقوله سيحدث حقيقة، ولكنني لا أدري ماذا سأفعل فيما لو حدث ذلك.»

قال: «إذا كان في ذلك أية صعوبة، فانني... ولكن لماذا لا أقول لهم إنني غيرت رأيي ولا أريد أي تغيير في منزلي، أو أنني أعتبر أن ذلك سيكلفني الكثير؟ إنهم عند ذاك، لن يوجهوا أي لوم إليك. أليس كذلك؟»

قالت: «ثم بعد ذلك تحصل على شخص آخر؟ كلا.»

لم تكن متأكدة من السبب الذي ألجأها إلى هذا القول، ويظهر أن ذلك اختلط عندها بشيء من الكبرياء وخيبة الأمل. فإذا كان لا يستطيع أن يبادلها الحب فإنها لا تريد إحساناً منه... وتابعت: «سأجد طريقة لذلك أنا بنفسي.»

أراد أن يقول شيئاً لولا أن فاجأهما رنين الهاتف الداخلي الذي يصعد من أسفل البناية. ونهض هو ليرد عليه معلناً لسائق سيارة الأجرة أنه سيكون عنده بعد دقائق.

قالت جوانيتا بصوت أجوف: «هكذا إذن.»

قال عابساً: «هل كنت تفضلين لو كنت قد حدثتك بكل هذا بعد أن نكون... قد أنشأنا علاقة؟»

ساد صمت عميق.

قال بلطف هو عابس وكأنما كان يؤلمه أن يقول ذلك: «هل كنت تفضلين ذلك حقاً؟ لقد سمحنا لأنفسنا بالاندفاع قدماً في إنشاء علاقة، بعد تلك المدة القصيرة من تعارفنا مع أن الواحد منا لم يكن يعرف الكثير عن الآخر.» وقف أمامها وكان عليها أن ترفع رأسها لكي تنظر إليه. ولم تغفل عن اليأس والكآبة اللتين حفلت بهما نظراته، ولا المنطق الذي ساد حديثه.

قال: «ألا تظنين انني أخطأت بما فعلته؟»

تنهدت، وعندما مد يده إليها نهضت واقفة لتصافحه.

لكنه ترك يدها بسرعة دون أن يحاول لمسها وقال بهدوء تام: «تذكري دوماً أنك شجاعة ورائعة الجمال، وأن عاطفتك نحوي كانت في محلها ولو أن ذلك كان لأسباب خاطئة.» ثم لامس وجنتها بسرعة، واستدار مبتعداً.

«تبدين متغيرة، يا عزيزتي؟» قالت لها أمها ذلك في اليوم

التالي، ثم تابعت: «تبدين مزيجاً من الجمال الرائع والخوف والحيوية في نفس الوقت... لا بد أن أرسم لك لوحة...»

قاطعتها ابنتها: «كلا، شكراً... أعني، ليس لي صبر على ذلك.»

رفعت أمها حاجبيها مفكرة، ثم غيرت الموضوع لتقول: «هل عدت فاتصلت بداميان؟ إنه في اديليار.»

«نعم. لقد فعلت ذلك. أمي هل تظنين أنني أستعمل العصا في المشي لكي أخفي شيئاً وراء ذلك؟»

ضاقت عينا أمها الجميلتان وهي تقول: «لا يمكنني أن أؤكد ذلك، يا عزيزتي. لقد تحسنت إلى درجة كبيرة في الواقع. ولكنني مررت على طبيبك منذ أيام وقام بيننا حديث طويل، وقد سأل عنك بطبيعة الحال، وقال إنه يظن أنك تخليت عن العلاج الطبيعي مبكرة.»

عبست جوانيتا قائلة: «لقد شعرت وكأن فترة العلاج تلك، وكأنها سنوات طويلة.»

«أعلم ذلك. وأعلم أيضاً أنني كنت قد ألححت عليك كثيراً بشأنها حتى رأيت أن ذلك لم يكن إلا ليزيد من عنادك...»

نظرت إليها جوانيتا بتأثر غير عادي وهي تقول: «هذا ما قد فعلته إذن.»

قالت: «هل ما زال وركك يؤلمك كثيراً؟»

أجابت: «نعم، وإن لم يكن كثيراً. خاصة عندما يتحمل ضغطاً ما، ولكن هذا يختلف عما إذا كنت اخفي نفسي خلف العصا. أليس كذلك؟»

نظرت أمها إليها بإمعان ثم قالت: «هل اتهمك شخص بذلك؟»

أومأت جوانيتا بالايجاب بالرغم منها.

عادت أمها تسألها: «هل هو نفس الرجل الذي جعلك تبدين بهذا الشكل؟»

جفلت جوانيتا داخلياً لتكهن أمها هذا الذي كان حقيقياً طبعاً، ولكنها بدت خالية من المشاعر، ظاهرياً وهي تجيب: «لقد اقترح أن ذلك قد يكون متصلاً بحالة نفسية.»

قالت الأم: «وأي حق له في أن يقول لك شيئاً كهذا؟»

ابتسمت جوانيتا للتعبير الماكر الذي بدا على ملامح أمها، وقالت: «هذا لا يهم. ولكنني لم أستطع إلا أن أتساءل باستمرار عما إذا كنت قد استسلمت للعجز بسهولة وأن هذا كان لأن ثمة شيئاً وراء ذلك.»

قالت الأم بهدوء: «وبالنسبة للأسباب الأخرى، يا عزيزتي، فإن ذلك الرأي يعبر عما يقولونه هذه الأيام عن الأمراض النفسية، ليس ثمة سبب يجعلك تتخلين عن الأمل نهائياً، ذلك أن هناك دوماً تقدماً جديداً في وسائل العلاج...»

قالت جوانيتا: «ربما، وربما كانوا يريدون أن يتخلوا عني تدريجياً، يا أماه...» وترددت قليلاً، ثم تابعت: «كيف تتعاملين مع مسألة كهذه، لو كنت مكاني، هل تخبرين الرجل، قبل أن يبدأ بينكما أي شيء، أو... أعني بصراحة، إذا كنت قد صممت على أن تتزوجي رجلاً هل تخبرينه مسبقاً بأن حظك من انجاب الأولاد هو معدوم؟ أم...؟»

حدقت أمها إليها قائلة: «من هو؟»

قالت جوانيتا: «انني لا أعتزم الزواج من أحد يا أماه. انني أتساءل فقط.»

رأت جوانيتا أمها وقد ظهر عليها القلق. ثم قالت بعنف:

«إن ذلك لا ينبغي أن يشكل أي فارق بالنسبة إلى شخص يحبك، أما إذا كان هذا الشخص يفضل أن يزيد في عدد سكان العالم بأناس على مثاله، مفضلاً ذلك عليك...»

«إنه ليس كذلك مع انه للأسف، يحب الأطفال.»

قالت الأم: «إنني لا أفهم شيئاً.»

عبست جوانيتا قائلة: «انسي كل هذا الذي قلته. هل يمكنني أن أرى ما الذي تقومين به من عمل، الآن؟»

في اليوم التالي قامت جوانيتا بمقابلة رئيسها في شركة بلومون ليدور بينهما حديث كان أكثر وضوحاً من حديثها مع والدتها.

كان الرئيس في شركة بلومون هو أحد الشركاء في رئاستها. وكان رجلاً تحترمه كثيراً وتقدر فيه بعد نظره في تحليل الأمور، وخبرته وذهنه العملي. ولكن كان أيضاً محدثاً صريحاً.

سألها وهو متجهم الوجه: «أخبريني ما الذي يجري هناك. يجب أن أنذرك بأنني لم أعتد فقد اعتباري، يا جوانيتا، خصوصاً عندما أقوم بعمل استثنائي إذ أعطيك مهمتك مبكراً عن المعتاد لذلك.»

قالت: «ولكنك لن تخسرها.»

قال: «لا أستطيع التصور كيف يمكنك التأكد من ذلك. ولكن، حتى ولو كان هذا صحيحاً، من هو الذي يجب أن أسلمه إياها؟ إننا مرتبطون جميعاً كل بعمله، أما السبب الثاني الذي جعلني أسلمك إياها فهو أنه ليس لدينا في الوقت الحاضر شخص له نفس النظرة التي تتميزين بها بالنسبة إلى البيوت الريفية.»

«انني أقدر لكم كل هذه الثقة...»

قاطعها: «أتمنى أن تفعلي ذلك، يا عزيزتي. ربما لم يحن الوقت بعد لنقول إن ذلك الميل الطبيعي الذي لا شك تتحلين به هو نصف المعركة في هذه اللعبة. فما الذي ساءك من هذا العمل؟»

ترددت ولم تجب.

قال: «هل المهمة أكبر من قدرتك؟»

قالت ببطء وهي تتمسك بالعصا: «كلا، أعني أنها عمل كبير ولكنها لا تتطلب تغييرات هيكلية، ذلك أن تناسب المنزل هو رائع وهو لا يريد أن يغير فيه شيئاً. وهو كله في حالة جيدة ما عدا الحمامات. وهذا سيكون عملاً ضخماً لأنها جميعاً بحاجة إلى قطع جديدة فأعمال السباكة يبدو أنها تسير قدماً. وقد تلقيت نصيحة بشأنها على كل حال.»

قال رئيسها ثائراً: «هو؟ أتريدين أن تخبريني أن غاريت ووكر قدم لك ارشاداً؟ اسمعي، إذا كانت هذه هي المشكلة، وهي أن خبرتك غير كافية لهذه المهمة، فربما كنا نحن الاثنين، نضيع وقتنا.»

أدركت أنه كان يعالج المسألة بطريقة بالغة السوء. ولكن، عدا عن الحقيقة التي لم تكن جاهزة لمواجهتها، فماذا تقول؟ وعلى كل حال، ما الذي سيتغير فيما لو ظهرت الحقيقة؟ ذلك أن عالم الأعمال قاسٍ لا يرحم، ولو أرادت هي أن تنجح فيه فإن عليها أن تتعلم كيف تدفن مشاعرها. وفكرت في غاريت ووكر، ولكنه قد لا يدرك الأمر، فإذا عرف الجميع أنه غيّر الشركة، وهذا منتظر، فستتعرض هي إلى

فقدان عملها وحدثت نفسها قائلة، وماذا عندي غير مهنتي، فكيف أخسرها؟

قالت بتردد: «ربما كنت أعاني من قلة الثقة بنفسي.»

هدأ رئيسها قليلاً، ثم قال: «أحضري لي تخطيطاتك التي قمت بها، وسننظر إليها معاً وأخبرك برأيي.»

بعد ساعة قال: «جوانيتا... إنها رائعة، فتمالكي ثقتك بنفسك يا عزيزتي، واخرجي واكتسحي العالم، وليس فقط غاريت ووكر. وعندما يرى الناس عملك مرة فسيقفون بالصف لأجلك.»

لكن، كيف تعود؟ وهل هو يريدها أن تعود؟

«إنني أعرف أنك ستستغرب وجودي هنا.» قالت له ذلك في مكتبه بعد يومين. كان الوقت عصراً والجو كئيباً رطباً وقد أدخلتها وندي بسرور ظاهر ودون دهشة. ويبدو أن غاريت لم يخبرهم بالأمر بعد.

قال وهو يتخلل شعره بأصابعه بضجر: «اجلسي.» ورأته يقظاً بقدر ما كان مرهقاً، وتألمت وهي ترى خطوطاً حول فمه... ونهرت نفسها قائلة، كفى... يمكنك تدبير الأمر.

قالت: «لقد كنت مخطئة إذ وعدتك بتدبير شخص آخر لك بدلاً مني، إذ ليس عندنا حالياً، من يمكنه القيام بذلك، ثم...» وازدردت ريقها. «لقد أفهموني أن عدم إكمالي هذا العمل سيسيء إليّ مهنياً.»

«لقد فهمت.» والتقط قلماً تمعن فيه لحظة، ثم نظر إليها. كانت ترتدي سروالاً بنياً وقميصاً قمحياً، وكانت قطرات المطر لا تزال عالقة بشعرها الذي كان مربوطاً إلى الخلف كالعادة. وقال: «وماذا عن اقتراحي؟»

حاولت هي أن تشرح الأمر قائلة: «إنه عمل في غاية الصعوبة.»

قال لاوياً شفتيه: «إن ذلك لم يخطر لي على بال.»

«أعرف ذلك.»

مرت لحظات صمت قال بعدها: «حسناً، هنالك بديل لذلك. وهو أنه لا يهم إذا أنا أرجأت الأمر... ستة أشهر أخرى أو أية مدة لا تشكل اختلافاً.»

قالت بثبات مدهش: «كلا، أعني أن ذلك يعود إليك بالطبع. وإن لم تشأ... أن تراني مرة أخرى، فإنني سأتفهم الأمر تماماً، ولكن إذا أنا قمت بهذا العمل، فإنني سأشعر... حسناً، من الصعب أن أشرح ذلك ولكن... إن مهنتي الآن هي على المحك وهي في غاية الأهمية بالنسبة إلي، وهكذا... ولكن، أرجوك ألا تظن انني أحاول إقناعك بتغيير تفكيرك بالنسبة للأمور الأخرى.» وأغمضت عينيها لحظة ثم تابعت قولها: «وكذلك يمكنني البقاء في البلدة عندما أكون هنا، ولكن دون أن يكلفك هذا شيئاً بالطبع.»

«أتظنين أن ذلك قد يحل المسائل الأخرى بيننا؟»

عضت شفتها ثم قالت وهي تفرك جبينها: «نعم...»

استقام في جلسته، وترك القلم من يده قائلاً: «كلا...»

انتفضت بشكل ملحوظ، ولكنها قالت: «حسناً، إنني أفهم ذلك.»

قال: «لا أظن أنك تفهمين، ولكنني أفهم ما تحاولين أن تخبريني به وأفهم بالنسبة إلى مهنتك، وهكذا إذا كنت مصممة على أن تقومي بالتجربة فأنا سأقوم بنفس الشيء. ولكن، ليس عليك أن تنفقي نقودك الخاصة لتسكني في البلدة.»

قالت: «أظن هذا أفضل...»

قاطعها: «جوانيتا. إن ذلك لن يكون سهلاً بالنسبة إلينا نحن الاثنين. ولكن، إذا كنا سنفعل ذلك، فلنفعله إذن بالطريقة الصحيحة.»

تنفست بعمق وقالت: «ولكن، هل أنت متفهم حقاً؟»

قال وقد تغيرت تعابير وجهه: «نعم، وربما وجدنا الشفاء في ذلك، إذا لم تكوني مقتنعة بصعوبة الحياة مع رجل مثلي...»

فقالت: «ألم تتحسن الأمور معك؟»

«كلا.»

«حسناً، لقد أحضرت معي التخطيطات.» وانحنت تخرج من حقيبتها ملف الأوراق وهي تتابع قائلة: «هل تريد أن تلقي عليها نظرة؟»

«ولِمَ لا؟»

«هذا حسن.»

مضت حوالي الثلث ساعة وهو يراجع التخطيطات والشروح لكل غرفة وملحقاتها، وألقى عدة أسئلة، ولكنه كان عموماً مستغرقاً بالصمت. بينما كانت جوانيتا تحدق من النافذة إلى المطر المنهمر.

أخيراً رفع نظره قائلاً: «هذا ممتاز، وأكثر من ممتاز في الواقع. إن عندك موهبة كبرى يا جوانيتا.» ثم تناول القلم.

قالت بسرعة: «قبل أن توقع بإمضائك، علينا دائماً أن نذكر عملاءنا أن بعض التغييرات، طبعاً قد تجري إذا لم تعجبك بعض الأشياء. ولكن بالنسبة للسجاد وما أشبه، فهذا قد يكون مكلفاً.»

رفع حاجبه قائلاً: «أتصور ذلك. ولكن هذا هو السبب في أنني أدفع بدل مهارتك إذ أنه ليس لدي الوقت ولا الرغبة في أن أمضي ساعات أصدع رأسي بهذه الأشياء، ولا يتملكك القلق إذ أنني لن أتصرف كبعض ربات المنازل اللاتي لا يستطعن تقرير أي اللونين أفضل لغطاء كرسي المرحاض، الأزرق أم الوردي.» ووضع توقيعه على العقد، ثم سحب شيكاً وناولها اياه.

قالت بلهجة جادة: «شكراً... سأ... سأحاول أن أنهي العمل بأسرع وقت ممكن.»

وقف وهو يقول: «حسناً، إنني لم أخبرهم بعد هنا بأنك غير راجعة... وذلك في حالة حدوث شيء كهذا. ولهذا، فأنا متأكد من أن غرفتك ما زالت في انتظارك.»

قالت وهي تتنفس بصعوبة: «هذا حسن. إنني سأحاول، كذلك، عدم مضايقتك كثيراً.»

قال وهو ينظر حوله: «ما زلت أشعر بالمكان يتحول إلى سجن أكثر فأكثر.»

قالت تطمئنه بابتسامة مشرقة رغم شعورها بقلبها يتحطم: «لا بد أن يحدث تغيير ما. هذا ما تقوله أمي. عندما لايبقى ثمة ما تتوقعه، عند ذاك، ينبثق الإلهام.»

لكي يتحقق قولها هذا، ولو الكلمات الأخيرة على الأقل، فقد حدث تغيير في بعض الأشياء في اليوم التالي بالذات.

كانت قد ذهبت إلى البلدة مرة اخرى في الصباح التالي للإتفاق مع البائعين وللقيام بالترتيبات النهائية، ولم تعد إلا بعد الغداء. كان المطر قد كف عن الإنهمار أثناء الليل، وكان الجو مشرقاً والشمس ساطعة. وكان

ثمة سيارة رياضية صفراء اللون تقف بجانب النافورة.

لم يخطر ببال جوانيتا قط أن صاحبة هذه السيارة التي أقبلت تتمشى من ناحية المنعطف مع غاريت، هي لورا هينيسي المذيعة التلفزيونية، كما كان الكلب وستمنستر يصحبهما وقد أطلق نباحاً يحييها به، ثم يثب عليها مسروراً ما جعلها تتعثر وتزل بها القدم لتسقط على الأرض.

مضت الدقائق التالية مشوشة في ذهنها، ولكن وستمنستر أعيد إلى الإسطبل بواسطة وندي بينما ساعد غاريت جوانيتا، التي كانت شاحبة اللون ملطخة بالوحل في الدخول إلى البيت، تتبعها لورا هينيسي وهي تدلي بكلمات عطف قائلة إن الكلب ما زال جرواً صغيراً، بينما كانت جوانيتا تحاول أن تتمالك نفسها من الرجفة.

سألها غاريت وهو يقودها إلى كرسي في القاعة: «هل أنت بخير؟»

قالت وهي لا تزال ترتجف: «نعم. إنني بخير تماماً.»

انحنى أمامها وأمسك بيدها قائلاً: «كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ...»

«أعلم ذلك. كان من الممكن أن أسقط في النافورة... آسفة، لقد كان الذنب ذنبي فقد أصابني الذعر.»

«هل أنت متأكدة من أنك بخير أم أنك تتصنعين الشجاعة؟»

قالت وهي تهز رأسها: «إنني بخير.»

قال: «فتاة طيبة.» ولمعت عيناه بشيء يشبه الإعجاب ثم تحولت لهجته إلى اسلوب لهو، وهو يستقيم واقفاً: «حسناً، لا أظنني بحاجة إلى تقديم إحداكما للأخرى، أليس كذلك؟ هذه هي جوانيتا سبنسر هيل إحدى المعجبات بك.»

www.elromancia.com

كانت لورا هينيسي نحيلة طويلة القامة كما تبدو على شاشة التلفزيون، بالغة الأناقة والجاذبية بشعرها الأشقر القصير. وكانت زينة وجهها الكاملة تضفي حيوية على عينيها العسليتين، وملابسها المناسبة لقضاء يوم في الريف، وهي عبارة عن سروال جينز رائع التفصيل وقميص حريري فوقه وحذاء ريفي بني اللون. كل هذا جعل جوانيتا تنظر إلى ثيابها هي الملطخة بالوحل بحسرة. لقد بدا لها هذا الصباح أن ترتدي ثوباً ورديا ذا تنورة واسعة لترى الآن أن هذا كان أسوأ شيء صنعته. إضافة إلى أن معصمها قد خدش وسال دمها على تنورتها كما أن شعرها، كما اكتشفت حين وضعت يدها عليه، قد انحلت ربطته الفضية وتناثر حول رقبتها.

تمتمت لورا وأنظارها منصبة على شعر جوانيتا دون أن يفوتها شيء من الفوضى التي كانت تكتنفه: «كيف حالك يا جوانيتا؟ إنني دوماً أشعر بالأسف لأجل الأشخاص الذين يخافون من الكلاب. أليس كذلك يا غاريت؟ إن الذي لا يدركونه هو أنهم يجلبون ذلك لأنفسهم، لأن الكلب عندما يشعر أنك...»

قال غاريت: «إن وستمنستر هو من النوع الغلاب، كما أنه ليس مروضاً كما أريده أن يكون ولكنه في الواقع يحب جوانيتا. إن ما نحتاجه الآن حقاً هو فنجاناً من الشاي. هل تمانعين في الإنضمام إلينا في المطبخ يا لورا؟»

قالت لورا وهي ترفع حاجبها البالغ النحول: «ظننتك قدمتني إلى مدبرة منزلك؟»

أجاب وهو ينظر في ساعته: «إنها في الحقيقة تقوم

مقام أمها، وأظنها ذهبت الآن تحضر أخويها التوأمين من المدرسة ومما يشكل راحة لنا جميعاً هو عودة التوأمين إلى المدرسة.»

ألقت جوانيتا بنظرة إلى الفتاة الأخرى متسائلة عما بإمكانها عمله بالنسبة لهذا. لم يكن ثمة شك في ذكاء لورا النشيط حتى ولو لم ترها أثناء مناقشاتها التلفزيونية ولكن ما بدا لها فجأة، أن كل ما يتعلق بهذا المنزل ظهر أنه يشكل اهتماماً عميقاً لها... لماذا؟ لقد تساءلت جوانيتا عن ذلك بشيء من الذهول. بل لماذا هي هنا أصلاً؟ ألم تدرك كيف جعلها غاريت تبدو أمامه حمقاء غبية أثناء المناقشة التلفزيونية: ولماذا ينتابها الشعور بأنها، هي جوانيتا موشكة على الموت؟

قالت لورا بمرح: «هذا يجعلني أكثر فضولاً. إنني أعشق تناول الشاي في المطبخ. ثم أنك قد تخبرني أكثر عن ذلك الأمر في نفس الوقت.» ثم تأبطت ذراع غاريت وانتظرت منه أن يقودها إلى المطبخ.

لكن غاريت سحب ذراعه بأدب، ثم مد يده إلى جوانيتا قائلاً: «هل تريدين أن تسوي من نفسك أولاً؟»

قالت متلعثمة: «شـ... شكراً... نـ... نعم، أريد.» وتمالكت نفسها لكي تقف وهي تضيف عندما أخذ يمعن النظر فيها متسائلاً: «انني بخير تماماً ولست بحاجة إلى المساعدة.»

عبس هو، ثم تراجع إلى الخلف متمتماً: «هذا حسن. سنكون بانتظارك.»

قالت: «أوه...»

قال: «أظن أنه يهمك يا جوانيتا أن تعرفي أن لورا قد

فكرت في إقامة سلسلة تلفزيونية خاصة بالأدب المعاصر وهي تريدني أن أساهم فيها.»

وابتسم، وقد لمعت عيناه وبدت على شفتيه حركة خفية ذات معنى وهو يقول: «يجب أن تنضمي إلينا.»

عندما انضمت إليهما جوانيتا في المطبخ، كان الشاي قد جهز وسكب في الفناجين. كانت قد غسلت يديها ووجهها وأبدلت ثيابها، بثوب ريفي مع قميص.

تحولت لورا حالاً إلى امرأة عطوف وهي تقول: «لقد كان غاريت يحدثني عنك، يا جوانيتا، ما أجمله من منزل أعطاك تصريحاً مطلقاً بتجديده. بالمناسبة، لقد كنت أجريت مقابلة لوالدتك، ولوالدك، ولأخيك. يا لها من أسرة رائعة.»

كان كل ما فكرت جوانيتا بقوله هو: «شكراً.»

عادت لورا تستدير إلى غاريت قائلة: «حسناً، ومتى سيكون ذلك؟»

بدا عليه التفكير، ثم ألقى إليها بنظرة غامضة قائلاً برقة زائدة: «كلا.»

لكن لورا لم تتراجع، وإنما قالت بنعومة: «إنها ليست روحاً رياضية. ألا ترى أنني أستحق أن أمنح فرصة؟»

قال: «عفواً إذا أنا قلت إنني لا أرى كيف يمكنك ذلك.»

سادت فترة صمت، ولكنها كانت بالنسبة إلى جوانيتا ذات معنى خاص ولكنه واضح تقريباً. كان التيار الذي يسري بين ذينك الشخصين الذكيين الجذابين، قد زاد في قوته كونهما من الجنسين المتضادين. وتبعاً لما لاحظته من زاوية عينها، شعرت بنوع من التفاهم بينهما تبعه شعور بالغضب في داخلها، إذ شعرت بأنها لن تصل إلى

درجة تناسب فيها غاريت كما قد تناسبه هذه المرأة...

قالت لورا برزانة تامة: «إنك لن تعرف ذلك إلا إذا جربته. كما أنني لا أستسلم بسهولة. وحيث أنني فكرت في قيمتها كثيراً، فإن كتابتك تغريني نوعاً ما. عندما تتعب من كتابة المسرحيات، لماذا لا تحاول تجربة كتابة أشياء أكثر عمقاً. إنني متأكدة من أن عندك طاقة كافية لذلك.»

«أوه.. لا أدري يا لورا. أظن أن الرجل الذي يعرف حدوده هو حكيم حقاً.»

هزت لورا كتفيها قائلة: «ولكنه يكون أقل حكمة إذا شعر بالخوف من أن يحاول معرفة حدوده.» وتبادلا بعدها نظرات طويلة متحدية، ابتسمت لورا بعدها وأضافت: «بالمناسبة، إنني أقيم مع بعض الأصدقاء على مسافة ميل أو ميلين من هنا. هل ذكرت ذلك من قبل؟ كلا؟ حسناً، سأمضي معهم أسبوعاً كاملاً أثناء إجازة أخذتها للراحة والإسترخاء، وركوب الخيل. وسيكون في إمكاننا أن نرى بعضنا البعض أثناءها.»

بعد ذلك بمدة قصيرة، ذهبت لورا.

لم تكن وندي قد عادت، فغسلت جوانيتا الأواني، وكانت ما تزال في المطبخ عندما عاد غاريت من الباب الخلفي، ليلقي بنفسه على كرسي في المطبخ ويقول متهكماً: «ما رأيك بهذا؟»

نشفت جوانيتا فنجاناً بعناية وهي تقول: «لا أظنني سأتوصل إلى نتيجة في هذا السبيل.»

قال: «ولِمَ لا؟ إذا كنت تستطيعين تنشيف الأطباق في منزلي، ففي استطاعتك بالتأكيد إعطاء رأي في مسألة أثناء حديث متمدن.»

www.elromancia.com

متمدن؟ ونظرت إليه بحسرة متفهمة لغضبه وخيبة أمله ولكن دون أن تستطيع أن تفهم لماذا يطلب منها هي الرأي. وقالت: «حسناً، أظن الأمر واضحاً تماماً. لقد سبق وهزمتها مظهراً إياها بمظهر الحمقاء فهي تبحث الآن عن فرصة ليس فقط لكي تثار لنفسها منك ثقافياً، بل لكي يمكنها رؤيتك ايضاً على الدوام.»

تركت الفنجان من يدها وتناولت آخر.

قال بوحشية: «لقد وصلت إليها، ولكن إذا كنت تقصدين ما أظنك تقصدينه، فأنت مخطئة.»

نظرت إليه جوانيتا. كان باسطاً ساقيه أمامه وقد طوى ذراعيه على صدره فوق قميصه الكاكي القديم، وشعرت بقلبها يخفق وهي تتساءل عما إذا كان حقاً اعمى لا يشعر بتأثيره على أكثر النساء.

قالت وهي تهز كتفيها: «كما تريد. إنني مخطئة، والآن أخبرني عما تظنه.»

قال ببطء وهو يدفع شعره عن جبهته: «لو كنت أعرف لما سألتك. ولكنني أعرف جيداً أن تلك المرأة اللعينة تكدر حياتي... وأنا لست من ذلك النوع الذي يتحمل ذلك.»

تمتمت جوانيتا: «إنني أصدقك. ولكن، هل يمكن أن تكون هي والجفاف الذي يعانيه الكاتب أحياناً قد صدف وجودهما في وقت واحد؟ لقد سبق وتحدثنا عن ذلك.»

قال عابساً: «هذا صحيح. معك حق، ولكن لماذا هي بالذات؟ لقد صادفت الكثير من الحريصين على الثقافة في حياتي الأدبية.»

بقيت جوانيتا صامتة أثناء تنشيفها الحوض وتعليقها

المنشفة. كانت صامتة لأنها لم تستطع أن تجعله يرى ما تراه هي أو ربما هو لا يريد. وحدثت نفسها بأن لديها شعوراً بأن أي شيء قد يكون شعر به نحوها هي، سيتلاشى أمام ما قد يحدث بينهما، غاريت ولورا، يوماً ما...

قال فجأة بصوت مختلف وأكثر جفاء مما جعلها تستدير إليه: «كم إمرأة تظنين يمكن أن اجتذب في وقت واحد؟»

«غاريت...»

قال وقد لمع التهكم في عينيه: «ألا تريدين الخوض في هذا الأمر؟ مع أنه ما تفكرين فيه. ثم أن سمعتي هي رهن الخطر.»

ترددت ثم قالت: «ليس الأمر مجهولاً أو غير عادي. ربما اثنتان على الأقل.»

قال: «على الأقل؟ ولماذا لم تجعليهن ثلاث أو أربع؟»

فهمست: «كفى. لقد قمنا برهان، وقد وافقت أنا على الأقل، على ما قلت. وأنا هنا فقط لكي...»

قال: «إذن، ربما لم يكن لك أن تجففي اكثر من ذلك من الأطباق أثناء وجودك هنا.»

قالت: «هذا غير منطقي.» وحدق الواحد منهما بالآخر، ثم، بالرغم من أي شيء آخر، كانت نظراته التي كانت تنصب عليها، غاية في الصراحة بالرغم من العداء الذي كان يبدو في عينيه، ثم حولت عداءها هي إلى شيء آخر. وتوترت أعصابها لإحساسها بوجوده. وحيرها هذا، كما لو كانت قد صفعت وجهه ليأخذها بين ذراعيه. شعرت كما لو كانت تحاول إثارته إنما ببرود وضبط نفس حتى صار يغلي بالرغبة... لقد عرفت سلسلة من المشاعر ولكنها لم تعرف قط ما إذا كان هذا حباً أم انفعالاً.

أغمضت عينيها وازدردت ريقها عدة مرات وحاولت أن تضبط مشاعرها لكي تتغلب على أحاسيسها.

فجأة فتح الباب ليندفع منه ستيفن هاتفاً: «غاريت، غاريت. لقد أذت وندي نفسها وهي لا تستطيع الخروج من السيارة.»

أما الذي فعلته وندي فهو أنها خرجت من السيارة لتفتح البوابة، وهذا عادة، كان يقوم به ستيفن وريبيكا بالتناوب. ولكن كثرة الوحل حول الباب جعلت وندي تتزحلق ليلتوي كاحلها على الأقل، إذا لم يكن قد كسر.

قالت بوجه شاحب بينما غاريت يحملها إلى المطبخ: «لا أستطيع تصديق ذلك. أنظر إليه. لقد حدث ذلك منذ دقائق فقط.»

خلع حذاءها ثم أخذ يمسد قدمها المتورمة. فجفلت وندي.

قال: «لا بأس. إن ما نحتاجه الآن هو كيس ثلج ثم الإتصال هاتفياً بالدكتور سميث.»

قال دكتور سميث إن ما حدث كان التواءً مؤلماً للكاحل مما يستلزم راحة لعدة أيام.

قالت وندي محتجة: «ولكنني لا أستطيع ذلك.»

قال غاريت لاوياً شفتيه: «بل تستطيعين. أنظري، إنه لا يمكنك حتى أن تضعي قدمك على الأرض، فكيف تستطيعين الوقوف عليها؟ لا تهتمي فسنتعاون جميعاً.»

قالت: «كيف؟»

قال: «إنني لست عديم النفع كما أبدو. والآن هيا إلى فراشك دون جدل.»

ساعدت جوانيتا وندي في تغيير ثيابها والإستلقاء في فراشها.

قالت وندي: «لا أدري كيف سيتصرف بالنسبة إلى كتبه وغيرها.»

اجابتها جوانيتا: «إنني... سأقوم بالمساعدة.»

قالت وندي: «أحقاً؟»

«نعم، إذا هو أرادني أن أفعل ذلك.»

«ولِمَ لا يريد هو ذلك؟ إذا سمحت؟»

لكن جوانيتا لم تجب عن هذا السؤال.

التقيا في الممر الذي يصل قسم الخدمة بالمنزل. ورفع هو حاجبه يسألها: «هل الأمر على ما يرام؟»

أجابت: «نعم. ولكنها قلقة. وقد قدمت أنا يد المساعدة.»

قال: «هل فعلت ذلك؟ الآن؟»

قالت بشيء من العبوس: «نعم. بالرغم من كراهيتك لغسلي الأطباق، ألا تظن أن هذا العمل معقول بالنسبة للظروف الراهنة؟ يمكنني على الأقل، أن أقوم بالطبخ وغسل بعض الثياب. وعلى كل حال، ستعم الفوضى البيت بعد وقت قصير.»

«إن كراهيتي لغسلك الأطباق لم يكن...»

قالت بغضب: «دعنا من الخوض في تلك المسائل مرة أخرى. إنني...»

وجه إليها نظرة قاتلة وهو يقول: «حسناً، ولكن دعينا نتفاهم على أمر. لو لم تكوني قد أرسلت ذلك الشيك والعقد إلى الشركة، لكنت قد مزقتهما وفضلت الخيار الذي كنت قد صممت عليه. هذا إذا كان الأمر سيكون، بالنسبة إليك، على هذا القدر من الصعوبة.»

www.elromancia.com

قالت بعنف: «يمكنني أن أساعد. إنني لست متأكدة تماماً منك. ولهذا، أخبرني بما تريد أن تفعل، إذا شئت، وسأخرج من هنا في غضون عشر دقائق.»

ضاقت عيناه، ثم قال بنعومة: «إبقي هنا بكل تأكيد، يا جوانيتا. إنني لست متأكدا مئة بالمئة من سبب خصامنا الآن. ولكن إذا كنت متأكدة من رغبتك في متابعة الخصام، فَلِمَ لا؟ ثم...»

ابتسم متابعاً: «في هذه اللحظة بالذات، يمكنني تقديم بعض العون.»

قالت بخفة: «هذا حسن. سأجهز العشاء في خلال ساعة.» وتوجهت نحو المطبخ. ولكن اعصابها وذهنها وبعض عضلاتها، كل ذلك استلزم وقتاً طويلاً قبل أن يزول توترها، ثم تتساءل عما إذا كانت، مثل إكسانت، مشابهة لقطط شباط.

الفصل الثامن

مضت الأمور على ما يرام بصورة مدهشة لمدة يوم ونصف يوم، ولكنها لم تشاهد غاريت سوى اثناء تناول الطعام وبحضور ستيفن وريبيكا اللذين كانا يساعدانها بشكل لابأس به. ولكنهما لم يكونا موجودين عندما دخل غاريت إلى المطبخ وهو يشتم، وكان الوقت حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، وذلك لأن ثمة من كان يحدث ضجيجاً تحت نافذة مكتبه.

كانت جوانتيا جالسة إلى المنضدة تحيط بها الأوراق. وقالت: «أوه، إنه السباك. إنه ينقل...»

قاطعها ثائراً: «لا يهمني من يكون، وإنما عليه أن يتوقف عن ذلك. على كل حال، لماذا لم أبلغ أنه سيكون هنا اليوم؟ ماذا تعرفين عن الضجيج؟ إنه قد يسبب لي النهاية عن طريق استنزاف مخزن للطاقة، من هو الذي يشرف على عمله؟»

فتنفست جوانيتا بعمق قائلة: «أنا. ولكن ريبيكا أو ستيفن يمكنهما أن يقوما بذلك. صدقني انها مهمة سهلة.»

قال: «قد تظنين أنها كذلك. ولكنني أشك في معرفتك لهذه الأمور. وبالنسبة للمستقبل، لا تبدأي أي شيء كهذا قبل استشارتي.» وحدق فيها وقد اشتدت زرقة عينيه، وكان شعره مشعثاً وكأنما كان يشده بيده.

قالت بمرارة: «أستشيرك؟ لقد سبق وأخبرتني أنه ليس

لديك الوقت لكي تصدع رأسك بتفاصيل ذلك أو ما يتعلق بها من كلام، لهذا افترضت...»

قاطعها بجفاء: «حسناً، لقد كنت على خطأ ربما ليس عندي الوقت للإطلاع على التفاصيل، ولكن لا تتصوري أنني يمكن أن أجلس ساكناً بينما الناس يسحبون ويخبطون في المنزل دون أن يفكروا بالجحيم الذي يجعلونه في البيت.»

قالت: «إنهم لا يسحبون شيئاً ولا يخبطون. إنه فقط يثبت قسطلين في حمام الضيوف الذي لا يستعمله أحد، وبقية الحمامات سيدخل فيها تجهيزات عصرية.»

«ما زلت أريد أن أعلم بما يدور في المنزل وماذا يحصل.»

قالت بلهجة خطرة: «هذا حسن. سأضع ملحوظة على باب مكتبك في المستقبل. ولكن لماذا لا تجري معه حديثاً اذا كان الأمر يهمك إلى هذا الحد؟ أم أنك غير كفء لمثل هذا التصرف المهذب البسيط؟»

«لا تحاولي إظهار مهارتك معي، يا جوانيتا.»

ردت عليه بحدة: «مهارة؟ إن هذه ليست مهارة. ولكنك أنت رجل لا يطاق. وعلى كل حال، فقد حان الوقت الذي ينبغي أن تذهب فيه لتحضر التوأمين من المدرسة.»

وسمع صوت نقر على الباب الخلفي وصوت السباك يقول: «هل ثمة أحد في المنزل؟»

زاد من سخط جوانيتا التغيير الذي أصاب غاريت. لقد قدم نفسه بلطف زائد، معتذراً عما قد يكون تناهى إلى السمع من صخب عائلي وعبر عن اهتمامه بما كان السباك يقوم به.

أجاب السباك: «يسعدني أن أريك ذلك. إنني دوماً أشعر براحة أكثر عندما أتعامل مع...»

قالت جوانيتا منزعجة: «لا تزعج نفسك بالشرح. فإنني أكره كل شيء تعمله إذا شئت أن تعرف.»

أشار غاريت إليه بالخروج بابتسامة عريضة وهو يقول: «هذا يكفي، أيها الزميل.» ثم أغلق الباب جيداً.

أخذت جوانيتا نفساً عميقاً وهي تضبط نفسها كي لا ترمي بالأشياء على الأرض.

كذلك بذلت جهداً كبيراً، حين جلسوا إلى مائدة العشاء، لكي تتصرف نحوه بكل تهذيب، مع انه لم يظهر أن ثمة من كان يلاحظ ذلك. وقد ساعدها على ذلك أنه قد سمح لوندي بالسير على عكاز مما أمكنها من الاشراف على عمل التوأمين بعد الطعام. وقد أمضت جوانيتا وقتاً أطول بين أوراقها وأعمالها الدائمة الصعبة مع الدهان والجبس، وتعليق ورق الجدران وبسط السجاد، والنجارة والتغطية بالقرميد. ثم عادت لاعمال المنزل بعد أن ذهبت وندي والتوأمان إلى الفراش، ثم تركت كل شيء من بين يديها فجأة، لتلقي برأسها بين يديها.

تساءلت، لماذا لم أعرف كيف يمكن أن يكون هذا؟ كيف يمكنني أن أغضب من شخص أتوق إليه إلى هذا الحد؟

«إنني أشعر بالذنب يحرقني مثل النار، إذا كان في كلامي هذا ما يعزيك.»

رفعت جوانيتا رأسها ببطء. كان يقف أمام الباب، وقد وضع يديه في جيبيه، وما أن تلاقت نظراتهما، ورأت في عينيه التعب وشيئاً آخر لم تستطع أن تفهمه تماماً، لم يكن

تأثيراً ولا رقة، ربما كان نوعاً من الإستياء، ليداخلها شعور غريب بأن ذلك لم يكن موجهاً إليها بل إلى نفسه.

هزت كتفيها هزة خفيفة.

أضاف قائلاً: «خصوصاً بالنسبة إلى كيفية تقديمك المساعدة، لا بد أنك فكرت في أنني مستبد جلف.»

لأمر ما، بعثت كلماته هذه ابتسامة خفيفة إلى شفتيها، وقالت: «لا بد أن أعتاد على هذا. أليس كذلك؟»

تقدم ثم جلس أمامها قائلاً: «هل هي طباع الفنان التي تجعلني أشعر بذنبي مضاعفاً؟»

تمتمت وهي تجمع أوراقها: «لقد انتهينا.»

«إنني أتساءل لماذا تعملين في هذا الوقت المتأخر؟»

قالت: «كنت أحاول ذلك إلتماساً للسرعة.»

سكت برهة ثم قال: «أخبريني بشيء آخر...» وحامت نظراته عليها، متأملاً القميص الأبيض البسيط الذي ترتديه فوق تنورة زرقاء قطنية، وشعرها المتناثر حول وجهها. ثم قال: «هل هو تصور من مخيلتي، أم أنك تقللين من استعمالك للعصا كالعادة؟»

«كلا. أقصد أن ذلك ليس تصوراً من مخيلتك.»

قال: «لماذا؟»

ألقت عليه نظرة سريعة وقالت: «أخذت بنصيحتك.»

قال: «كيف حدث هذا؟»

قالت: «إنني... حسناً. لقد خطر ببالي أن أفعل هذا بعد أن تعبت من كل شيء. كنت قد تركت العلاج الطبيعي قبل الأوان. لهذا عدت إلى طبيبي الذي أخبرني أنني ما زلت في حاجة إلى العلاج الطبيعي والتمارين. وهذا ما أقوم به.

أحاول في نفس الوقت أن أقلل من اعتمادي على العصا. ولكن ما زال هذا يستلزم وقتاً.»

قال: «إنني فخور بك.»

نظرت إليه قائلة: «شكراً.»

قال: «وكذلك أرى أن اللعثمة عندك في طريقها إلى التحسن هي أيضاً.»

قالت: «إن هذا يتبع حالتي عند...»

قاطعها: «عند الغضب؟»

قالت: «لقد سبق وأخبرتني أن الغضب قد أحسن إطلاق لساني.»

قال بهدوء شديد: «يوماً ما، ستتطلعين إلى كل هذا الذي مضى عليك ليشكل عندك خبرة رائعة.»

فجأة وقفت جوانيتا وقد شعرت بالدموع تخنقها وهي تقول: «وهل أستطيع ذلك؟ أظن أن هذا سيبقى في نظري دوماً مثل كابوس مر في حياتي والآن، انني ذاهبة إلى فراشي.»

لم يحاول منعها من ذلك.

في الصباح التالي، لم يظهر غاريت في أي مكان. وسألت جوانيتا وندي عابسة: «أين يمكن أن يكون؟ لقد حان الوقت لكي يأخذ التوأمين إلى المدرسة.»

سألتها وندي: «هل اتصلت هاتفياً بالاسطبل؟»

أومأت بالإجابة قائلة: «إنه لم يذهب إلى هناك. يمكنني أن آخذ ستيفن وريبيكا بنفسي ولكن غيابه يبدو غريباً.»

ضاقت عينا وندي وهي تقول: «هل تفقدته في مكتبه؟»

أجابات: «كلا. لقد قرعت الباب فقط فلم أتلق إجابة.»

شعرت وندي بالراحة وقالت: «إذهبي وتفحصي الأمر. أظنه هناك، إذ أنه أحياناً يكتب طيلة الليل إلى أن يغلبه النوم على الأريكة.»

فعلاً، كان ممدداً على الأريكة بثيابه الكاملة وقد أسند رأسه على ذراعه، ويبدو عليه التعب بشكل واضح وإن كان يبدو مستغرقاً في نوم عميق. ولم يتحرك حين فتحت الباب ودخلت بهدوء. ولكن منظر الفوضى في المكتب أفزعها. كانت الأوراق الممزقة متناثرة على أرض المكتب وكأنه كان قد طبع على آلته الكاتبة فصلاً أو فصلين ثم كره كل كلمة فيها. حتى أنه قد انتزع كل ورقة ليكورها ثم يطرح بها أنحاء الغرفة.

نظرت إليه مرة أخرى، ولكنها لم تستطع رؤية وجهه إذ كان شعره الأشقر الداكن يغطيه. وأحست بالعطف، الذي حل مكان الغضب في نفسها، شعرت به يغمر نفسها.

كانت هادئة وهي تقود السيارة إلى المدرسة بشكل غير عادي. وإن لم يلحظ ستيفن وريبيكا ذلك إذ كانا مستغرقين بحديث لا ينقطع عن العطلة الأسبوعية الطويلة التالية للعطلة القادمة، وعما إذا كان كاحل وندي سيكون قد شفي لكي يمضوا تلك العطلة في سيدني في منزل صديقة لأمهم فيكون بإمكانهم زيارة الأم في المستشفى يومياً، وذلك كما سبق وخططوا من قبل.

عندما سألا جوانيتا عن رأيها أجابتهما بذهن شارد: «سيكون قد شفي بالتأكيد، حتى ذلك الوقت.»

سألها ستيفن: «هل ستبقين للعناية بغاريت؟ إنه سيكون بحاجة إلى ذلك حتماً.»

أعادها سؤاله إلى واقعها، وأجابت: «إنني... حسناً، سنرى.» وساورها الغضب، ولكن وصولهم إلى المدرسة أنهى كل ذلك.

هكذا، أمضت بقية النهار تفكر في أمرين، ولكن، لسبب ربما كان مدفوناً في عقلها الباطن، أحدهما بدا لها أكثر أهمية من الآخر. لقد كانت، في الواقع، قد أشترت أحد كتب غاريت عند عودتها إلى سيدني، وبالرغم منها شعرت بمتعة في قراءته. ربما لم يكن بمستوى كتابات غراهام غرين، ولكنه تمكن من عرض صورة رائعة للريف الذي كتب عنه. ولقد جذبت حبكة المسرحية انتباهها. أما الذي أعجبها أكثر، فهو وصفه لبائع الأسلحة الصغير وحبيبته عازفة الكمان التي كانت مليئة بالعاطفة المحمومة. والتي كانت تنقل إليه، عند اللزوم، الأسلحة المدمرة في حقيبة الكمان. كانت المسرحية منطقية، ومليئة بالمرح أحياناً. ولكنها بقيت تفكر طيلة النهار ببطل المسرحية ذاك. كان رجلاً ممزقاً بين تبريره الفلسفي للوسائل السياسية، وبين قسوة تلك الوسائل.

أخيراً، بعد أن رأت غاريت لفترات قليلة أثناء النهار، ذهبت إليه في مكتبه عند العصر. ورفع نظره إليها وهي تقف مترددة عند العتبة. ثم سألها وقد ضاقت عيناه: «أثمة مشكلة؟»

قالت: «كلا، حسناً، ن... نعم.. ولكنها لا تخصني. هل يمكنني الدخول؟»

«طبعاً، ولكنني أرجو أن لا تكوني قد أتيت لتخبريني بأن السباك قد...»

قالت بسرعة: «لا شيء من هذا القبيل. إن العمل كله يسير بشكل جيد»

ابتسم بهدوء قائلاً: «هذا حسن. هل تريدين أن تجلسي أم أن زيارتك مجرد مرور سريع؟»

«سأجلس.» وترددت مرة أخرى وهي تتساءل عما إذا كانت قد جنت. ونظرت في أنحاء الغرفة... كانت كل الأوراق المتناثرة قد التقطت لتبدو الأرض نظيفة بشكل كامل.

تمتمت قائلة: «إن لك شخصيتين متناقضتين.»

نظر إليها فجأة بحدة قائلاً: «هل هذا يعني أن ما جئت لتخبريني به هو، رغم خطورته أو شؤمه، لا علاقة له بأعمال السباكة؟»

«كلا. إنه يعني... لا أدري، قد تظن ذلك سخيفاً.»

قال: «يجب أن أعرف ما جئت به أولاً. إجلسي وتكلمي.»

قالت وهي تجلس بسرعة: «إنه عن كتابك.» رفع حاجبيه وبدت في عينيه الدهشة، وشيء آخر لم تستطع فهمه تماماً. ثم قطب حاجبيه قائلاً: «تابعي كلامك.»

قالت: «لقد أنهيت قراءة أحد كتبك.»

قال ببطء: «وهذا أيضاً يدهشني.»

قالت بجهد: «نعم، حسناً، لقد استمتعت به، وقد صدمني أنه في هذا الكتاب...» وذكرت له إسم الكتاب الذي قرأته: «وجدت شخصيتك تكافح في ورطة حقيقية.»

قال: «هكذا كان هو.»

قالت بهدوء: «وكذلك أنت.»

«في ما يتعلق بك؟»

«أوه، كلا. إنني لم أقصد هذا. على أية حال، لا أظنك...»

ابتسم وهو يقول بجد: «يمكنني أن أؤكد لك أنني كذلك.»

«ولكنك أنت الذي...» ولم تستطع أن تكمل كلامها.

قال بجفاء: «لقد كان هذا، وهو لا يعني أن مجرد قيامي بوضع حد له، قد أنساني التفكير والأشياء الأخرى.»

«هل تريد القول...؟ إذا كان ذلك صحيحاً، أظن الذنب ذنبي.» قالت ذلك بخشونة وحاولت أن تقول شيئاً آخر ولكنها لم تستطع أن تستجمع أفكارها، وهكذا أقفلت فمها وتحولت نظراتها بعيداً عنه وقد بانت فيهما الهزيمة.

جلس مائلاً إلى الأمام قائلاً: «إنني آسف. إنني لم أقصد أن أجعلك تتأثرين هكذا. هل نعود إلى موضوع كتابي؟»

وضعت يدها على فمها وكأنما تريد أن تصد تلك اللعثمة الغادرة، وقالت بعد لحظة طويلة: «لقد تساءلت إذا كنت تستطيع أن تضع ورطتك بين الأدب الشعبي وبين الأدب الخاص، وذلك ضمن قصة ما... ربما... ربما مشاعر...»

طال الصمت، حتى شعرت بالحرج يكاد يذهب بها، لتحمل نفسها، أخيراً، على النظر إليه لتجده ينظر إليها دون أن يبدو أنه يراها. وخطر لها أن تهرب، وتحركت فعلاً، ولكن نظراته عادت إليها ليقول ببطء: «لماذا، لم أفكر بذلك؟ إذاً أنا جعلت البطل كاتباً يعاني نفس ما أعانيه أنا فيكاد يجن ليس لأجل هذا، بل لأجل ما يحدث له هو...»

قالت بلهجة تحوي شيئاً من الإرتياب: «تلك ستكون عقدة أخلاقية كما كانت في كتابك الآخر...»

قال: «هذا لا يهم. إنني لا أبحث دائماً عن عقد أخلاقية، ولكنني لا أريدها عقداً تتردد نزولاً وصعوداً.»

«إنني أعجب ما إذا...» ولم يكمل كلامه.

سألته جوانيتا أخيراً: «تعجب؟»

«لا شيء. كنت فقط أفكر.»

قالت وهي تقف مبتسمة: «حسناً، سأتركك لأفكارك.»

«جوانيتا...»

وقفت عند الباب ونظرت خلفها لتراه يحدق إليها كما لو كان يفكر في شيء آخر، ولكنه قال في النهاية: «شكراً لك.»

تمتمت: «بكل سرور.» ثم خرجت.

بعد ثلاثة أيام، عندما كان المنزل يموج بالحركة، إذ كان الدهان يجهز معداته، والسجاد تؤخذ قياساتها والبلاط يشتغل في الحمامات، برزت لورا هينيسي راكبة فرساً كبيرة كستنائية اللون.

جفلت جوانيتا وهي تراها من نافذة غرفة الجلوس وأدركت من هي. وكان غاريت يعمل في مكتبه دون وعي غافلاً عن كل ما يدور حوله من ضوضاء. في الحقيقة، شعرت بأنه لن يشعر حتى ولو انهار المنزل بأجمعه حوله. وابتسمت وهي تتذكر جدالهما السابق حول السباك بالرغم من أنه نادراً ما كان يخرج لتناول الطعام.

أخذت هي ووندي تبتكران أنواعاً من المقبلات كانتا تدخلانها إليه في المكتب على صينية.

كانت رياضته الوحيدة هي ركوب الخيل صباحاً ومساءً.

كانت نتيجة كل ذلك هو أن إدارة المنزل سارت بسلام رغم أن المنزل نفسه كانت تعمه الفوضى.

قالت وندي، التي كانت تتحرك الآن دون شعور بالألم وهي تهز رأسها: «الرجال غريبو الطباع. أليس كذلك؟»

أجابت جوانيتا باشمئزاز: «إنهم كذلك دون شك.»

قالت وندي: «أعني لو كنت أخبرتني أنه يمكنه الكتابة أثناء هذه الفوضى بينما هو ينفعل ويحدث ضجة لدى أقل شيء، أحياناً، لما صدقتك.»

قالت جوانيتا: «دعينا نتمنى ان يدوم ذلك.»

قالت لورا وهي تنزل عن الحصان ثم تربطه إلى حاجز الشرفة: «آه، جوانيتا. يبدو أن المنزل يعم بالنشاط.» مشيرة إلى سيارات النقل العديدة التي كانت تقف حول النافورة.

قالت جوانيتا: «نعم. وإنني أحاول الإسراع بإنهاء ذلك قدر الإمكان.»

ابتسمت لورا. كان نهاراً منعشاً كثير الرياح جعل وجنتيها متوردتين، ما جعلها تبدو متألقة بالنشاط والحيوية.

سألت: «هل الكاتب في المنزل؟»

ترددت جوانيتا ثم قالت ببطء: «إنه يكتب.»

عم صمت مفاجيء برهة ضاقت أثناءها عينا لورا وهي تنظر إلى جوانيتا ثم تمتمت: «لماذا يساورني شعور بأنك لا ترحبين بي؟ واسمحي لي أن أقول، هل أنت هنا التي تصمم على من يمكنه رؤيته أم لا يمكنه ذلك؟»

أجابت جوانيتا: «كلا. أبداً.» وتمنت فجأة لو لم تذهب وندي إلى المدينة لتتركها في مثل هذا الموقف. وتابعت «إنني...» ولكن لورا لم تدعها تكمل كلامها بل قالت: «لقد خطر في ذهني المرة الماضية أن ثمة تفاهماً معيناً بينك وبين غاريت. إنني لا ألومك إذ أن الرجل هذا يملك جاذبية هائلة. أليس كذلك؟ ولكن، هل وصل بكما الأمر إلى حد يمكنك احتكاره لنفسك؟»

قالت جوانيتا وقد توردت وجنتاها: «كلا.»

قالت لورا: «هذا حسن. إنك لن تمانعي إذن، فيما لو حاولت أنا ذلك؟»

استطاعت جوانيتا، في الحقيقة، أن تبتسم رغم شعورها بتوتر عضلات وجهها. وقالت: «كلا. إنه في مكتبه. هل تريدينني أن أدلك على الطريق؟»

«لا أريدك أن تلقي علي بالضيوف غير المدعوين مرة أخرى، يا جوانيتا.»

قال غاريت لها ذلك ببرود بعد ساعات. ونظرت هي إليه عبر مائدة المطبخ. كانا قد أنهيا تناول طعام العشاء وقد أخذت وندي التوأمين إلى حفلة مدرسية.

أجابت ببرودة: «أولاً، أظنك تكدح في العمل دون وعي. ثانياً، إنني لست مدبرة منزلك، كما أنني كنت بحاجة إلى جيش كامل لكي يمنعها من الدخول عليك.»

قال وما زالت ملامحه متجهمة: «كان يمكنك أن تخبريها بأنني غير موجود.»

قالت بخشونة: «إنك حقاً رجل صعب. أليس كذلك؟ لماذا علي أن أكذب لأجلك؟»

قال: «إنك تعرفين شعوري نحو هذه المرأة اللعينة. لقد سبق وعلمت ما الذي أنا بسبيل عمله وأعجبك ذلك. فباسم الإنسانية فقط، إن لم يكن لشيء سواها، هل تشكل كذبة صغيرة بيضاء، مثل هذا العبء عليك؟»

«نعم، إنها كذلك، حيث أنني عرضت نفسي للإتهام ب... إن هذا شيء سخيف.»

وقفت وابتدأت ترفع الأطباق عن المائدة.

قال ببطء: «الإتهام بماذا؟»

توهج وجهها، وخبطت الصينية التي تحملها على حافة الطاولة الجانبية فتمايلت الكؤوس عليها، وقالت: «لا شيء.»

قال: «في الواقع، لقد أخبرتني هي بالذي اتهمتك به.»

تجمدت جوانيتا في مكانها، ثم استدارت تنظر إليه بارتياب قائلة: «وماذا الذي أخبرتك به؟»

ابتسم متكاسلاً، ولكن عينيه بقيتا باردتين وهو يقول: «قالت إن عندك مشكلة يا عزيزي غاريت وهي أن مصممة الديكور في منزلك واقعة في غرامك.»

استطاعت جوانيتا أن تقول بهدوء ووضوح: «هل قالت ذلك، الآن؟ حسناً، لقد كان ذلك حقاً، ذات يوم، ولكن، يا عزيزي غاريت، لقد عادت مصممة الديكور في منزلك إلى وعيها. كان معك حق إذ ليس ثمة من يمكنه تحمل اطباعك. وأتساءل عما إذا كان علي أن أنبه لورا إلى ذلك عنك قبل أن تبدأ بجد في احتكارك لنفسها، وهذا ما قالته لي حرفياً.»

تمتم قائلاً: «إذن فقد كنت أنت على حق حين سبق وكشفت لي ظنونك هذه.»

«طبعاً أنا على حق. إن الأعمى الوحيد هنا هو أنت.»

«هذا لا يعني أنني أبادلها مشاعرها هذه بأي شكل.»

قالت جوانيتا: «ومع ذلك أمضيت معها ساعتين. إنك تنكر ذلك لمجرد الإنكار. ثم من ذا الذي يمكنه القول إنها لا تلائم كل متطلباتك؟ إنني أتصور أن عملها هو أهم شيء في حياتها، وأن آخر شيء تريده، هو أن تترك عملها لتغوص في أعمال البيت ومستشفى الولادة. يمكنكما انتما الاثنان،

بكل سهولة أن تصلا إلى نوع من الإتفاق الذي يناسب أنانيتكما.»

«لو كنت مكانك لترددت كثيراً قبل أن أتفوه بمثل هذا الكلام القذر يا جوانيتا.»

هنا، تناولت وعاء صلصة الخردل وقذفته به ولكن الوعاء أخطأه لتتناثر الصلصة على المائدة.

أخذ ينظر إلى ما حدث، ثم دفع شعره إلى الخلف ببطء وتقدم نحوها.

صرخت فيه وقد انتبهت فجأة إلى قامته الفارعة وقوته البادية: «إياك أن تتجرأ على المساس بي. من أعطاك الحق في أن تعظني؟ أتظن أنك يمكن أن تعاملني كأجيرة... إنك... إنك تطلب مني أن لا أقع في غرامك بينما لا تفتأ تثير هذا الموضوع على الدوام. هل كان من الضروري أن تخبرني عما قالته لورا؟ يجب أن أخبرك دون أي تردد أنك لا تختلف أبداً عن أولئك الرجال الذين... غاريت؟» ولفظت إسمه بحيرة الآن بصوت مختلف تماماً.

إنه لم يحاول أن يلمسها، ولكن، كانت في عينيه نظرة غريبة وهما تنظران إلى وجهها المتوهج وكأنما لم يكن لكل ما قالته أو فعلته أي تأثير كبير عليه، وفجأة، شعرت بخوف من نظرته تلك.

قالت متلعثمة: «ما... ماذا ستفعل؟»

قال: «وما الذي تريدينني أن أفعله؟»

قالت وهي تعض شفتها: «لا... لا شيء.»

ابتسم بذهن شارد، وأخيراً، مد يده يلامس وجهها، قائلاً: «إذن، فأنت تعتقدين الآن أنني وغد، نذل وسيىء الخلق؟

ربما أنا كذلك، ولكن أحب أن أخبرك بأن هناك حدوداً لما يمكن أن يتحمله أكثر الرجال. والطريقة التي دخلت فيها إلى حياتي، حتى أن لك من قوة الأعصاب بحيث ترمينني بالأشياء في حين أنني رجل صعب، إنما هي محاولة منك لجرّي لهذه الحدود. لهذا، ربما كان الأفضل لك أن تتمالكي نفسك، يا جوانيتا. لأنني إذا أنت جعلتني أتجاوز الحدود، كما أنا في سبيله الآن، فسيكون عليك أن تتحكمي في تصرفاتنا نحن الاثنين، أليس كذلك؟»

أغمضت عينيها وهي تهمس: «لقد أخبرتني مرة أنك غير لطيف. والآن أنا أصدقك.»

قال بهدوء تام: «وأخبرتك أيضاً أن هذا الأمر لن يكون سهلاً. وربما أمكنك الآن أن تدركي لماذا هو كذلك.»

انفجرت قائلة بعد أن شعرت بالدموع تنهمر على وجنتيها: «وإذا كنت أنت تظن أن هذا الأمر هو غير سهل بالنسبة إلي، فلماذا أنت متأكد من عدم استطاعتك التغيير؟ لماذا ما دامت الأمور بيننا بهذا الشكل، لا تستطيع أن تتمسك ببعض الأمل؟ لا يمكن أن أعني لك شيئاً كبيراً إذا كنت لا أستطيع على الأقل، أن أمنحك بعض الأمل.»

أمسك ذقنها بيده وأخذ يمسح دموعها بإبهامه وهو يقول: «على العكس، ويمكنك أن تصدقي أو لا تصدقي، فإن أمثال لورا هينيسي لا يعنين شيئاً بالنسبة إليّ. وأنا متأكد أننا يمكن أن نصل إلى اتفاق طيب، لو أنا شئت، مما لا يدع لأي منا أن يشعر بأي ألم أو ضرر فيما لو حان الوقت لكي يتحول كل منا إلى وجهة أخرى أو شخص آخر، لكنك أنت لست كذلك، والنمر لا يمكنه تغيير جلده الأرقط، انني أتمنى لو أستطيع ذلك.»

ازدردت جوانيتا ريقها وهي تقول: «وماذا لو أخبرتك أنا أنه ليس بإمكاني أن أقيدك أبداً، وإنني لن أستطيع أن أعيد من جديد ما حدث لك في زواجك؟»

قطب جبينه وهو يقول: «ما الذي تقصدينه؟»

أخبرته وهي تتلعثم، عما أخبروها به في المستشفى عن عدم إمكانها الإنجاب مستقبلاً، وذلك عقب الحادث.

قال غير مصدق وقد لاح ألم مفاجيء في عينيه: «كلا.»

حدق كل منهما في الآخر، وفجأة، أصبحت بين ذراعيه وهو يمر بيده على شعرها ويذكر اسمها مرة بعد مرة بينما كانت هي تبكي على كتفه.

«إنني بخير الآن.» قالت ذلك وهي ترتجف، بعد مضي بعض الوقت.

كان قد حملها ونقلها إلى غرفة مكتبه، حيث أغلق الباب وجلس على الأريكة واضعاً إياها إلى جانبه. وأخذ يهدهدها كما لو كانت طفلة صغيرة إلى أن مرت العاصفة وهدأت المشاعر.

لم يقل هو شيئاً ولكنه بقي يلاطف شعرها.

قالت بصوت مبحوح وهي تعبث دون وعي منها بزر قميصه: «ما كان ينبغي لي أن أخبرك. أظن...»

توقفت عن الكلام لتفكر لحظة، ثم قالت تعترف ببعض ما يعتمل في نفسها: «إنني لم أستطع أن أمنع نفسي من الرجاء في أن يكون ثمة علاقة بيننا في المستقبل، ولهذا أخبرتك. ولكنني الآن لن أعرف قط، إذا حدث ذلك، كم ستكون نسبة الشفقة فيه من جانبك.»

قال بجفاء: «وكان هذا هو سبب استيائك عندما

اتهمتك بالعقم العقلي أو بكلمات تحمل نفس التأثير.»

«نعم. ولكنك لم تكن تعلم بالأمر.»

«كان يجب أن أرمى بالرصاص مهما كان.»

«أوه، كلا.»

قال: «هل... هل تتألمين لذلك على الدوام، يا جوانيتا؟»

«إذا كنت تعني أنني أشعر باليأس والألم كلما رأيت طفلاً، فجوابي هو كلا. رغم أن ذلك قد يحدث أحياناً. ولكنني لا أظنني وصلت لتلك المرحلة. أعني، حتى ولو كنت طبيعية، أظنني من ذلك النوع من النساء الذين ينضج عندهن حنان الأمومة متأخراً عن غيرهن. ولكنني ما زلت أشعر بالحزن كلما رأيت ستيفن وريبيكا.»

قال: «هذا لا يعني أنك غير طبيعية.»

قالت: «كلا. ليس تماماً.»

قال: «أتمنى لو أستطيع جعلك تصدقين ذلك.»

«في استطاعتك ذلك. إنني لم أقصد أن...»

سألها وهو يديرها بخفة بيديه من خصرها حتى صارت في مواجهته: «ما الذي قصدته؟ أخبريني يا جوانيتا.»

وحاولت أن تغير من الحقيقة، ولكنها عندما رفعت أهدابها ونظرت في عينيه، علمت أنها، مهما كلفها الأمر، فلا يمكنها إلا أن تكون صادقة مع غاريت ووكر.

أجابت: «غالباً ما كنت أفكر فيما إذا كنت أستطيع أن أدخل شيئاً من البهجة يوماً ما، إلى نفس رجل. أعني عقلياً وجسدياً، إذ أن الواحد دون الآخر، ولو لمدة بسيطة، هو شبه إنسان، وهذه البهجة قد تعوض عن عدم استطاعتي انجاب الأطفال. لقد فكرت في أنه لو كان في استطاعتي

ذلك، فإنني عند ذاك أشعر بأنني طبيعية. ولكن، ربما كنت مخطئة في ذلك، إذ ربما يصبح شعوري، عند ذاك، أسوأ. من يدري؟ وأظن أنك الرجل الوحيد الذي شعرت نحوه... حسناً، ربما كنت تعلم ماذا أعني. هذا إلى أنك لا تريد مني أطفالاً على كل حال. ويبدو... انني لا أصدق أنني أقول ذلك.» همست بذلك وهي تشعر بالحرارة تصعد إلى وجهها مرة أخرى.

كانت عيناه أكثر كآبة مما رأتهما من قبل وهو يقول: «ليست المسألة أنني لا أريد منك أطفالاً...»

قالت: «أي أطفال إذن. يجب أن تعرف ماذا أقصد.»

قال بعد فترة طويلة: «نعم، إنني أعرف.»

مرر أصابعه ببطء خلال شعرها، يحله من كل رباط أو مشابك ثم تابع قوله: «في الحقيقة، ثمة أشياء كثيرة فيك تدخل البهجة إلى نفسي دون قصد منك. أولاً، شعرك. إنني دوماً تواق إلى أن أحله من مشابكه. ودوماً أفكر في منظره عندما وضعت فيه تلك الزهرة. ثم، هنالك فمك...» وحنى رأسه يحاول تقبيلها.

أبعدت رأسها عنه وهي تهتف: «إنني لم أقصد ذلك يا غاريت... كنت فقط أحاول أن أكون صادقة معك.»

قال وهو يقبل جبينها: «أعلم ذلك. وأنا أيضاً أحاول أن أكون صادقاً معك فلا تخافي.»

الفصل التاسع

استفاقت جوانيتا من النوم قبل دقائق من فتح باب غرفة نومها، أدركت والدوار يكتنفها، أن الوقت لا بد أن يكون متأخراً، وذلك لعدة أسباب. منها أن زقزقة الطيور المبكرة لم تكن مسموعة، وأن الغرفة كان يغمرها النور رغم الستائر المسدلة، ثم أنها كانت تسمع شخصاً يدق شيئاً. ثم صدمت لأشياء تنبهت إليها مثل أنها كانت في سريرها مرتدية قميص نومها مع أنها لا تذكر انها جاءت إلى هنا. ثم جلست فجأة وهي تضع يديها على خديها وقلبها يخفق بشدة.

كان ذلك عندما فتح الباب ودخل غاريت حاملاً صينية. وتمتم: «أه، كان توقيتي حسناً. صباح الخير.» ووضع الصينية إلى جانب السرير.

أجابت متلعثمة: «ص... صباح الخير.» ثم اتسعت عيناها باللهفة وهي تشهق قائلة: «لا يمكنك أن تفعل ذلك. هذا سيىء جداً. كيف وصلت أنا إلى هنا؟ ولكن...»

أخذ يديها بيديه وهو يبتسم قائلاً: «لقد وضعتك هنا بعد أن سقطت نائمة، ظننت أن هذا ما تفضلينه. كذلك أخبرت وندي بأنك متوعكة الصحة وطلبت منها ألا تزعجك.»

«أوه، كل شيء سواء...» وتوقفت لتتمالك نفسها ولكنها ما لبثت أن ساورها الشك في استطاعتها ذلك.

قال يغيظها: «كل شيء سواء.»

«إنني... غاريت... الأطفال، ووندي... لا نستطيع...»

قال: «إهدإي. إنهم ليسوا هنا.»

قالت: «ليسوا هنا؟»

قال: «لقد أرسلتهم إلى سيدني إلى صديقة والدتهم. بدلاً من العطلة الأسبوعية المعتادة. لقد أخبرتهم أن الفوضى التي تشمل المنزل تستلزم أقل ما يمكن من الأشخاص فيه، وربما كان هذا صحيحاً، وطمأنت وندي إلى أن خسارة ريبيكا وستيفن لأسبوع دراسة، بينما هما في السابعة فقط من العمر، لن يؤثر على مستقبلهما، وهذا أيضاً صحيح، وأنا متأكد من ذلك. وقد أشرت إلى أن أمهم لا بد أنها في غاية الشوق اليهم. لم أكن بحاجة إلى أن أبذل جهداً كبيراً في اقناعهم خاصة... كما قال ستيفن إنه، بوجودك هنا لرعايتي، لن يبقى لديهم ما يقلقهم.»

ارتاحت ملامح جوانيتا بعض الشيء وهي تسأله عن الوقت.

لوى شفتيه قائلاً: «حوالي العاشرة. على كل حال سيرعى الواحد منا الآخر. لقد أحضرت إليك طعام الافطار بالرغم من العمال الذين يمتلىء بهم المكان ويصطدم الواحد منهم بالآخر.»

ضحكت، فنظر إليها عاتباً وهي يقول: «هل يسليك هذا؟»

قالت: «نعم، ولا أدري لماذا.»

«إن الضحك يزيدك جمالاً.» وجلس إلى جانبها آخذاً وجهها بين يديه.

قالت بعد لحظة: «فلندع التفكير في ذلك. هل سأكون في خدمتك بالنسبة إلى العشاء الليلة يا سيد ووكر؟ عندما يخلو

المنزل من كل هؤلاء العمال ويتركوننا وحدنا في المنزل بسلام؟»

لم تكن عيناه قط من قبل في مثل هذا اللمعان والغموض وهو ينظر إليها. ولكنه قال ببساطة: «سيعجبني ذلك. شكراً يا آنسة سبنسر هيل.»

كانت الساعة السادسة، عندما غادر آخر عامل المنزل. وجلست جوانيتا إلى مائدة المطبخ تتنفس براحة، كانت ترتدي سروال جينز قديماً وشالاً أبيض على رأسها، وكان الدهان يغطي يديها ويلطخ قميصها. وكانت قد رأت غاريت مرة واحدة أثناء النهار عندما أحضر إليها ساندويتش وكوب شاي ملحاً عليها أن تأكله معه في المكتب، الذي كان يشكل الواحة الوحيدة الهادئة في ذلك المكان.

جاءها صوت من خلفها: «بماذا تفكرين؟» واستدارت لترى غاريت واقفاً خلفها مباشرة وعلى فمه ابتسامة أثارت غيظها.

لوت شفتيها ووقفت قائلة بحسرة: «إنني لم أبدأ بتحضير العشاء بعد.» ولكنه تجاهل كلامها وهو يأخذها بين ذراعيه ويقول: «إنني في انتظار هذه اللحظة طوال النهار. تعلمين انني عندما استخدمت مصممة للديكور في منزلي لم أتوقع منها أن تدخل وتزاول العمل بنفسها.» ولمس أنفها بإصبعه. فأمالت ناظريها إلى أنفها سائلة: «هل عليه دهان؟»

«نعم.»

«لم أكن أدهن في الحقيقة...»

قال وهو يقبل طرف أنفها: «كنت تستغفلينني إذن.»

«في الواقع كنت أمزج الدهان لأحصل على اللون المناسب.»

«وهل حصلت عليه؟»

قالت: «نعم.»

«وماذا كنت تفعلين حين كنت تحكين بورق الزجاج؟»

قالت: «كنت أساعد النجار.»

نظر إليها باسماً وهو يقول: «إنك تبدين سعيدة.»

شعرت بنفسها تذوب، وتساءلت إن كانت سعادتها هذه اللحظة تفوق سعادتها حين تكون بين ذراعيه.

قال لها: «إن عندي فكرة وهي بدلاً من أن نقف هنا، لِمَ لا نسبح قليلاً ثم نجلس لتناول كأساً من العصير؟»

قالت: «هذا رائع. ولكن علينا أن نفكر في العشاء.»

قال: «أيجب علينا ذلك؟»

قالت: «طبعاً.»

قال: «أمامنا الليل بطوله.»

قالت: «يجب أن يتناول المرء وجبات منتظمة.»

قال: «وماذا عن غذاء الروح؟»

لمست وجنته بيدها وقالت: «إذا كنت تعني ما أظنك تعنيه...؟» فأومأ برأسه وتابعت هي: «حسناً، هذا مهم أيضاً بالطبع.»

قال: «بالطبع. لسوء الحظ، عليّ أن أخبرك أن نفسي بحاجة أكثر إلى الغذاء، من معدتي.»

سألته ببراءة: «نفسك؟ هذا شيء غير عادي.»

قال: «إن كل شيء مرتبط ببعضه.»

كان هو الذي جهز العشاء بعد ذلك، فقد أجلسها على

مقعد في المطبخ، بينما هي ملتفة بمعطف الإستحمام، وطلب منها أن تستريح.

لقد كان الطعام مؤلفاً من البيض مع اللحم المقلي والطماطم والخبز. لقد كانت وجبة كبيرة أنهياها بإبريق كبير من القهوة.

سألها وهو يضع ذراعه حول كتفيها: «هل أنت متعبة؟»

لوت شفتيها دون أن تعرف أن ثمة هالتين حول عينيها، بينما كان وجهها شاحباً.

قال: «لقد قمت بجهد كبير اليوم.»

ابتسمت وهي تريح رأسها على كتفه. وعبس هو بدوره وقال: «أليس ثمة ندم لإجهادك نفسك هكذا في تلك الأعمال؟»

قالت: «كلا.» وجلسا صامتين برهة إلى أن قالت: «إنك لم تخبرني.» فقبل شعرها المرسل وهو يجيب: «ماذا؟»

قالت: «ما إذا كان حبنا هذا سيبقى دوماً هكذا.»

قال: «علينا أن ننتظر ونرى.» وتابع مستطرداً: «أتعرفين؟ غداً هو السبت. هل من الممكن أن يكون هذا المكان فردوساً للأمان والهدوء؟»

قالت وهي ما زالت تفكر في ما قاله قبل هذا: «هذا ممكن، فإن ليس ثمة أحد قادم إلينا.»

قال: «هذا رائع. سنقضي اليومين التاليين كيفما تحملنا أحلامنا.»

قالت: «وماذا بالنسبة إلى كتابك؟»

«إن كتابي يقدم لك شكره... إنه في تقدم إلى الأحسن. وابتعادي يومين عنه سيعزز من شأنه.»

قالت بنعومة وهي تتثائب: «إنني مسرورة لذلك.»

قال: «هيا إلى سريرك.»

قالت: «لا بأس، حسناً تصبح على خيراً.»

«تصبحين على خير يا حبيبتي.»

وفي السرير، سرعان ما استغرقت في النوم بعد خمس دقائق فقط.

كانت العطلة الأسبوعية رائعة بالنسبة إليهما مع أنهما لم يعملا شيئاً على الإطلاق. لقد تحدثا في كل الأمور. وسبحا عندما كانت الشمس مشرقة. واستمعا إلى الموسيقى وهما يجهزان الطعام.

قالت وهما أمام المدفأة حيث كان الجو بارداً ممطراً وكان هو يتفحص رسائله: «من المؤسف أن كل شيء سينتهي أليس اليوم هو مساء الأحد.»

قال عابساً: «ما هو الذي سينتهي؟»

قالت: «فردوس الأمان والهدوء.»

«آه، تعنين ذاك؟ حسناً، ظننتك تتحدثين عن شيء آخر.»

قالت مترددة: «أظننا يجب أن نتحدث عن ذلك الشيء كذلك.»

قال واضعاً يده على يدها وينظر اليها مباشرة: «عندي فكرة أحسن. يجب أن نعترف أن هذه الأمور التي بيننا لها نهاية لن يستطيع إنكارها أحد منا. وبما أن هذه هي المسألة، فإن مجادلتنا الماضية مازالت موجودة الآن.»

قالت: «إنني لست متأكدة مما تقصد من قولك هذا.»

«أقصد أن عالماً جديداً بأكمله قد فتح أمامنا الآن. دعينا إذن نطيل من أمده، يا جوانيتا، قبل أن نصمم على أي شيء.»

سكتت متسائلة عما إذا كان يعني بذلك التصميم على أن يجعلها حبيبته، وارتجفت رغماً عنها.

قال: «ما بك؟»

قالت: «لا... لا شيء. حسناً. معك حق. إنني متأكدة من ذلك. إن الكلمة الواحدة تأخذ منك وقتاً طويلاً لكي تقولها.»

قال وهو يستقيم في جلسته وألقى برسائله جانباً: «لقد غيرت رأيي. لقد أردت أن أغيظك. في نفسي دافع يدفعني إلى أن...»

حدقت جوانيتا في عينيه واستطاعت أن تدرك معنى نظرته تلك. فدفعت شعرها إلى الخلف وأسندت رأسها على صدره.

استيقظت جوانيتا في صباح اليوم التالي وشعور بالوحدة والخوف يتملكانها. وأدركت أن هذا هو إنذار لها بما يمكن أن تكون حياتها عليه من دون غاريت ووكر. وفكرت في أنها، إذا هي لم تزن الأمور، فستقع في الهاوية.

في الأيام التالية، لم تقم بأي عمل، ولكنها كانت تلاحق العمال بالارشادات، وهذا يعني أنهما لم يتقابلا إلا لماما. فقد كان هو في مكتبه يواصل الكتابة ولكن من دون ما كان يساوره سابقاً من اضطراب. وكانت هي تشرف على تغيير الأشياء في منزله ولكنهما كانا يأكلان معاً ويسهران معاً كل يوم.

لقد عرفت ما يفضله من طعام. وأخبرها هو عن إخوته وأخواته. وحدثها عما يحدث، عادة، بين الناشرين والمؤلفين. ووجدت نفسها تحدثه عن حياتها أكثر فأكثر. واكتشفت أن خصوصياتها والتي أصبحت أكثر

أهمية بالنسبة إليها، بعد حادث الإصطدام، هذه الخصوصيات لم يطرأ عليها أي ضرر وهي تخبره بها.

لقد كان يسره ان يسرح شعرها ويراقب ملابسها. وكان يساعدها على التمارين التي تفيد وركها المصاب.

كانت تعتريها أحياناً مخاوفها تلك وذلك الإنذار بالوحدة والخوف من دونه وكيف ستكون حياتها عند ذلك. أحياناً أخرى كان القلق والمشاعر تلك تتملكانها وكانت تحاول إخفاءها عنه، كما حدث ذات صباح وكانت تحمل له صينية الإفطار التي وضعتها على منضدة بجانب سريره وجلست على السرير وقد ارتدت كامل ثيابها. وقالت له: «إنك أسلس طباعاً في الصباح منك في بقية النهار.»

قال: «أحقاً؟»

قالت: «بالتأكيد. لا تخبرني بانك لم تلحظ ذلك.»

قال وعيناه الزرقاوان تتأملانها: «لقد لاحظت بعض الأشياء.»

رفعت حاجبيها قائلة: «مثل ماذا؟»

قال: «إن الصباح الباكر هو أنسب الأوقات للحب.»

سحبت يدها من خلف رأسه وابتدأت تسوي من ثيابها وهي تقول: «هذا في أيام العطلة فقط.»

قال: «لا تصدقي هذا.»

قالت: «غاريت... إنني مشغولة جداً اليوم.»

قال: «أنا كذلك.» وجذبها إليه يأخذها بين ذراعيه قائلاً: «إن رأيي فيك كان صائباً. إنك واحدة من أولئك الناس الذين يتألقون في الصباح حيوية ونشاطاً. حسناً، إبقي دوماً كذلك.» وأبعدها عنه ليسوي من ملابسها وشعرها.

أخذت تتمتم شيئاً غير مفهوم. ثم شعرت بأنها لا تريد أن تخرج من غرفته.

سألها: «وماذا الآن؟»

تنهدت قائلة: «لقد ساورني شعور الآن بأنك أفسدت نهاري.»

رفع شعره عن جبينه ونظر إليها لاوياً شفتيه وهو يقول: «هذا ينطبق علينا نحن الإثنين. ولكنني أحاول أن أتغلب على ذلك وأستعيد قوتي، وليس فقط قوتنا نحن الإثنين. ربما يجب عليّ أن أقوّم من أخلاقي لكي أستطيع متابعة ذلك.»

سكتت وقد انتقلت تعابير وجهها من الحسرة إلى المرح وهي تقول: «أظن أنك كنت تريدني على الدوام... أوه، كلا.» قالت هذا وهي تقفز بعيداً بعد أن حاول أن يمسك بها، وهي تقول: «إنني هنا لأجل تقويم الأخلاق. إلى اللقاء وسأراك عند المساء.» وهربت من الغرفة وهي تنفجر ضاحكة، ولكن بعد لحظة واحدة، اكتشفت أن ضحكها ذاك قد استحال إلى دموع.

قال لها عند المساء: «سيعود الأولاد غداً.»

قالت: «نعم.»

كانا يتناولان الطعام في المطبخ، معكرونة وسلطة، وكانت عطلة الأسبوع الطويلة قد مضت مخلفة في نفس جوانيتا ذكريات ستبقى معها طيلة حياتها، وكذلك مع ازدياد شعورها بالخوف.

تنفست فجأة بصوت مسموع وهي تقول: «ماذا سنعمل يا غاريت؟ لا يمكنني أن أستمر هكذا [illegible] آسفة. ولكن، كلما

طال الأمر بنا، يصبح من الصعب أن... لقد كان الحق معك في هذا الشأن. وأنا لا أستطيع تصور نفسي ك... حسناً، كحبيبة. ربما إذا لم يكن ثمة أطفال... حتى لو كان هذا، لقد ظننت أنه يمكنني ذلك حيث أننا قد تكلمنا عن الأمل. ولكنني أعلم الآن أنني لا أستطيع.»

قال بهدوء شديد: «الآن فقط؟»

قالت وهي ترفع إلى فمها المعكرونة: «كلا.»

طرفت بأهدابها ثم مسحت أنفها بظهر يدها وهي تتابع: «لقد حاولت أن أخفي هذا، ولكنه يزداد. أظن من الأفضل لو أنني... لو أبتعد عن كل هذا بشيء من... الثقة أو أي شيء بدلاً من البقاء والشعور بالمرارة، ولكن، لا تظن أنني ألومك. لقد كنت أعرف هذه النهاية.»

قال: «تريدين أن تبتعدي لتذهبي إلى رجل آخر؟»

جفلت، ثم أغمضت عينيها.

قال: «جوانيتا؟»

همست: «لا تقل شيئاً.»

قال: «ولكنني مهتم بالموضوع.»

قالت بخشونة: «كلا، ولكنك قاسٍ فقط.»

قال: «كلا في الحقيقة. إن عندي خطة أخرى. وهي تتوقف على ما لو كان في استطاعتك تصور نفسك بين ذراعي رجل آخر لتتبادلا نفس الحب الذي نتبادله أنا وأنت.»

ارتفعت أهدابها ولم تستطع إخفاء الألم الذي بدا في عينيها وهي تقول: «لماذا؟ أية خطة؟ لقد أخبرتك ما الذي سيحدث لي ولكنك تعرف ذلك على كل حال. إنها شخصيتي

التي تعودت عليها. وهي تعود إلى والدي وغير ذلك. ولكنها تعود إلي أنا أكثر من كل إنسان. ذلك أنه سيكون في حياتي دوماً نقص ما، وهكذا، إذا أنا لم أستطع أن أجد علاقة عاطفية كاملة، وربما لن أجد أبداً، وكان عليّ أن أستبدل ذلك بشيء أقل فسيكون هذا مستحيلاً بالنسبة إلى...» كانت الدموع الآن تملأ عينيها ولكنها لم تحاول إخفاءها.

قال: «جوانيتا...» كانت عيناه جادتين تماماً: «إن الذي أريد أن اعرفه الآن، إذا كنت تعتقدين أنك تحبينني حقاً، ويمكنك أن تتحمليني بقية حياتنا، فأظن أننا يجب أن نتزوج.»

فتحت فمها، وبقي مفتوحاً حتى انفجرت فجأة كالمحمومة: «كلا. ك... كلا. إنني... لا... لا أستطيع... إنني... إنني...»

لكن اللعثمة لم تدعها تكمل حديثها، عند ذاك، حدث لها شيء غريب حقاً. لقد بدا وكأن الدم قد هرب من رأسها لترى كل شيء أمامها قد أصبح أسود اللون.

«غاريت...؟»

كان منحنياً فوقها وقد أسودت عيناه لشدة القلق، وكانت هي تجلس مستندة على أريكته.

سألته: «ماذا حدث؟»

جلس إلى جانبها وأخذ يدلك يديها قائلاً: «لقد أغمى عليك مباشرة بعد أن اقترحت عليك الزواج.»

قطبت حاجبيها وسألته: «ولكن، لماذا؟»

نظر إليها متمعناً وهو يلحظ عودة اللون إلى وجنتيها ثم قال: «أحب أن تخبريني أنت السبب. أظنه جاء نتيجة لصدمة...» وهز كتفيه.

قالت جوانيتا: «هذا صحيح.» وعاد الإضطراب إليها من جديد.

قال لها آمراً: «كلا. أسكتي الآن.» ثم تناول كأساً فيه شراب منعش وقربه إلى شفتيها قائلاً: «إشربي هذا.» وانتظر إلى أن أخذت جرعة منه، ثم عاد يقول: «لقد أخبرتني مرة أن ليس من طبعك الإغماء. ولكن، هل ثمة سبب آخر لهذا؟ أقصد سبباً صحيحاً؟»

قالت: «كلا. فصحتي ممتازة.»

قال: «لقد قمت بعمل مجهد هذا الأسبوع. كإلصاق ورق الجدران مثلاً.»

همست: «هذه هي طبيعتي، وقد خلقت معي.»

قال بصوت جاف: «كان يجب أن تتذكري ما سبق وقلت عن أن هذا كله أشبه بالمقامرة أو كلاماً يشبه هذا، يا جوانيتا؟»

بللت شفتيها وقالت: «نـ... نعم.»

قال: «ولكنني لم أعرف إذا كنت توافقين على الزواج أم لا؟»

قالت باحتراس: «أظن أنه يجب أن يكون هذا إيجابياً في بعض النواحي.»

قال: «إذن، دعيني أخبرك عن ناحية واحدة إيجابية. وهي أنني لا يمكن أن أتصور هذا البيت وحياتي فيه الآن، من دونك، وهكذا...»

سكت وقد أصبحت نظراته مسيطرة إلى حد لم تعد تستطيع معه تحويل نظراتها عنها. وتابع: «لقد تغيرت الأمور بالنسبة إلي. هذا لا يعني أنني سأكون زوجاً مثالياً

لأية امرأة، كما أنني لا أغفل إمكانية قبولك أو تفضيلك تركي باختيارك محاولة العثور على رجل هو... ولكن، إذا لم يكن هذا فهل تتزوجينني يا جوانيتا؟»

فتحت فمها عدة مرات، ثم جاء صوتها أخيراً أجوف خشناً: «ربما كان شعورك نحوي هو الشفقة فقط.»

قال: «وهل رأيت مني يوماً أية شفقة أو أسف لأجلك؟ وهل خلا كلامي معك من السخرية غالباً؟ ولن أذكر هنا عندما كنت أتصرف نحوك بغلظة وشكل لا يطاق. هل كانت معاملتي لك مختلفة عن معاملتي لأي شخص آخر؟»

قالت ببطء: «كلا... ولكن الأمر لم يمض عليه أسابيع.»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال: «ما حدث لنا قد حدث في مدة ساعات، ولكن الأيام لم تفعل سوى أن جعلت ذلك الشعور أقوى فأقوى.»

هذه المرة مدت يدها وأخذت كأس الشراب منه لتجرعه مرة واحدة. ثم قالت: «ألا تظن أنك، ما دمت ترى نفسك قد تغيرت إلى حد صرت معه تريد الزواج مرة أخرى، قد يخيب أملك إذا لم يكن ثمة أولاد في حياتك؟ إنك تحب الأولاد كما رأيت.» وبانت التعاسة على وجهها وهي تقول هذا.

قال ببطء: «أظن أن خيبة الأمل الوحيدة التي ستصيبنا هي من ناحيتك. ذلك لأنني لم أتغير بما فيه الكفاية لكي أسعى إلى الحياة الزوجية لذاتها، وإنما فقط لأنني أريدك أنت.»

احمر وجهها وارتجفت وهي تنظر في عينيه. وهمست: «ربما هذا سيتغير.»

قال: «ربما.» ولما رأى خيبة الأمل المفاجئة التي بدت

في عينيها، تابع يقول: «أقصد ربما وصلت إلى حالة أستطيع فيها ضبط نفسي بشكل أفضل. لكن الذي لا أرى أنه سيتغير هو الإحساس بالأمن الذي جلبته إلي.»

اتسعت عيناها وهي تسأل: «هل فعلت أنا ذلك؟»

قال: «ظننت أنك لا بد لاحظت ذلك؟»

لوت يديها قائلة: «حسناً، أوه... لا أدري ماذا أفعل أو أقول.»

قال: «إنك لم تخبريني عما إذا كان في إمكانك أن تتصوري نفسك مع أي رجل آخر.»

هتفت قبل أن تستطيع إمساك نفسها: «كلا...» وكان في صوتها من الألم ما لا يخطئه السمع. ليبتسم، أخيراً وهو ينظر في عينيها: «حسناً، إذن، فقد استقر الأمر بنا الآن.»

الفصل العاشر

سافرت جوانيتا إلى سيدني بعد يومين وهي لا تكاد تميز رأسها من قدميها بينما كان في إصبع يدها اليسرى خاتماً من الفيروز قديم الطراز رائع الجمال.

كان خاتم والدة غاريت. وعندما لم تستطع إمساك نفسها عن سؤاله عما إذا كان هو نفسه خاتم زوجته الأولى، أخبرها بأن والدته كانت ما تزال حية عند زواجه الأول.

ثم أخذها إلى مكتبه حيث فتح درجاً مقفلاً وأراها صوراً لمنزل زوجته الأولى وصور طفله. كان طفلاً ساحراً يشبه والده وقد مات قبل عيد ميلاده الأول مباشرة.

سألته بارتباك: «ولماذا تخفي الصور بعيداً؟ هل ما زالت الذكرى تؤلمك؟»

قال: ««كلا. على عكس ما يعتقد المرء، فإن الزمن هو الشافي الأكبر. لقد... كانت فترة في حياتي لست فخوراً بها كثيراً. وربما كان هذا هو السبب. ولكنني أزور ضريحيهما.»

قالت وهي تنظر في صورة زوجته ليندا وقد اغرورقت عيناها بالدمع: «لا تتوقف عن ذلك لأجلي.» وقالت أخيراً: «لقد كانت رائعة الجمال.»

كل الذي قاله هو: «نعم.» ولكن عندما أعاد كل الصور إلى مكانها، أخذ يدها ورفعها إلى شفتيه. لتشعر، لدى هذه الإشارة الصغيرة، بالإطمئنان.

www.elromancia.com

لكن عندما أصر على أن يخبر وندي والطفلين بالأمر حال عودتهم، ساورهاالذعر لحظة، رغم سرورهم جميعاً بالنبأ، إذ قالت ريبيكا بصوت بالغ التأثر مما أدهش غاريت وجوانيتا: «لقد كنت أعلم ذلك.»

سألها غاريت: «تعرفين ماذا؟»

قالت: «لقد ساورني شعور بذلك عنكما انتما الإثنين.»

تمتم: «أحقاً؟»

قال ستيفن محتجاً: «هذا غير صحيح. إنك لم تقولي شيئاً.» وبدا على وجهه الإضطهاد.

قالت اخته بعجرفة: «إن الصبيان لا يعرفون هذه الأشياء مثل البنات.»

قالت وندي توافقها: «لا بد لي من القول انني... حسناً، كنت أرجو أن يحدث شيء من هذا النوع.» وشعر عند ذلك ستيفن بمزيد من العزلة ما جعل غاريت يشعر بالشفقة عليه ليقول: «إن عندي شعور، أيها الشاب، بأننا، أنا وأنت، سنكون بحاجة بعضنا إلى البعض لنتساند أخلاقياً ذلك أننا في خطر أن تطغى علينا النساء.»

ووضع ذراعه حول كتفي الصغير مما جعل السرور يبدو على الصغير بوضوح.

سألها غاريت: «هل تريدين أن آتي معك؟»

أجابت جوانيتا وكان ذلك في الليلة السابقة لسفرها: «كلا يا غاريت. حسناً، إن أكثر وقتي سيكون مكرساً للعمل. كان يجب عليّ أن أصعد إلى المدينة منذ أيام. ذلك أن الستائر وأغطية الأسرّة قد أصبحت جاهزة تقريباً. وأريد أن أتأكد من أنها ملائمة تماماً. إنني غير مسرورة من بعض

أوراق الجدران التي اخترتها ولهذا أريد أن أرى إن كنت أستطيع استبدالها. ولا تنسى أنك تسير في كتابك بانتظام الآن مما يستلزم عدم انقطاعك عنه...»

قال: «هذا صحيح. ولكن، ماذا بالنسبة إلى والديك؟»

سكتت تفكر وقد شعرت بنفس الذعر الذي شعرت به عندما أخبر الأولاد. لتدرك فجأة، أصل ذلك. هل تراها صدقت أن غاريت ووكر قد أحبها حقاً، أم أن ذلك ليس إلا عطفاً وشعوراً بالذنب لأنها لم تستطع أن تخفي مشاعرها نحوه؟ وإذا كان الأمر كذلك، ألأنسب أن لا تقبل بهذا الزواج... هذا الذي كان يقلقها من ناحية إذاعة خطوبتها علناً.

اخيراً قالت: «هل تمانع فيما لو أخبرتهما أنا أولاً؟»

قال: «أتظنين أنهما من المحتمل أن لا يوافقا؟»

فازدردت ريقها وحاولت الابتسام وهي تقول: «بالعكس، إذ قد يسبب حماسهما الإرتباك لك.»

قال: «أنا أشك بذلك.» وأمسك بذقنها يدير وجهها إليه قائلاً: «أتراك تعاودين التفكير في الأمر يا جوانيتا؟»

همست: «وماذا تقول لو كان هذا صحيحاً؟»

سكت لحظة ثم قال: «لا أظنني سأقول شيئاً. هنالك طرق أخرى أكثر فعالية ستريك كم يحتاج الواحد منا إلى الآخر.»

لقد ارتجفت شفتاها وفي الواقع، إرتجف جسدها كله. وكانت لا تزال جامدة عندما أخذها بين ذراعيه وهو يهمس في أذنها: «تذكري هذا.»

حدثت نفسها وهي تصعد بسيارتها في الطريق إلى منزلها، كيف يمكنني أن أنسى ذلك؟ ومع هذا فانها لم تحل

عقدتي هذه. هل تراني تركت نفسي أساق إلى هذه الورطة؟ كانت تتساءل عن كل هذا بيأس.

لكن، بعد ساعة أو نحوها، حدثت سلسلة من الأحداث كانت نتيجتها لا تكاد تصدق. لقد ذهبت مباشرة إلى شركتها، وكانت تسلم تقريراً إلى رئيسها عندما أغمي عليها مرة أخرى.

بعد الظهر كانت في المستشفى تحت اشراف جراحها المختص الذي أصرت أمها على استقدامه بعد يوم مضطرب حافل بالإختبارات والفحوصات ثم ليلة قلقة تتساءل ما الذي جرى لها، وكانت بصحبة أمها، أما أبوها فكان في أديلياد مع داميان كما يظهر، لمشاهدة سباق الجائزة الكبرى. أما السبب الآخر الذي جعلها شاكرة، هو أنها خلعت خاتمها قبل دخول مكتب الشركة، ولهذا لم يكن عليها أن تشرح السبب. وكذلك أبعدته عن ملاحظة أمها التي لازمتها في حالتها هذه.

كان ثمة شيء آخر كانت له شاكرة كذلك، وهو عندما قالت: «ماذا؟» لقد نظر إليها جراحها من وراء مكتبه قائلاً: «جوانيتا، لا يمكنني أن أصف لك مبلغ سعادتي لأجلك.»

وضعت يدها على رأسها وهي تشعر بالدوار وقالت: «ولكنك أخبرتني بأن هذا لا يمكن أن يحدث.»

قال: «يا عزيزتي، لقد أخبرناك بأنه ربما لن يحدث مطلقاً، وذلك على ضوء الضرر الذي أصابك من جراء حادث الإصطدام. لكن الجسد هو شيء رائع وبإمكانه أن يشفي نفسه بنفسه أكثر مما نقرر نحن. وكان يجب عليّ أن أقول ذلك في حينه. حسناً، ربما قد نسيت أنا ذلك مع أنه ما كان

لي أن أسمح بنسيان شيء كهذا. لقد رأينا جميعاً حالات نساء عاقرات لأسباب متعددة، ولكن، ما أن يفقدن الأمل ويتوقفن عن الشعور بالقلق، وهذا حظ كما يقولون، حتى يحملن. وكذلك يبدو في هذا الوقت المبكر جداً أن ليس ثمة سبب يمنع هذا الجنين من الوصول إلى وقته الطبيعي. ولذلك علينا أن نواصل مراقبته بقدر الإمكان، بالطبع.»

رددت بصوت أجوف: «بالطبع.»

قطب الطبيب جبينه قائلاً: «جوانيتا...»

ازدردت ريقها قائلة: «كلا. إنها غلطتي. أظنني فقط... ضعيفة الإيمان.»

قال بهدوء ولطف: «ليس من الصعب فهم ذلك بعد كل الذي مررت به وما أخبروك عنه. كذلك هي منطقة متصلة بشعور فطري للشخص، ذكراً كان أم أنثى.»

نظرت إليه وشعرت بأنه على وشك أن يسألها عن والد الجنين، فقالت بسرعة: «ولكن، لماذا يحدث ذلك لي هذا الإغماء؟»

قال: «لا أظن أن ثمة صلة بين الإثنين، يبدو أنك تعانين من شيء من فقر الدم. وعلينا طبعاً، أن نعالجه، وإذا كنت تجهدين نفسك بالعمل...»

قالت: «هل تعني أنك اكتشفت هذا الحمل بالصدفة؟»

قال: «يمكنك أن تقولي ذلك.»

«جوانيتا، أرجوك يا عزيزتي، كفي عن ذلك.»

جلست جوانيتا في سريرها متشنجة وهي تقول: «أمي. أرجوك. هل يمكنك أن تبتعدي عني؟» كان وجهها مبللاً بالدموع ومنتفخاً وشعرها أشعث وملابسها مجعدة.

www.elnamaa.com

قالت أمها بحزم: «كلا. لقد أخبرتني أنك بخير ثم دخلت إلى هنا وما زلت تبكين منذ ذلك الحين. إنني اعرف أن هناك أشياء لن تغفريها لي أبداً، ولكن أن تعاقبيني عليها بهذا الشكل... فهذا...»

«هذا ليس صحيحاً. آه، يا أمي، لماذا تظنين هذا؟»

جلست أمها على السرير أمامها ثم قالت: «ما هي المسألة إذن، يا عزيزتي؟»

قالت: «إنك لن تصدقي هذا أبداً يا أمي. ولكنني... إنني حامل.»

هتفت الأم: «يا عزيزتي... يا...» ولم تكمل كلامها، بل فتحت ذراعيها بدلاً من ذلك، لتلقي جوانيتا بنفسها بينهما.

مضت خمس دقائق قبل أن تقول الأم: «من هو الاب؟ هل ثمة مشكلة؟ لماذا لا تشعرين بالسعادة؟ أخبريني يا حبيبتي؟»

ووجدت جوانيتا نفسها تحدثها بكل شيء تقريباً، ولكنها أهملت كل ما يشير إلى هوية غاريت.

قالت الأم: «إنني لا أفهم... إنه يريد أن يتزوجك و...»

قالت جوانيتا بضعف: «أمي، قبل هذا لم أكن أعرف ما إذا كان ما يشعر به هو الأسى لأجلي والشعور بالذنب. ولكن ثمة شيئاً واحداً أعرفه وهو أن الأطفال لم يكونوا في حسابه عندما طلبني لأكون زوجته. لقد أخبرتك بالسبب، ومن السخرية أنني كنت أستطيع أن أتدبر الامر بحسب ما كنت، أو أفترض انني كنت... أظنني دوماً احتفظ بذلك الأمل في نفسي، وهذا هو السبب في إذعاني، برغم شكوكي. ولكن هذا... هذا يبدو وكأنني نصبت له شركاً.» وانهمرت دموعها من جديد.

قالت الأم: «حسناً، وماذا سنفعل الآن؟»

«هل تمانعين في أن تنطقي بكذبة صغيرة بيضاء لأجلي؟»

قالت الأم: «ما هي ولمن؟»

قالت جوانيتا: «لشركة بلومون. قولي لهم انني لست بصحة جيدة وانني بحاجة إلى فترة للراحة، وليس ثمة شيء خطير، أخبريهم أنني أعاني من فقر بالدم، وهذا صحيح. لسوء الحظ أنني ما كدت أنهي التقرير حتى أغمى عليّ. وعليهم أن يجدوا من سيشرف على العمل مكاني من دون أي مشكلات.»

قالت الأم: «ولكن...»

قالت جوانيتا: «أمي، انني بحاجة إلى بضعة أيام أفكر فيها.»

قالت الأم: «إنني في خدمتك يا جوانيتا ولكن، هل لعملك هذا صلة بهذا الرجل؟»

«لماذا تقولين ذلك يا أمي؟»

«لقد خطر هذا ببالي أذ أن غيابك قد طال كثيراً.»

سكتت جوانيتا، ثم أومأت بالإجابة.

قالت الأم: «إنه إذن غاريت ووكر؟»

أجابت بتوسل: «أمي...»

قالت أمها تطمئنها: «لا بأس. إنني لن أذهب إليه أو أخبر أي شخص مع أنني قد سبق وقابلته.»

سكتت تفكر ثم تابعت: «ولكن هل فكرت في أنه سيبحث عنك فيما لو دخل شخص آخر إلى بيته للإشراف على العمل بدلاً منك؟»

قالت جوانيتا: «إنني... أفكر الآن في هذا... أمي، هل من حقي أن أخبره عن هذا الطفل أم لا.»

قالت الأم: «بالطبع يا عزيزتي.»

قالت جوانيتا: «هل تقسمين؟»

قالت الأم: «من كل قلبي.» وابتسمت بضعف للمرة الأولى ولكنها أضافت: «ولكن، أريد منك وعداً بشيء واحد وهو أن تفكري بالأمر عدة أيام قبل أن تقرري شيئاً. وفي نفس الوقت سأواجه كل العالم لأجلك إذا كان ذلك ضرورياً.»

سألت جوانيتا نفسها تلك الليلة، لماذا لا أستطيع التفكير في الأمر؟ لماذا لا أقول لنفسي ان عندي ثلاثة خيارات، أن أحتفظ بالطفل لنفسي، أن لا أحتفظ به، وهذا ما لا أستطيعه، أو أخبر غاريت...؟

قالت لنفسها، هيا وابدأي برقم واحد. إذا احتفظت بهذا الطفل لنفسك، فهل تظنين أنه سيدعك تفعلين ذلك؟ كما أنه لن يستطيع أن يرغمك على الزواج. إذن، إبتعدي عنه عند ولادة الطفل فلا يعلم هو شيئاً عنه.

ارتجفت، ولكن الفكرة تملكت منها. وحدثت نفسها قائلة، يجب أن تمر عليّ عدة شهور قبل أن يظهر الحمل. ولكن كيف سأنقطع عن كل شيء؟ يمكنني أن أخبره بالحقيقة وهي أنني لا أستطيع أن أصدق أن علاقتنا كاملة ولهذا صممت على أن أنهيها. ولكن، عليّ أن أكتب، ثم عليّ أن... أبتعد إلى حيث لا يصل إليّ لفترة في حالة ما إذا حاول أن يجعلني أغير رأيي وقد يستدعي هذا أن أترك عملي في الشركة. ولكن، لماذا لم يعد ذلك يبدو لي مهماً؟

همست لنفسها بصوت عال في الظلام، لأنه سيصبح لي

طفل. لأنني سأصبح طبيعية، وبالتأكيد سيعوضني هذا قليلاً عن... خسارة غاريت!

عند الصباح كانت جوانيتا ما زالت غير مصممة على شيء. كما أن أمها علمت بأن ابنها داميان حدث له حادث اصطدام أثناء التدريب على نيل جائزة أديلياد الكبرى وأدخل حالاً إلى المستشفى في حالة تدعو إلى القلق.

أخذت الأم تنوح قائلة: «لا تنسي...»

أمسكت بها جوانيتا قائلة: «لا تنسي أنني أنا قد شفيت.» وركبت الاثنتان أول طائرة. وطبعاً لم تكن صدفة أن يقابلا إكسانت في مطار أديلياد إذ كانت قد وصلت لتوها بالطائرة من بيرث.

ركضت إليها إكسانت وقد بان الألم المبرح على وجهها الشاحب وهي تهتف والدموع تغسل خديها: «لقد كنت مصممة على أن أتنكر بشكل ممرضة كي يسمحوا لي بالدخول. ولكنني الآن أستطيع أن آتي معك أليس كذلك؟ أرجوك يا جوانيتا.»

في الحقيقة، لم يتمكن أحد من رؤية داميان قبل ساعات إذ أنه أدخل إلى غرفة العمليات حيث أجريت له جراحة معقدة. كانت نفس العملية التي سبق وأجريت لجوانيتا مما أعاد إليها كل تلك الذكريات. ونظرت إلى إكسانت وهي تفكر أنها لو كانت قد علمت قبلاً أن إكسانت بمثل هذه القوة، لكانت خرجت عن عقلها حتماً.

لقد كانت تراقبها وهي تمسك بيد أمها تطمئنها بكل رقة وحنان. ولكن هذه هي طبيعتها تماماً. حتى أن والدها قد فتن بها. مع أنه كان ينظر إليها وكأنه يتساءل عما إذا كان

قد قابلها من قبل. ولكن، ماذا سيقول داميان إذا هو رآها؟

لكن داميان، في وقت متأخر من تلك الليلة وبعد عملية ناجحة، مد إليها يده من سريره وقال لها بلهفة واضحة: «إكسانت؟ هل أنت إكسانت حقاً. لقد افتقدتك كثيراً... كثيراً جداً.»

نظر والداه الواحد منهما إلى الآخر، ثم إلى جوانيتا، ثم نهض الجميع تاركين داميان وإكسانت بمفردهما.

لوت جوانيتا شفتيها قائلة: «من يدري؟ ربما كانا مناسبين تماماً الواحد منهما للآخر. لكن لا نعلم ماذا سيكون رأي غاريت... أ... أعني رأي أخيها.»

نظرت إليها أمها بحيرة وارتباك: «ربما كنت مخطئة ولكنني أظن أنه يقف وراءك مباشرة، يا عزيزتي. لقد قالت إنها أخت غاريت ووكر. هل ترينه؟»

شعرت جوانيتا بأنها موشكة على الإغماء مرة أخرى، ولكن هذا لم يحدث. وفي الواقع أن وجهها قد توهج وهي تستدير ببطء لتراه واقفاً أمامها.

كان يبدو تعباً مشعثاً. ولكن، ما أن حدق الواحد منهما في الآخر، وتنقلت نظراته من وجنتيها المتوهجتين إلى يدها الخالية من الخاتم، حتى توهجت عيناه بالغضب.

قالت بغباء: «لقد جئت لأجل إكسانت، بالطبع.»

قال عابساً: «كلا. ولكنني جئت لأجلك.»

قالت: «إنني...»

هنا، انتبهت أمها، فقالت بحيوية: «سنترككما معاً.» والتفتت إلى الوالد قائلة: «هيا معي يا عزيزي.»

قال و جوانيتا: «إنني لا أفهم. أولاً، هناك فتاة تتحكم

في ابني، وها هنا الآن ثمة شخص غريب تماماً يبدو أنه أخوها، يتحكم في ابنتي...»

عادت الأم تقول: «هيا معي يا عزيزي.»

قال غاريت بلهجة رقيقة: «كلا. إنني أعتذر لما سميته تحكماً بابنتك يا سيدي. ولكن الحقيقة أنني قررت الزواج منها وطبعاً، أريد أن أقابلك قبل ذلك، ربما غداً صباحاً سيكون الوقت مناسباً لذلك. وفي نفس الوقت، إننا أنا وجوانيتا، عندنا بعض الأشياء التي يجب أن نتحدث بشأنها، وأظن أن فندقي هو المكان المناسب لذلك، فهي لا تبدو بصحة حسنة.»

كانت بادية التوتر وهي تقول له بينما كان يساعدها على الصعود إلى السيارة: «ما الذي جعلك تعامل والداي بهذا الشكل؟» لم يكن لها من خيار سوى الذهاب معه خصوصاً إزاء نظرة أمها الجادة وإيمائها لها برأسها لتذهب معه.

أجاب باقتضاب: «ليس هما من سأتزوج بل أنت.» ثم قال مخاطباً السائق: «خذنا إلى أي فندق ممتاز. لقد أصابنا الإرهاق ونحن نتنقل من مدينة لأخرى.»

قالت له: «ألم تنزل في فندق حتى الآن؟»

قال: «لا تجادلي في أشياء تافهة كهذه يا جوانيتا.»

«إنني... إنني... إنني لا أجادل. ولكن لا تنسى أن هذه المدينة تتملكها حمى الجائزة الكبرى.»

أطلق شتيمة ثم قال وهو يهز كتفيه: «سنرى.»

في أحد أفخم فنادق المدينة، وجدت جوانيتا المعاملة اللائقة بمركز غاريت ووكر السامي وكذلك بأجرة الفندق العالية. وقادهما الخادم، بكل احترام، إلى جناح يشرف

على أديلياد، مدينة المعابد وسباق السيارات، أما كونهما لا ينقلان معهما سوى حقيبة صغيرة لكل منهما، فهذا لم يهتم به أحد هناك.

عندما سجل غاريت إسم جوانيتا وأنها خطيبته، وذلك بصوت مسموع، إستوقف ذلك بعض الأشخاص الذين تبين أنهم من الصحافيين. وكان لدى أحدهم آلة تصوير. وعندما وصلا إلى المصعد، لم تكن صورتها قد أخذت وذراع غاريت حول كتفيها، فقط، ولكنها خضعت لاسئلة حول خطوبتها وكذلك حول أخيها بصفته من المتسابقين.

عندما أقفل خلفهما باب الجناح، أخيراً، كانت تهتز من الغضب. وقالت له بوجه شاحب: «كيف تفعل بي مثل هذا؟»

قال وهو يسكب كأسين من العصير: «ولِمَ لا؟ ظننتك وافقت على ذلك.»

قالت متلعثمة بصوت مرتجف: «ي... يجب أن تعلم أنني غيرت رأيي بالخطبة.»

قال: «أيجب عليّ ذلك حقاً؟» ومشى متمهلاً إليها يضع في يدها كأس العصير ويتابع قائلاً: «سأخبرك بالذي أعلمه وهو أنني لم أتلق منك كلمة منذ تركتني، كما أنه لم يكن ثمة جواب من شقتك. وهذا جعلني أستغرب الأمر. واليوم بعد الظهر اتصلت بشركة بلومون ليخبروني بأنك مريضة وأن شخصاً آخر سينوب عنك بالعمل في منزلي. ولكن لم يكن في استطاعتهم أن يضعوني على اتصال بك لأن والدتك أخبرتهم أن الإتصال بك غير مسموح إطلاقاً قبل عدة أيام. عند ذلك، مضيت إلى سيدني. ومنذ ذلك الحين وأنا أجوب البلاد بالسيارة والطائرة.»

همست: «لا بد أنك سمعت بما حدث لداميان.»

قال: «نعم. سمعت ذلك من راديو سيارتي وأنا بين منزلك، والمنزل الذي تقيم فيه والدتك، والساحل الشمالي حيث يعيش والدك. عند ذلك، حولت اتجاه السيارة إلى حيث أخذت الطائرة إلى هنا.»

أغمضت عينيها وقالت: «إنني آسفة. كنت سأوضح لك الأمر، ولكن، عندما حدث هذا...»

تناولت جرعة من العصير ثم وضعت الكأس بهدوء.

قال بنفس صوته القاسي ذاك: «توضحين ماذا؟»

قالت: «أوضح السبب في أنني لا أستطيع أن أتزوجك...»

«أخبريني أولاً. هل أنت مريضة حقاً، أم أنه مجرد عذر؟»

«إنه فقر دم بسيط. هذا كل شيء. لا شيء خطر.»

شملها بنظراته وهو يقول: «لا بأس. تابعي كلامك.»

قالت باضطراب وخوف مفاجيء ممزوج بالغضب: «ك... كلا يا غاريت. ليس عليّ أن أوضح أي شيء. لقد غيرت رأيي في الزواج هكذا، بكل بساطة.»

قال: «هل ذلك بسبب تدخل ما من والديك؟ ولكن والدك لم يكن يعلم شيئاً كما يبدو؟»

قالت: «إنه لم يعلم...»

قال: «ولكنني لاحظت أن أمك ظهر عليها الإقتناع بأنك يجب أن تأتي معي. وهذا يعني أنها تعرف شيئاً.»

«إنها تعرف كل شيء. ولكن...»

قال بعنف: «وما اعتراضها على ذلك؟»

قالت: «إنها... إنها... لم...»

قال: «هكذا إذن؟»

تصلبت في جلستها وهي تقول: «لا تفعل بي ذلك. بأي حق تعاملني بهذا الشكل؟ وكأنني سجينتك. وكيف يمكن أن أتزوجك وأنت بهذا الشكل؟»

قال بنعومة فائقة: «لأنك تحبينني. ولكنك، مثل كل النساء، عوضاً عن ذلك أقنعت نفسك إما انك لا تحبيني، وإما أنني لا أحبك.»

صرخت فيه: «كلا. إنك لا تحبني، لقد قلت لي بنفسك إنك لن تتزوج مرة أخرى. إنك لم تقل لي مرة إنك تحبني. لقد قلت لي إن الأسف الوحيد الذي ستشعر به إذا نحن لم ننجب أطفالاً إنما هو...» وسكتت فجأة.

قال مكملاً حديثها ببطء: «إنما هو لأجلك أنت. لماذا ساءك هذا إلى هذا الحد يا جوانيتا؟»

حدقت فيه لحظة من خلال دموعها وقد أثقلها حقيقة أنها لن تستطيع إخفاء الأمر عنه إلى الأبد.

إن له الحق في أن يعلم هذا على الأقل إن لم يكن لشيء آخر، عند ذاك، ربما يتفهم الأمر.

قالت بضعف بصوت مبحوح: «لقد حدث المستحيل.»

تنفس فجأة بعمق وهو يحرك يديه.

عادت هي تقول: «لا أدري إن كنت تستطيع أن تصدق هذا، ولكنني كنت حقيقة أظن أن هذا لا يمكن أن يحدث... لقد عشت حياتي بعد حادث الإصطدام على هذا الأساس. الطريقة التي أنا عليها الآن أو بالأحرى كانت، كانت فقط نتيجة هذا الاعتقاد، ولكن، يبدو أن جسدي كان يشفي نفسه بنفسه. والآن، هنالك جنين... إن ذلك يريني بشكل غريب

كيف أنني فقدت الأمل... ألا توافقني على ذلك؟»

قال بهدوء شديد وهو يمسك بيدها: «كلا. أظن الأمر أكثر بساطة من هذا. أظن أن جسدك يقوم بإكمال حبنا. هذا كل شيء.»

قالت: «ولكن...»

قال: «إسمعي، قبل أن تقولي أي شيء آخر، قومي نحوي بشيء واحد. إجلسي ثم اقرأي هذا.»

قالت بارتباك: «أقرأ ماذا؟»

قال: «إنه موجز كتابي. نوع من الأشياء التي أرسلتها إلى الناشر. لقد أخذت بنصيحتك.»

حدقت فيه جوانيتا قائلة: «هل هي كتابتك عن عقدتك مع الأدب؟ وما صلة هذا بحالتنا الآن؟»

قال: «إنه الكتابة عن العقدة ولكن ليس مع الأدب. سترين الآن.» وترك يدها ثم ذهب إلى حقيبته الصغيرة يفتحها.

لقد استغرق الوقت عدة دقائق قبل أن يصبح بإمكانها أن تركز على الدفتر الذي ناولها إياه. ثم، ابتدأت الكلمات تتضح أمامها وتصبح مفهومة، وكان الذي قرأته هو عن رجل يمثل شخصية غاريت...

قالت بحيرة: «إنه أنت... ولكن...»

قال: «نعم، تابعي القراءة، فهي توضح لك بعض الأشياء.»

قرأت، ثم رفعت رأسها تحدق فيه وقد فتحت فاها. ثم سألت: «هل هـ... هذا صحيح؟»

جلس قبالتها وقال: «كل شيء صحيح جداً. ولكن حيث أنها بحاجة إلى شيء من التنقيح، لذلك وضعتها على الورق. كما ترين، يا جوانيتا، كنت قد ظننت أنني سأتمكن

من قضاء بقية حياتي وحدي. ظننت أني خلقت هكذا، وكنت مستمراً في حياتي بشكل جيد إلى أن قرعت أنت بابي. حتى أنه كان عندي، في عزلتي تلك، أسرة جاهزة، وندي وأخواها، كما لاحظت. لقد حصلت على الحرية التي ظننت انها ضرورية لي جداً. ولم أكن لأستطيع قط أن أتصور نفسي في وضع مشابه لما كنت عليه في زواجي الماضي حين كانت هي، كما كنت أنا، ممزقين في وضع غير مستقل. ولكنني أنا انقذت ما يمكن انقاذه ونجوت بنفسي بينما هي لم تتمكن من ذلك. ولكن، منذ اللحظة التي دخلت فيها أنت حياتي، ابتدأت كل تلك الأشياء التي ظننت أنني ظفرت بها، تفقد معناها، وكنت أنت أول من اكتشف ذلك.»

قالت متلعثمة: «كيف... و... متى؟»

ابتسم باختصار وقال: «ذات ليلة، على مائدة المطبخ. هل تذكرين عندما اخبرتني انني ربما كان ينقصني الشعور بالإستقرار في حياتي؟»

«ولكنك، في ذلك الحين، لم توافقني على ذلك.»

قال موافقاً: «وهو كذلك، ولكن، هذا ما ابتدأ يتضح لي صحته شيئاً فشيئاً.»

قالت: «كيف؟»

قال: «لم أستطع أن أستقر على شيء، لأنني شعرت بأن رغبتي فيك تزداد أكثر فأكثر. وما كان محاولتي إقناع نفسي بأنني رفيق غير مناسب لك، بأن يغير من الواقع شيئاً. وعند ذاك، لم أعد أستطيع تجاهل... ما كنت أقوم به نحوك، وربما ذلك لأن مفهومي عن نفسي كان قائماً، بشكل عام، حول الشعور بالذنب، وفعلت الذي فعلت.»

حدق الواحد منهما في الآخر إلى أن خفضت هي بصرها إلى الدفتر الذي في يدها، وقالت: «إذن، فقد كتبت عن رجل مرّ في نفس ظروفك... كل الوقت الذي كنا فيه...»

ابتسم فجأة قائلاً: «كنا فيه نعيش معاً؟ نعم. لقد كتبت، وكما قال ناشر كتبي، الذي جاء ليراني في نفس الوقت الذي تركت أنت فيه المنزل (كان هذا أحسن ما كتبت) هذا مع أنه لم يقرأ الأشياء الخطيرة.»

أخذ الدفتر من يدها ووضعه جانباً وهو يقول: «أشك في ذلك. على كل حال، فإنها لن تنشر أبداً...»

قالت: «أوه، ولكن...»

قال بهدوء وحزم: «كلا. لأنها شيء بالغ الخصوصية. إنها شيء بيني وبينك فقط.»

قالت: «ولكن، ماذا بالنسبة إلى ناشرك؟»

لوى شفتيه قائلاً: «إنه سيشد شعره. ولكنني أخبرته بأن عليه أن يعيش على أمل أن إلهامي الجديد سيدفعني إلى أن أصبح كاتباً أفضل.» واكتسب حديثه معنى خاصاً وهو يتابع قائلاً: «ترين، يا عزيزتي جوانيتا، كما كتبت، لقد ابتدأت أفهم الشعور بالذنب. وأفهم أنني لم أكن قط، من قبل، بقادر على أن أفصل بين الطريقة الماساوية التي توفيا بها، وبين حقيقة علاقتي بليندا. لأننا، في الحقيقة، لم نكن، نحن الإثنين، مناسبين للحياة الزوجية وإنجاب الأولاد. وربما لم نكن لنعيش مع بعضنا البعض. لقد كانت علاقة لم تكن لتنجح على الأغلب، حتى ولو توفرت لها الظروف المثالية، لأن الإلتزام الذي يدفع المرء نحو آخر يحبه لم يكن موجوداً أصلاً. كنا شخصين، عاش كل منا

حياته وحيداً بسبب مهنتنا، ولم ندرك أن جوعنا إلى الإستقلال لم يكن مناسباً مع نظام الحياة الزوجية... حيث الزوج والزوجة يتشاركان معاً بشؤونهما الخاصة، بل كان ينقصنا رباط الحب الحقيقي. ولكنني لم أستطع إدراك كل هذا... لم أستطع فصله عن خاتمته المأساوية، وعن الشعور بالذنب، إلى أن ابتدأت أكتب عنه. عند ذلك، ابتدأت الغشاوة تنقشع، وابتدأت أنا أدرك. ابتدأت أرى أنني لست ذلك النمر الذي لا يستطيع تغيير جلده المرقط. كنت مجرد رجل لم يكن قد وقع في الحب من قبل.»

قالت: «غاريت...»

«قبل أن تقولي أي شيء، أعلمك أنني عشت اليوم في نوبة من الخوف واليأس. الخوف من أن تكوني في حالة صحية خطيرة، واليأس من أن أفشل في العثور عليك لأريك هذه وأيضاً لأخبرك الآن انني أحبك، انني عاجز من دونك... وأخبرك الآن بأنني سأكون سعيداً حتى ولو شئت أن تنجبي عشرة أولاد. لأن هذا الخبر، بدلاً من أن ينذرني بالمتاعب، كما خفت أنت، قد أتى بشعور معاكس. ولكن، لسوء الحظ...» وسكت وهو يلوي شفتيه، ثم يعود إلى رزانته السابقة.

حدقت فيه قائلة: «ماذا تعني؟»

ترك يدها ثم وضع يده برقة فائقة على بطنها وهو يقول: «أعني أنني إذا كنت قد أحببتك، فإنني الآن أمام مشكلة عويصة وهي أن أبقى يديّ بعيدتين عنك.»

احمر وجهها وهي تقول: «إذن فأنت تصدق أنني كنت متأكدة من أن ذلك لا يمكن أن يحدث.»

أخذ يديها الإثنتين بيديه مرة أخرى، وقال بصوت أكثر رزانة: «ما الذي يمكنني عمله لكي أثبت لك أن هذا الخبر الرائع هو أسعد خبر سمعته في حياتي، يا حبيبتي. لقد تحدثت كثيراً عن الأشياء الأخرى، حياتي، وهذا وذاك... ولكن، ربما نسيت اكثر الأشياء أهمية. وهو أنت. ذلك ربما أنه، لولاك، ما كان لكل هذا أن يحدث. فأنا بالرغم من جهودي الفائقة، وبالرغم من معارضتك التي حاولت أن تثيريها، قد وقعت في حبك. إنك، منذ البداية قد غيرت من استقراري النفسي منذ اللحظة التي وقع فيها نظري عليك، ولم يتغير ذلك أبداً. لقد كنت فتاة مدهشة غير عادية وأحياناً كنت أراك كتلك اللوحة التي ظننت أن أمك قد رسمتها لك. ولكن، عندما أغضبتك رأيت النار تشتعل في عينيك. عند ذلك، كل شيء فيك قد أثار مشاعري.»

هز رأسه، واستطاعت أن ترى في عينيه شيئاً يشبه التساؤل. وبعث هذا الرجفة في جسدها وهي تتذكر كيف أنها، في ذلك اليوم، قد شعرت بنفس الشيء.

تابع كلامه قائلاً: «لقد كنت أمامي لغزاً وكنت أتساءل أحياناً عما إذا كنت سأفهمك يوما ما. ومع انني رأيتك مدهشة عند أول تعارفنا، فإنني لن أنسى ذلك اليوم الذي جئت به إليّ مرتدية قميصاً بلون أحمر شفاهك. كان بلون التوت الداكن، وكان تجاوب اللون كالقطعة الموسيقية في نظري... كذلك بشرتك، شعرك... ولكنك باردة جداً...»

تألقت على أهدابها دمعتان، ولكنهما كانتا دمعتي فرح... لأنها لم يعد لديها شك الآن أن هذه الكلمات كانت صادرة من رجل هو مفتون بها بقدر ما هي مفتونة به. رجل

لم يكن عرجها وتأتأة لسانها يعنيان شيئاً في نظره.

قالت بهدوء: «أتمنى لو كنت أعلم. إنني حقاً لا أريد أن أستعيد في ذهني صورة لورا هينيسي، ولكن... أظن أن عشرة أولاد هو عدد زائد عن الحد قليلاً.»

لو كان قد بقي في نفسها أي أثر للشك في حبه فقد تلاشى الآن وهي ترى التأثر الشديد على وجهه. وعليها أن تعترف الآن أنها أصبحت تعرف غاريت ووكر لكي تدرك أنه تأثر من أعماقه لكلامها هذا. وسحبت يدها من يده، ولكن لتدسها في صدرها تحت قميصها وتخرج خاتمه معلقاً في سلسلة، وهي تقول: «لم أستطع أن أنفصل عنه نهائياً.»

قال: «جوانيتا...»

لكنها وضعت أصبعها على شفتيه قائلة: «لقد قلت لي مرة إنك لست بحاجة إلى أن تخبرني إلى أي حد يحتاج الواحد منا إلى الآخر. عليك فقط أن تريني ذلك.»

أخذها بين ذراعيه وعيناه في عينيها وهو يقول: «أتعرفين بما أشعر به الآن؟ إنه كشعوري وأنا أعود إلى البيت بعد سنوات أمضيتها هائماً في البراري.»

تحركت هي وقد أصبحت مشاعرها أقوى من أن تحتمل ولكنه عاد يهمس في أذنها: «لا تتركيني أبداً بعد الآن... يا جوانيتا.»

تمـــت